دراسة

حول رواية النزول إلى البحر النص الكامل للواقع والحياة فى مدائن الموتى

د. صبرى حافظ

يحتاج أى واقع جديد إلى أن يعبر عن نفسه ، وأن يصوغ بالأدب والفن همومه وتطلعاته وصبواته ورؤاه . ويستلزم هذا التعبير مرور فترة زمنية كافية على التجربة تسمح لها بالاختمار والنضج ، وتمكنها من طرح تساؤلات البحث عن الذات وبلورة الهوية ، بقدر من الشمول والعمق . ولهذا استلزم الأمر انصرام أكثر من عشر سنوات ، على ظاهرة الحياة فى « مدينة الموتى » ، أى منطقة المدافن بالقاهرة الكبرى ، قبل أن تطل هذه الظاهرة على أفق الأدب الروائى ، بصورة تتسم بالاقتدار الفنى ، الذى يفرضها على النقد والواقع الأدبى معاً . وإذا كانت تلك الظاهرة ، قد استأثرت ، منذ عدة سنوات ، باهتمام صحافة الإثارة الغربية منها والعربية على السواء ، فإن هذا الاهتمام قد انطلق فى معظمه من فهم سطحى قاصر لهذه الظاهرة الاجتماعية المعقدة ، ومن تناول متسرع لتفاصيلها من الخارج ، دون سبر لأغوارها ، أو وضعها فى سياقها المصرى والعالمى ، وفهم جدلياتها الحاكمة ، وقوانينها المسيطرة ، التى تجعل انتهاك « التابو » الاجتماعى ، أو حتى الدينى المتعلق بحرمة الموت ، أخف وطأة من احتمال قسوة المدينة التى تطيح انفجاراتها كل يوم ، بأعتى الرواسى الاجتماعية والحضارية والأخلاقية .

(١) آليات نمو المدينة وإنتهاك التابو :

فآليات نمو المدينة تتجاوز ، وفق قوانين التطور الاجتماعى والاقتصادى نفسها ، كل الاعتبارات الميتافيزيقية والأخلاقية ، التى تتعارض أحيانا مع تلك القوانين . وترى آليات هذا النمو الحضرى ، على الصعيد المكانى أو الجغرافى ، المدينة على هيئة مجموعة متداخلة من الدوائر ذات المركز الواحد . وهى دوائر لا تتسم بالسيميترية بالطبع ، لأن الحياة لا تعرف الصرامة الهندسية فى اندفاعاتها العفوية ، وإنما تنطوى على الكثير من الانبعاجات . ويقول قانون القيمة الاقتصادية للأرض ، وخاصة بالنسبة للمدن القديمة ، إنه كلما اقتربت الدائرة من المركز ، كلما ازدادت قيمتها ، وكلما بعدت عن المركز قلت هذه القيمة . ولابد أن الكثير من أبناء جيلى يتذكرون ، كيف كان آباؤهم يتندرون ، أو بالأحرى يتأسفون ، بأنهم ترفعوا عن شراء الأرض فى صحراء مصر الجديدة ، عندما كان المتر فيها بعدة قروش . وكيف أن سعر المتر فى هذه المنطقة تضاعف ، فى أقل من أربعين سنة ، أكثر من مئتى مرة . ولو لم تنم المدينة ، وتتحول بفعل هذا النمو السريع هذه المنطقة الهامشية البعيدة ، إلى جزء من الدوائر القريبة من المركز ، لما ارتفع سعر المتر فيها فى نفس الفترة أكثر من عشر مرات .

وبمقتضى هذا القانون نفسه أصبحت منطقة المدافن التى كانت تقع قبل فترة وجيزة ، فى عمر مدينة القاهرة النامية المديد ، خارج المدينة التقليدية القديمة كلية ، أصبحت ضمن النطاق الجغرافى ، أو المكانى لواحدة من أقرب دوائرها إلى دائرة المركز . بالطريقة التى لو تصورنا فيها أن هذه المنطقة ذاتها كانت خالية من المدافن ، لرشحها قربها الشديد من مركز المدينة التجارى إلى أن تصبح واحدة من أغلى المناطق فيها . لكن من رحمة الله على الفقراء من عباده أن فى معظم المدن العريقة ، ذات معدلات النمو السريع فى العالم الذى يسمونه ثالثا ، مناطق قريبة من المركز لكنها غير مرغوبة لأى سبب من الأسباب . كما أن هذه المدن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

جميعاً ، تعانى من أزمات المواصلات الطاحنة ، التى تزيد من أهمية هذه المناطق القريبة غير المرغوب فيها . وهكذا تصبح هذه المناطق فى بادئ الأمر ، ملاذ الفقراء الذين يجذبهم ألق المدينة الخادع ، يدفعهم إلى التخلى عن حياتهم السابقة ، فى فىء القرى والنجوع . وليس هذا الأمر بأى حال من الأحوال قاصرا على مدينة القاهرة . فهناك العديد من الحالات التى اضطر فيها الفقراء إلى الحياة فى مناطق متاخمة للمدينة ، ولكنها تعانى من بعض العيوب التى تنفر منها بقية سكانها ، مثل المناطق المعرضة لاجتياحات الفيضانات فى العاصمة الفيليبينية مانيلا ، أو مناطق التلال الوعرة شديدة الانحدار والمحيطة بالعاصمة البرازيلية ريو دى جانيرو ، أو العاصمة الفنزويلية كاراكاس ، أو مناطق نفايات المدينة وتجمع قمامتها ، أو مصبات مجاريها فى العاصمة النيجيرية لاجوس ، والمدينة الهندية الكبرى بومباى .

فى كل هذه المدن وغيرها دفعت آليات النمو الحضرى السكان إلى الحياة فى مناطق أسوأ كثيرا من الناحيتين الصحية والجغرافية من منطقة المقابر القاهرية . لكن يبدو أن السبب فى استئثار منطقة المقابر القاهرية باهتمام صحافة الإثارة فى الشرق والغرب على السواء ، هو حدوث هذه الظاهرة فى مدينة القاهرة من ناحية ، وانتهاكها لواحدة من أكثر مناطق التحريم « التابو » تلفعا بالأسرار والألغاز ، ألا وهى منطقة الموت من ناحية أخرى ، ويبدو أن هذا السبب المزدوج هو السر فى استئثار هذه الظاهرة كذلك باهتمام الأدب فى السنوات الأخيرة .

(٢) التعبير الأدبى عن الحياة فى مدائن الموتى :

ولا غرابة فى هذا الأمر لأن قضيتى المدينة والموت من القضايا التى استأثرت باهتمام الأدب على مر العصور . وبالاضافة إلى العديد من الأقاصيص والقصائد التى تناولت بعض جوانب هذه الظاهرة ، فقد صدر فى القاهرة عملان روائيان هامان هما ثلاثية محمد يوسف القعيد (شكاوى المصرى الفصيح) بأجزائها الثلاثة : (نوم الأغنياء) ١٩٨١ ، (المزاد) ١٩٨٣ ، و(أرق الفقراء) ١٩٨٥ و(النزول إلى البحر) ١٩٨٦ لجميل عطية إبراهيم . ومع أن الروايتين تختلفان كثيرا من حيث المنهج والمنطق ، فانهما لم تستطيعا الإفلات من قبضة هذا السبب المزدوج . ولم تتمكن أى منهما من أن تطرح عن أفقها السؤال المحير : لماذا يحدث هذا فى مدينة القاهرة الطالعة من شرنقة الحلم الناصرى بالعزة والتقدم ؟ وما هى الوشائج التى تربط هذه الظاهرة بالتحولات الساداتية عامة ، وبسياسات الانفتاح خاصة ؟ يمكن أن تنبثق الحياة من قلب الموت ؟ وغير ذلك من التساؤلات التى سنحاول الاقتراب من تبدياتها المتباينة ، عن طريق تناولنا لأحدث روايات هذه الظاهرة الحضرية الفريدة وهى (النزول إلى البحر) .

(والنزول إلى البحر) هى العمل الرابع لجميل عطية إبراهيم ، أحد الأصوات المتميزة فى أدبنا المعاصر ، بعد مجموعته القصصية الأولى (الحداد يليق بالأصدقاء) ، وروايته (أصيلة) و (والبحر ليس بملآن) . وهى فى اعتقادى أفضل أعمال هذا الكاتب حتى الآن ، وأكثرها نضجاً وثراء . كما أنها أهم محاولات هذا الكاتب للنزول إلى عالم الواقع المصرى البالغ الكثافة والتشابك ، واستقصاء بعض أبعاده وقضاياه ، بأسلوب يتسم بالوعى العميق بتعقيدات هذا الواقع وبضرورة صياغة وسائل وطرائق جديدة لسبر أغواره . ومن هنا فإن رؤية هذه الرواية تكشف لنا عن نفسها من خلال محتوى الشكل ، بقدر ما يفضى لنا عن مكوناتها شكل المحتوى . وتسفر لنا عن رؤاها من خلال القضايا المطروحة فى ساحتها ، والموضوعات التى تناقشها شخصياتها ، بقدر ما توحى لنا بها طبيعة البنية الفنية المستخدمة ، ونوعية علاقات التقابل والتضاد ، التى تتحكم فى خريطة الشخصيات ، ومنطق تتابع الأحداث . فعالمى المعنى والمبنى متداخلان ومتفاعلان فى هذا النص الروائى الجيد . كما أن وعى النص الروائى بأن موضوعه هو النزول إلى بحر العالم البشرى الذى تموج به منطقة المدافن ، دفعه إلى محاولة الغوص فى قيعان هذا البحر الزاخر بالأسرار للخروج منها بلؤلؤة الحقيقة . حتى يطرحها فى مواجهة كل خرافات صحافة الإثارة عن هذا العالم الجديد الطريف .

(٣) جدلية النصين الأدبى والصحفى :

ويبدو أن جدلية النصين الأدبى والصحفى من الجدليات الفاعلة فى معظم النصوص الأدبية المكتوبة عن عالم هذه التجربة الحضرية المتميزة . إذ يعى النص الأدبى ، أنه يتعامل مع ظاهرة طالما استأثرت باهتمام الصحافة ، ويسعى إلى أن يكون إنجازه مباينا لإنجازها . وقد ظل هذا الوعى على سطح ثلاثية يوسف القعيد عن تلك التجربة ، إذ تدير رواياتها الثلاث مجموعة من المحاورات النصية ، ولا أقول التناصية ، مع رؤى النصوص الصحفية وانجازاتها ، بينما نجد أنه قد سقط إلى لا وعى نص جميل عطية دون أن يطرحه كلية عن أفق تجربته ، فمن يقرأ (النزول إلى البحر) ، تطالعه منذ الكلمات الأولى لغتها التقريرية الحادة العارية من كل زخرف كلغة الصحافة . ولكن الكاتب يستخدم لغة الصحافة ، من أجل دحض كل نتائجها ، والسخرية المستمرة من كل اكتشافاتها . استمع إلى مطلع هذه الرواية :

« تزوج والده من فتاة صغيرة فى عمر ابنته ، وقد تجاوز عمره الستين عاماً ، فأنجب منها طفلا دهمته الحمى منذ أسبوعين .

دق جرس التلفون فى شقته بعد الظهيرة ، وكان ممدداً على أريكة . كانت عيناه مغمضتين ، وجاءه صوت والدته ، وهى تتحدث من دكان الأمانة خائفة ، لتذكره بموعد الاستشارة ، وتطلب منه الحضور » (ص : ٥) .

إن النص يبدأ بتلك اللغة التقريرية المركزة ، التى تستخدم لغة الصحافة ضد تلك الصحافة نفسها . إذ يروى بحياد واقتضاب بالغين ،

إحدى قصص الاثارة : عجوز فى الستين يتزوج من فتاة فى عمر ابنته ، وينجب منها طفلاً . الطفل مريض ، والابن المصدوم بفعلة أبيه ، تطالبه أمه بضرورة الحضور لاصطحاب شقيقه الطفل المرفوض إلى الطبيب (احتمالات جريمة قتل) . قصة مليئة بعناصر الإثارة ، وواعدة بالأحداث التى يمكن أن يسيل لها لعاب القارىء ، خاصة إذا ما عرفنا أن زوجة الأب الشابة جميلة ، وأن الابن الذى يكبرها بعدة سنوات غير متزوج (احتمالات فيدرا شعبية) . لكن الكاتب يعمد إلى أسلوب القطع والاقتضاب وكأنه يتزل بمقصلته اللغوية على كل عناصر الإثارة فيبترها إذ يفصل عمداً الجانب التقريرى فى الجملة الأولى ، عن الجانبين الوصفى والانفعالى فى الجملتين التاليتين . فتبدو الوقائع معزولة عن الوصف والانفعال . ويلجأ بعد ذلك إلى مجموعة من الاستراتيجيات اللغوية ، التى تمكنه من تقديم واقع هذه التجربة بحياد وموضوعية . يحاول عبرهما النص قلب المنطلق الصحفى لها رأسا على عقب ، حتى يقدم لنا صورة واقعية نابضة بالحياة ، لعالم هذه المنطقة الهامة من مدينة القاهرة . وحتى يقلب بهذه الصورة كذلك مواضعات التاريخ والجغرافيا على السواء . إذ يقول لنا التاريخ ، إن المصرى كان يدفن موتاه فى البر الغربى من النيل العظيم ، ولكن ها هو المصرى الحديث يقلب جغرافيا الموت والحياة ، ويطل علينا خارجا من مدينة الموتى على الضفة الشرقية ، معلنا قيامة الحياة فى مدينة الموت . ومشيرا إلى انقلاب العديد من مواضعات هذه الحياة الجديدة الغريبة ، وقوانينها ، وملامحها .

(٤) البنية النصية والبنية الواقعية :

ومن البداية سنجد أن هذا النص الروائى لا يطرح نفسه باعتباره تصويرا للواقع ، وإنما يسعى إلى أن يكون معادلا نصيا له ، يحمل فى طواياه وتشكلاته ملامح هذا الواقع وبنيته العميقة معا . فقد طرح النص عن ساحته كل المفاهيم المسبقة للعمل الروائى ، ذى البناء السببى المحكم ، وعيا منه بأنه يتعامل مع واقع يستعصى على الانخراط تحت ألوية التصنيفات الجاهزة . وتخلى كذلك عن اللغة التقليدية القديمة ، ناحتا لنفسه لغته الروائية المتفردة . فالظاهرة التى يتناولها هذا النص ليست ظاهرة جديدة وغير مسبوقة فحسب ، ولكنها كذلك ظاهرة غير متوقعة أو محسوبة . فلم يتوقع أحد أن تنجب القاهرة ، التى حاولت السيطرة على نموها الحضرى ، وعملت على التخطيط لتوسعاتها المتوقعة فى مدينة « نصر » وغيرها من مناطق الاسكان الشعبى ، والمهنى المتعددة ، وسعت إلى استئصال منطقة « عزبة الصفيح » ، وغيرها من المناطق التى كان يعيش فيها جامعو القمامة فى مستوى من الحياة غير الإنسانية ، وأن تبنى مكانها مساكن شعبية ، توفر لساكنيها الحد الأدنى من الحياة الكريمة . لم يتوقع أحد أن تنجب هذه القاهرة ، « مدينة الموتى » ، وأن يعيش سكانها ، الذين رفضت لهم الحياة غير الكريمة مع الخنازير ، بين النفايات والقمامة ، بين المقابر والأشباح فى أحواش الموتى .

وعدم التوقع هذا هو الذى يهب سؤال سيد (أحد شخصيات هذه الرواية) الملح شرعيته : « لماذا تسكن الناس المقابر بعد ثلاثين عاماً من الثورة ؟ » (ص : ٧٢) ، وهو سؤال يرتبط بسؤال آخر لا يقل عنه أهمية فى هذا النص : لماذا يعمل الدكتور صادق فى طرق معاكسة لمبادئه ؟ (ص : ٧٢) والربط بين السؤالين هو الذى يهب هذا العمل الفنى الجيد تماسكه . وهو الذى يمنح تجسيده ، الذى يبدو محايدا وموضوعياً ، دلالاته الفكرية ، وموقفه الأيديولوجى من الظاهرة التى يتناولها . لأنه لا يمكن الفصل بين هذه الظاهرة التى انبثقت فى الواقع المصرى بالرغم من سعى الثورة لتجنبها ، وبين التحولات التى اعترت مسيرة تلك الثورة ، وانحرفت بالكثير من أفرادها ومشروعاتها عن سواء السبيل . ومن هنا فإن الإجابة على هذين السؤالين لا تطرح نفسها على أفق النص بصورة مباشرة ، وإنما تتبلور من خلال التعامل النقدى مع بنيته الفنية ورُؤاه المضمونية معاً .

(٥) التخلى عن علاقات التراتب ومنطق التتابع الكيفى :

وحتى يجيب النص على هذين السؤالين فانه لا يلجأ إلى البنية الروائية الجاهزة التى أسنت فى أقبية الحذلقة المحفوظية المكرورة ، وإنما يعتمد إلى خلق بنية روائية جديدة تسعى إلى بلورة معادل نصى لهذا الواقع الجديد . تتخلى فيه الرواية عن علاقات التراتب الهرمية بين الشخصيات والأحداث على السواء . فليس فى النص شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية : وإنما كل شخصيات النص رئيسية ، أو بالأحرى ثانوية . لأننا فى عالم الشخصيات الهامشية التى فرضت عليها قوانين القدر الاجتماعى الصارمة ـ وسطوته أعتى من سطوة كل الأقدار الميتافيزيقية كما سنرى ـ أن تبقى فى عالم الظل الهامشى ، برغم كل محاولاتها الدءوبة للانفلات من قبضته . فقد جاءت معظم هذه الشخصيات إلى القاهرة جريا وراء حلم كبير تطمح به إلى تجاوز الهامشية المحكوم عليها بالبقاء فى إطارها . ولكن أيا منها لايستطيع الفكاك من سيطرة هذا القدر الاجتماعى الآسرة . بالصورة التى يتحول معها النص إلى تجسيد فنى للشبكة القدرية الاجتماعية التى تتخبط فيها تلك الشخصيات دون أمل فى الخلاص أو حتى الهرب . ولأن النص يجسد هذه الشبكة وحالة الحصار فيها ، فقد تحول هو الآخر فى أكثر من موضوع إلى شبكة وحصار .

وليس فى النص حبكة محكمة أيضاً ، فقد تداعى البناء الراسخ القديم الذى كان ينطوى على نسق يسلم بسلطة الروائى على النص كبديل أو بالأحرى كنظير لسلطة الحكومة على الواقع . ومن هنا نجد أن هناك علاقة تناظر بين القوانين المتحكمة فى الشكل الفنى ، والقواعد الصائغة للعلاقات الأساسية فى الواقع الذى تصدر عنه تلك الأعمال الفنية . أليست ظاهرة الحياة فى مدائن الموتى نفسها وليدة انهيار الحلم المتماسك ، ونتيجة للتصدع العظيم الذى دوت قرقعاته المزلزلة فى حزيران الحزين ؟ ولابد ألا ننسى أن أحكام البنية الفنية ينطوى على الاعتراف بالمركزية ، والتسلسل الهرمى ، وعلاقات التراتب التى تتحدد بموجبها أقدار الناس

وأدوارهم ، وفقا لقوانين بالغة الأحكام والوضوح والصرامة . وأن لانهيار هذه البنية معان على درجة عالية من الأهمية ، لا ينبغى التجاوز بأى حال من الأحوال عن دلالاتها الثرية المرتبطة بآليات تولد المعنى من تفاصيل الشكل نفسه . فليس طبيعياً أن يظل للعالم الأدبى تماسكه الصياغى فى الوقت الذى تنهار فيه أبسط البديهيات التقليدية ، التى كانت تكفل للحرمات القديمة قدسيتها . وتتيح معرفة الخطوط الفاصلة بين الموت والحياة . لقد تداعى هذا كله ، منذ أن مضى إلى غير رجعة الزمن الذى انقسم فيه العالم إلى عالم للأحياء وآخر للموتى ، واختلطت الأمور بالصورة التى لا نعرف فيها ، ما إذا كان الموت هو الذى يسيطر على الحياة ، أم أن الحياة هى التى تنبثق من تلافيف الموت .

ووسط هذا الاختلاط انهار منطق علاقات التراتب الهرمية وكل ما يتصل به من أطروحة تماسك السلطة المركزية . وتحول النص إلى معادل لازدحام الواقع بالشخصيات واكتظاظ المدينة بالبشر دون نظام أو نسق محددين . وكأن الكاتب فى طموحه إلى أن يجعل نصه معادلا لعالم المدينة المكتظة بالبشر ، ملأ النص كذلك بالشخصيات مثلها . وأودى هذا الاكتظاظ بأهمية أى فروق طبقية على المستوى الظاهرى وحده ، لأنه أسس قوانينه المغايرة لعلاقات الطبقات الاجتماعية الجديدة ، التى تبدو على السطح وكأن قانونها الحاكم هو الفوضى المتناهية . ولكننا سنرى فيما بعد كيف أن لهذا القانون منطقه الذى لا يقل حدة وصرامة عن المنطق القديم . ذلك لأن شخصيات هذا العالم تتلاحق فى النص بصورة عفوية لا ينهض التتابع فيها على منطق التعاقب السببى ، وإنما يحكمه منطق جديد هو منطق التتابع الكيفى الذى يوحى للوهلة الأولى بأنه ليس أكثر من فوضى منظمة . إذ تتزاحم فى ساحته الشخصيات ، كما تتزاحم فى هذا الواقع النامى الذى لا يرحم . ففى رواية (النزول إلى البحر) أكثر من ثلاثين شخصية ، بالرغم من أن صفحاتها لا تزيد على ١٦٠ صفحة . وهذه فى حد ذاتها ظاهرة تستحق الاهتمام ، لأن الروائى الجديد يطمح إلى تحويل الفضاء النصى ، إلى معادل للمكان الجغرافى أو الواقعى ، بحيث يتبادل الاثنان التفاعل والتداخل . فازدحام النص بالشخصيات ، فى هذه الحالة ، سمة فنية ذات قيمة مضمونية فى الوقت نفسه . وإن كان إنجاز جميل عطية فى هذا المجال ، لا يصل إلى الحد الذى حققه إبراهيم أصلان ، فى روايته المدهشة (مالك الحزين) التى قدم فيها أكثر من مائة شخصية فى أقل من مئتى صفحة .

وتنهض العلاقات بين تلك الشخصيات لا على أسلوب التراتب الهرمى أو شتى تنويعات علاقات القوة ، وإنما على علاقات التقابل والتضاد ، وهى علاقات ذات طبيعة ثلاثية لا ثنائية . إذ يبدو أن النص قد خلق لكل شخصية فيه رديفها ، وقرينها اللذين يبرزان لنا من خلال التضاد بينهما ، وبين الشخصية الأصلية طبيعة الشخصيات الثلاثة جميعاً . وليست مثلثات الشخصيات فى هذا النص منفصلة ولكنها متصلة ومتداخلة . يساهم تداخلها فى تركيز العمل من ناحية ، وفى إحكام نسيج الشبكة التى أشرت إليها قبل قليل . فإذا أخذنا شخصية سيد ، التى تبدو وكأنها الشخصية الرئيسية فى النص ، ولكنها ليست إلا إحدى شخصياته الهامة ، سنجد أنه طرف فى أكثر من مثلث واحد من مثلثات العلاقات المتراكبة فى هذه الرواية . فعلى الصعيد الموقفى ، يقع سيد فى المنتصف بين غبريال الثورى وشطارة البراجماتى . أما على صعيد الخيار الاجتماعى ، فإنه طرف فى مثلث يشكل كل من الدكتورين صابر المتفانى وصادق الانفتاحى ضلعيه الباقيين . وعلى الصعيد العاطفى نجد أنه يشتبك فى علاقة حب مع لواحظ وعلاقة زواج مع زينب دون أن يتمكن من تحقيق نفسه فى أى منهما .

(٦) شبكة المثلثات المتراكبة ومناخ التساؤلات والحيرة :

فسيد الذى نشأ فى حى المقابر ثم تمكن من الانفلات المؤقت من قدره العاثى بتأجير شقة خارجه ، يجسد لنا استحالة الخلاص الفردى من هذا الواقع ، وضرورة أن يكون هذا الخلاص ذا طبيعة اجتماعية . ولأن هذا الخلاص الاجتماعى غير موجود ، على الأقل فى الوقت الراهن ، فإن النص يضع بطله من البداية فى حالة شلل واضحة . حيث تقطع ساقه فى حادث قطار . والواقع أن قعود سيد حبيسا للفراش معظم الوقت له دلالة فنية ناصعة . فسيد ليس قعيد ساقه المبتورة ، بقدر ما هو حبيس حلم شبابه المدمر . هذا الحلم المحبط بالتغيير ، والذى أودى بحياة غبريال ، وسلب من عالم لواحظ أى معنى أو تحقق ، هو الذى ينخر فى روح سيد ويقعده عن الفعل والحركة . إن مبعث هذا الشلل ليس الساق المبتورة ، وإنما العجز عن معرفة جواب سؤاله الملحاح : لماذا يسكن الناس المقابر بعد ثلاثين عاما من الثورة ؟ وهو سؤال يفجر النص بالعديد من الأسئلة ، وعاصفة تساؤل سيد الانفتاحى ، الذى يبدو على السطح وكأنما لاعلاقة له بالأمر ، هل الناى آلة حزينة أم أن عازف الناى يتعمد الشجن ؟ (ص : ٩) ، أو بالأحرى هل هذه النغمة الحزينة التى تتخلل الحياة مقدورة أم مجلوبة ؟ وهو سؤال يتصل به سؤال سيد الآخر عن أخيه الرضيع : « أين ترمى الرياح بهذا الطفل الرضيع ؟ هل يبقى فى المقابر أم يذهب بعيدا ، ويعبر النيل إلى حياة أخرى » (ص : ٨) ، والواقع أن امتلاء الفصل الأول من النص بالأسئلة هو التجسيد اللغوى لحالة الحيرة وفقدان المعنى . فالرواية تبدأ بالرغبة فى النزول إلى الواقع والعودة إلى الجذور ، وتنتهى بالإعلان القاطع بأن هذا الأمر لم يتحقق أبدا ، أو على الأقل لم يتحقق بعد .

وبهذا يظل هذا المناخ التساؤلى مسيطرا على العمل كله ، ولا تستطيع أى من المسارات الأخرى التى انتهجتها بقية الشخصيات أن تقدم لنا جوابا شافيا عليه . فالدكتور صابر ، قرين سيد ونقيضه فى الوقت نفسه ، لا يقدم لنا سوى جوابا فرديا لا يصلح لحمل هذه الأزمة المعضلة . لقد سار فى رحلة معاكسة لتلك التى اختطها سيد لنفسه . فقد تمكن من التحقق على المستوى البرجوازى . عبر النهر بالفعل إلى الضفة الغربية ، وافتتح عيادة ، وتزوج من علية القوم ، ولكنه سرعان ما اكتشف أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العبور إلى الغرب مازال منطويا على بذرة الموت الخبيثة . فعاد أدراجه من جديد ، إلى الالتزام الحسى بأوجاع الشعب ، وهجر عيادة المدينة ، وكرس كل جهده لعيادة المقابر ، بل وحاول أن يستهوى إليها زميله الضائع الدكتور عزمى الذى سرعان ما اقتنصته شبكة علية القوم من ، وياللمفارقة ، وسط المقابر . ومشهد ذهابه مع جلفدان هانم إلى قصرها العريق قذرا مجهدا تواقا إلى الراحة والنوم ، من أكثر مشاهد النص دلالة على فردية هذا الخلاص . وعلى أن المدينة الأصلية لها سحرها الذى لايقاوم ، والذى يلتقط كل العناصر البارزة من عالم المدافن ، ويهيىء لها وسائل الراحة والترغيب ، حتى تظل المقابر سادرة فى تخلفها الذى لا خلاص فرديا منه . كما أن هذا المشهد نفسه يقدم لنا بطريقة غير مباشرة العالم الذى خلفه الدكتور صابر وراء ظهره ، ليعود من جديد إلى أهله ، وليداوى قدر طاقته أوجاع الذين يعيشون فى المقابر . وليتزوج من صفية التى تحاول ، بطريقتها الخاصة هى الأخرى ، الالتزام بهذا الواقع ، وبأهله الفقراء .

وإذا عدنا ، بعد هذه الوقفة القصيرة مع شخصيتى سيد والدكتور صابر ، سنجد أن الرواية قد حاولت على الصعيد النسائى أن تؤسس علاقة واضحة بين كل من زينب ولواحظ . لا من خلال سيد وحده ، ولكن عبر إصرارها على إن « زينب كلواحظ فى مشيتها وفى جمالها وقوامها العفى » (ص : ١٥٥) . لكن الرواية لا تنسى أن لزينب مثلثها هى الأخرى ، فإذا كانت قرينا للواحظ فإن لها علاقة أخرى بالسيدة مريم العذراء (ص : ١٤١) . وإذا أصبحت زوجة لسيد ، فإنها معبودة المعلم جرجس ، وأمل شطارة الذى لم يتحقق . أما لواحظ فإنها هى الأخرى مشتبكة فى أكثر من مثلث ، فهى طرف فى مثلث سيد وطبيب الأسنان من ناحية ، وفى مثلث صفية وعلوية هانم من ناحية أخرى . إذ نجد صفية فى لواحظ قرينها وفى علوية نقيضها . وهكذا الحال بالنسبة لمعظم الشخصيات الرجالية والنسائية فى هذا النص الذى تصوغ مثلثاته المتراكبة تلك ، تفاصيل الشبكة النصية والمضمونية التى تتخبط فيها الأحداث والشخصيات .

بل يوشك التقابل وشبكة المثلثات أن يكونا السمة الأساسية التى تحكم بناء هذا العمل الروائى كله . ففى مقابل عالم المقابر وحياة من يعيشون فيه ، يقدم لنا النص عالم المدينة الأصلية ، لا فى تنويعاته الفقيرة فحسب ، وإنما فى تنويعاته الأرستوقراطية التى تنتمى لها علوية وجلفدان هانم . وإذا كانت هذه المقابلة لا تبرز حدة التضاد بين العالمين ، فإن النص ما يلبث أن يرهف حدة هذه المواجهة بإقامة تقابل صارخ بين عالم الحياة فى مدائن الموتى ، وألق الحياة تحت أضواء الشاشة الصغيرة . وعقد موازاة واضحة بين عالم الحياة فى مدينة الموتى وعالم الحياة الريفية التى خلفتها الندابة وراء ظهرها ، بالصورة التى تكتمل معها صورة المثلث . كما أنه يضع عالم المقابر ، على المسافة الممتدة بين العمل النقابى الثورى من ناحية ، وعالم الانفتاح الاستغلالى من ناحية أخرى . ويصل حاضر هذا العالم بماضيه الذى كان عبور النهر إلى الضفة الغربية فيه يشير إلى الموت ، فقد أصبح لهذا العبور دلالات مناقضة لدلالاته القديمة . لأنه يوشك أن يكون تخليصا لأمل النجاة من قدر الحياة فى عالم المدافن ، وهو أمل أقصى ما يقال فيه إنه أمل واهن أو خادع ، لا رجاء منه فى عالم الرواية .

ويتصل ازدحام النص الروائى الجديد بالشخصيات بسمة أدبية هامة تتعلق بطبيعة رسم الشخصيات ، وبأسلوب تأسيس خريطة علاقات التفاعل بينها . إذ لا يعتمد رسم الشخصيات فى (النزول إلى البحر) ، وغيرها من روايات الحساسية الأدبية الجديدة عامة ، على الإسهاب القديم المولع بتفاصيل واقع الشخصية الاجتماعى ، والاغراق فى التكهنات الراغبة فى صياغة ما تسميه بواقعها النفسى ، وإنما يقوم على اللمسان الحادة السريعة الموجزة ، التى ترمى إلى الكشف عن جوهر الشخصيات ، وشحنها بطاقة من الحيوية والتألق . ذلك لأن رواية الحساسية الجديدة ليست مشغولة بموضوع دراسة دوافع الشخصيات ، أو التعاطف معها كما كان الحال فى الماضى ، فقد تجاوزت الرواية حدود هذا التعاطف ، الذى كان ينطلق من عدد من التقاليد والمواضعات الفنية ، التى تضع الكاتب خارج النص ، وفى مكان أعلى منه ، لأنه السلطة التى تنظر من على إلى كل مايدور فيه وتسيطر عليه . ومع أن سلطة الكاتب على النص لم تتغير من الناحية الحقيقية ، فإن رؤيته لها هى التى تغيرت بشكل كبير . فهو أنه هو خالق كل شخصيات النص إلا أنه يتعامل معها من منطق الندية . يسلم بحقيقيتها ، ، ويحترم تصرفاتها ولا يعتذر عنها . ومن هنا ينطلق رسم الشخصية فى تلك الروايات من مجموعة مواضعات جديدة . ترى أن تقديم الشخصية فى الفعل اللحاد المباشر العارى من كل ترهل عاطفى ، كفيل بالكشف عن دوافعها منه ، والإفضاء بكل ما ينطوى عليه من دلالات . ويرتبط طرح الترهلات العاطفية ، والتكهنات النفسية عن أفق الرواية ، بطرح أسئلة الهوية عنها كذلك . ذلك لأن الرواية تقدم لنا شخصيات لا تعذبها أسئلة الهوية بقدر ما تضنيها أسئلة الحاضر ، والمصير ، فى عالم تتقوض فيه أبسط الأحلام الإنسانية المشروعة فى حياة بسيطة ، تكفل للبشر المستوى الأدنى من الكرامة والتحقق .. ولكن يبدو أن هذا إفراط فى الحلم ، فى عالمنا العربى المعاصر ، الذى يعانى إنسانه من تمزقات الضياع والهوان .

القاهرة : د . صبرى حافظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومشكلة الكاتب ـ فى رأيى ـ أنه هنا يبذل جهداً واضحاً فى بناء عمله الروائى ، تظهر فيه قدراته الفنية بوضوح ، ثم ـ واقعاً تحت تأثير تلاحق الأحداث وانبهاره بما يجرى من حوله ـ يهدر العمل الجيد بتسليمه إلى الدعاية السياسية المباشرة الفجّة .. فالقصة تنتهى بما يسمى ثورة التصحيح فى مايو ١٩٧١ ، والإفراج عن المعتقلين فى القلعة ، ومحاكمة (الجعفرى) ، رمز مراكز القوة ، و... (حتما يا عين حور ، سيعود إليك الحب والعدل والسلام) ، ص : ١٨٩ .

وأول ما يسىء إلى الرواية عنوانها (وراء الشمس) ، فقد تردد هذا العنوان كثيرا على ألسنة الناس حتى استهلك وابتذل فى الشارع المصرى . والرواية ، وإن كانت تهتم بشكل مضخم بتفاصيل ما يجرى خلف أسوار المعتقل ، فإن ذلك ليس همها الأساسى ، فالمفروض أنها تحكى من خلال عملية اعتقال حدثت ، فيما يشبه النكتة ، مأساة جيل بأكمله ، عاصر النكسة بمقدماتها ونتائجها بكل مرارتها ، مع التركيز على أبناء الطبقة تحت المتوسطة ، الذين يطلبون العلم فى الجامعة وتسبق تطلعاتهم إمكاناتهم المادية والاجتماعية .. إنهم يبرزون فى وجه العواصف أعوادا نحيلة من النبات ، متقطعة الأسباب والاتصال إلا من زاد يسير مضطرب من الثقافة والقيم الروحية والدينية ، يروح ويجىء بين مد وجزر .

دراسة

السّقوط "وراء الشّمس" فى رواية حسَن محسّب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رجب سعد السيد

حسن محسّب روائى غزير الإنتاج ، ولأدبه ملامحه الخاصة التى قد يستسيغها البعض وقد يرفضها آخرون ، لكن يبقى أنه روائى متمكن من فنه ، وكانت له إسهاماته ـ من خلال بعض فنه الروائى ـ فى رصد التحولات الخطيرة التى ألمّت بالمجتمع المصرى ، منذ بداية السبعينات حتى نهايتها . قد تكون رائحة الدعاية السياسية ظاهرة فى بعض أعماله ، ولكن ذلك لا يبرر صمت النقاد تجاه هذا الأديب..

وسنحاول ـ فيما يلى ، أن نتبين بعض معالم العالم الروائى لحسن محسب ، من خلال جولة فى بعض أعماله الروائية ، نبدأها بروايته « وراء الشمس » التى كتبها فى بداية عقد السبعينات (انتهى من كتابتها فى ٥ مارس ١٩٧٢ .. للتاريخ دلالته !) .

وتدور أحداث الرواية داخل أسوار سجن أو معتقل القلعة ، خلال فترة الاضطرابات الحادة التى أعقبت يونيه ١٩٦٧ .

والواضح أن ذلك لم يكن غائبا عن ذهن الكاتب ، ولكنه كان مشوشاً ومتداخلاً مع رغبة ملحّة فى الهتاف لما كان يسمى بحركة أو ثورة التصحيح فى مايو ١٩٧١ .

إننا ـ فى رواية حسن محسب ـ نقابل بعض النماذج البشرية التى بنيت على أكتافها الرواية ، والتى خدمها الكاتب بشكل جيد ، فرصدها والتقطها من المجتمع المصرى ، واستعاد تاريخها وصلاتها الاجتماعية وتطلعاتها وإمكاناتها ، وربط كل ذلك بما يجرى فى المجتمع من أحداث وتغيرات . وبالرغم من أن الرواية تحتوى على ما يزيد على عشرين شخصية ، موجودة فى الرواية ، أو « متواجدة » فى وعى الشخصيات المتواجدة بكياناتها ، فإن البنيان الروائى يقوم على عدد قليل من الشخصيات .

وأول هذه الشخصيات ، شخصية (الجعفرى) .. وهو مدير المعتقل . وتبدأ الرواية بأوامر سرّية تصدر إليه باعتقال (وليد ، وعصام ،

ويوسف) ، لأنهم أثاروا المتاعب فى بلدتهم أثناء عملهم فى حملة نحو الأمية ، « ويحرضون الأهالى ضد السلطات » .

وهنا نقف أمام ملاحظة : هل الأمر بالاعتقال يصدر مباشرة إلى مدير المعتقل ، فيقوم هو ، أو هو ورجاله ، بعملية الاعتقال ، أم أن عمله يبدأ من مرحلة استقبال المعتقلين فى المعتقل الذى يديره ؟ . وهذا يشى إما بعدم خبرة الكاتب الكافية فى هذا المجال ، أو بأنه لم يفطن إلى هذه الهنة وهو فى تسرعه لتسجيل إدانته لعصر مراكز القوى ، والتبشير بالتصحيح القادم .

فرصة هى ـ إذن ـ أمام الجعفرى لإحراز انتصار جديد ، ولزيادة ثقة الكبار به ، مما يقربه من هدفه التاريخى . وهو شخصية سوداء على طوال الخط ، ولديه عجز جنسى يوجّه تصرفاته ، بالإضافة إلى تاريخ أسرى رهيب . وهو شغوف بممارسة التعذيب بنفسه ، ويردد بشكل متصل كلمة (يانسوان) . ص : ٣٤ .. (أخذ نفسا طويلا من سيجارته ، ورأى للحظة خاطفة جسد سهير عاريا بين ذراعيه ، واشتهى شفتيها .. ثدييها .. وصرخ فى أعوانه هربا من عجزه الفاضح : يانسوان !) .

وثمة علاقة قديمة بين أمه وأبيه وبين السراى .. فهو ، إذن ، سليل كم هائل من القيم التسلقية . وهو ، عندما يقدم خدماته للكبار ، لا يفعلها من أجل سواد عيونهم ، بل من أجل أن يحقق (الهدف) .. لقد صار الآن أقوى من أسياده . إنه يملك الدليل ضدهم .. صاروا ضحايا تحت يده .. هو وحده يملك أن يفضحهم ويعريهم فى الوقت المناسب ، لينقض ويحقق أحلامه التسلقية العتيقة . وفى إشارة إلى الماضى ، قال الجد للأب ، الذى كان يريد للحفيد (للجعفرى مدير المعتقل) ، أن يلتحق بكلية الطب : (آه لو تعرف كم دفعت للملك وحاشيته مقابل لقب الباشوية ، ونظير توظيفك فى الديوان الملكى ، لاحتقرت نفسك لأنك تريد ابنك الجعفرى الصغير مجرد طبيب .. إنك غبى ..) . وهكذا ، تم الإعداد لأن يصير الجعفرى الصغير قويا جبارا مرهوبا ، عالما ببواطن الأمور ، وصانعا للأعاجيب .. يجلس ويحلم باليوم الذى تردد فيه الجماهير اسمه ، ويستطعم ذلك الرنين الذى يثيره اسم الجعفرى فى حناجر الجماهير .

إن التاريخ الإجتماعى للجعفرى يعطيه تبريرا لتطلعاته غير الشرعية ، كما أن مكوناته النفسية والجسدية ـ كذيل للكبار ، وكعاجز جنسيا ـ هى الطاقة التى تدفعه نحو هدفه . وهو فى سبيل هذا الهدف ، يرضى الجميع ، ويقدم زوجته إلى الرجل (الكبير فى إدارته) ، استثمارا مزدوجا ، يعوضها عن الشىء الذى لا يستطيع أن يقدمه لها ، وفى نفس الوقت يوطد علاقته بعالم الكبار .

وها دمنا قد دخلنا ـ مع أبطال الرواية ـ معتقل الجعفرى ، فلا بد أن نتوقع سياحة وحشية داخل الزنازين وقاعات التعذيب ...

وتبدأ حلقات التعذيب فى مضيفة محمد على باشا ـ القلعة . ولابد أن يعترف الشبان الثلاثة بما يدفعهم دفعاً إلى منطقة الظل الأبدى : ما وراء الشمس ! . حفل وحشى استمر طول الزمن الروائى . ومن خلال لحظات توقف العزف الوحشى ، بل وأثناءه ، ينسج المؤلف خيوط روايته : الأبعاد المختلفة للشخصيات ، وظروف الوقائع ودلالاتها وتراكماتها . يتم ذلك عن طريق المواجهة بين الضحايا والجلاّد ، وما يمكن أن يتفجر عن ذلك من مواقف وأحداث : إهدار إنسانية الشبان الثلاثة ، ومواجهتهم للغول وتحديه ، اكتشاف الغول لأبعاد اللعبة التى تحاك ضده وتهدد مصالحه ـ مقتل عصام برصاصات الجعفرى ـ مقتل يوسف أثناء التعذيب ـ تصاعد موقف (الصول عبدالحق) وتحوله من التعاطف مع المعتقلين إلى المواجهة المباشرة وعصيان الجعفرى إلى آخر المواقف والأحداث .

ويستخدم المؤلف (الاسترجاع) لاستقدام الأحداث والذكريات التى تسهم فى نسج لحمة الرواية ، وإن كان استخدام هذا التكنيك غير موفق فى بعض المواقع ، مثل : تذكر عصام ـ وهو راكع تحت قدمى الجعفرى وينظر إلى القسوة فى عينيه ـ عينى أدبيه ، ويلى ذلك تفاصيل كثيرة ودقيقة ، نتعرف فيها على جزء كبير من علاقة عصام بأبيه (الأستاذ فتوح) فزمن وطبيعة النظرة فى عينى الجعفرى ـ فى تلك المواجهة الذليلة خلال طقوس التعذيب الوحشى ـ لا يتناسبان مع زمن سرد وطبيعة تاريخ علاقة ابن بأبيه ، مهما كان من سوء هذه العلاقة ، ويخلق هذا فجوة بين القارىء والعمل الروائى ، لافتقاد الصدق الفنى . وعلى كل حال ، فإن مشاهد التعذيب مطوّلة ، وتبدو مخططة ومترهلة فى بعض الأحيان .

وعصام ، أحد أفراد الثلاثى المعتقل ، وهم طلبة جامعيون ، ومن بلدة واحدة ، وقد جمعتهم اهتمامات واحدة فى فترة النكسة . إنهم ـ كل من خلال رؤيته ـ يحاولون تلمّس الطريق إلى النجاة . مثقفون . حريصون على ارتباطهم بالجماهير من خلال دروس محو الأمية ومن خلال لقاء اتهم بالأهالى فى نادى الطلبة بالبلدة ، يناقشون مشاكلهم اليومية .

وعصام شديد التشاؤم ، ويرى « التسيب » فى مجتمع سنوات النكسة بشكل متضخم يلح على مزاجه السوداوى . وهو يرد كل مظاهر الفساد إلى الهزيمة العسكرية .

وتحت وطأة التعذيب ، يبدى استعداده للاعتراف ، كمحاولة ـ ليس أكثر ـ للتخفيف من العذاب الذى لم يعد يحتمله .. فهو يريد أن يلتقط أنفاسه . وفى غرفة الإنعاش يكتشف أنه يدفع غاليا ، بينما الآخرون قد فعلوها واختاروا الطريق السهلة ، وعاشوا . حتى أبوه .. ضاجع (أم بسيمة) فى فراشه هو ، وخان ذكرى زوجته ـ أم عصام ـ المتوفاة ، وحقق مكاسبه وتطلعاته الخاصة : برجوازى صغير ، استطاع خلال عشرين سنة أن يرتقى إلى (ناظر مدرسة) وأن يمتلك عشرين فدانا .

ونتساءل : هل السبب فى هذه النظرة الانتقادية القاسية إلى الأب هو اكتشاف خيانته لذكرى الأم ؟ .. أم أنها نتيجة لموقف فكرى معين ؟ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولماذا لم يظهر هذا الموقف من قبل ، وظل الإبن عصام متعايشا مع أبيه ، وظهر ـ فجأة ـ فى حجرة التعذيب وتحت قدمى الجعفرى ؟ .

وفى زيارة فتوح أفندى (جيل ما قبل الثورة) للقاهرة ، ينزل ضيفاً فى حجرة ابنه عصام (جيل الثورة) ، فوق سطح عمارة بالزمالك ، ويتصاعد الموقف بينهما :

الأب : ماذا تريد منى ؟

عصام : الحقيقة ! .. ما لديك منها على الأقل .. علّنى أفهم .. علّنى أعرف من أكون ، وإلى أين أسير؟

الإبن يتكلم بلغة لا يفهمها الأب الذى ألقى إلى القاهرة لزيارة أضرحة أولياء الله ـ كما يدعى ـ وفى السر ، لممارسة مجونه مع بغايا القاهرة . لقد حجب الأب نفسه عن ابنه .. لم يعلمه إلا أن يكون جبانا مذعورا (منعه ، فى الماضى ، من المشاركة فى فض شجار بين أهالى البلدة) . وتنتهى المقابلة ، ويرجع الأب إلى البلدة ، ويرسل إلى ابنه خطابا يعنّفه فيه على تصرفاته وأفكاره ، ويقطع عنه المعونة . وتكتمل حلقات ميلودراما الأقدار حين يقع الخطاب فى أيدى زوّار الليل ، ويتخذونه دليلا ضد عصام (وشهد شاهد من أهلها) .. فليس أدل على إدانته من خطاب كتبه أبوه بخط يده يؤكد فيه تورطه واعتناقه لأفكار لا يرضى عنها . وكما قلنا ، يسترجع عصام هذه الذكريات وهو فى الزنزانة ، تحت قدمى الجعفرى . وبالرغم من أن عملية الاسترجاع مقلقة بنائيا ، فإن المؤلف كان موفقا حين صور اللقاء المسترجع بين عصام وأبيه كما لو كان قد تم فى زنزانة .. فالحجرة فوق السطح تشبه الزنزانة . وكل من الأب والابن سجين أفكاره الخاصة .. سجين أيامه ، سواء الماضية أو المستقبلة ، بكل ما تحمله من ترسّبات أو تطلعات .

وينتهى مشهد تعذيب عصام بأن تهتز الحقائق أمام عينيه ، فيحاول أن يغير منظاره ويعيد اكتشاف الأشياء . ويكتشف ـ فجأة أيضاً ، ونكتشف نحن معه ـ فجيعته فى حبه وحبيبته (زينة) ، بعد فجيعته فى أبيه (سقوطه) ، وفجيعته فى نفسه (رجولته المهدرة) .

وزينة ، فتاة مصرية عصرية ، تتفاعل مع الحياة تفاعلا تاما ، ولكنها ـ مثل عصام ـ تفتقد إلى من يساعدها فى شق طريقها وسط خضم الصراعات الاجتماعية . إنها تمارس حياتها بكل ما فيها من متعة وضياع ، وتحب عصام ، ولكنها تجد المبررات التى تدفعها إلى خيانته مع صديقه يوسف : (عندما أتزوجه سأخلص له تماما !) . وهى تريد منه أن يتزوجها ، وهو عاجز عن تحقيق ذلك .

وشخصية زينة ـ من وجهة نظر البناء الروائى ـ متضخمة . فهى لا تفيد إلا فى إضافة بعض (الرتوش) إلى صورة عصام ، والرواية لا تتحملها كشخصية بأبعادها الاجتماعية والنفسية (المذكرات الطويلة مثلا .. فقد أورد المؤلف مذكراتها الشخصية بشكل مطوّل ، يمثل عبئا على بناء الرواية) .

نعود إلى شخصية عصام التى زلزلتها صنوف العذاب فى المعتقل . إنها شخصية سريعة الانفعال ، سريعة الاستجابة للهزات . وهو يتذكر كل الذين استسهلوا الخطوات ، ابتداء من أبيه حتى أستاذه الجامعى الذى يعتقد أنه انحرف حين شاهده يبيع مبادئه وعلمه سلعة استهلاكية فى وسائل الإعلام ، حتى حبيبته زينة وخيانتها الفاجعة . إنه يذكر كل هذه الأشياء وتراكمها ، كما لو كان يبحث عن مبرر للتراجع ، ولكنه يتمالك نفسه فى اللحظة الأخيرة فبعد أن ضبط زينة وهى ترتاد عوامة امبابة ، حيث يقيم يوسف ، خرج مع وليد إلى الشارع وهو فى حالة من الانهيار : (أريد أن أهرب .. من مصر كلها .. الهرب أو الموت .. لكنى أعرف نفسى .. جبان !) .

وهو حين يرجع إلى نفسه ، ويخرج من نقطة الاهتمام الأنانى ، ويرد الأشياء والجزئيات إلى مكانها الصحيح من الحركة الأم ، يحاول إنصاف زينة ، ولا يدعها وحدها تحمل الصليب . يحادث الجعفرى (ص : ٦٢) : «كانت لى صديقة غالية .. اسمها .. لا .. لن أقول لك اسمها .. كنت أقول لها على الدوام يا ابنة الشمس والنار .. سأسير إليك على درب طويل .. على نغم الحق والعدل .. وستكون شفتاى مغلقتين .. ولن أستطيع أن أغنى الأغانى القديمة .. ولكن كل شئ قد انتهى .. ذهب .. تبدد فى لحظة جنون .

فضحك الجعفرى مدعيا الاهتمام : (خانتك !) . وانتفض عصام واقفا .. وقال بحقد شديد : (لا أعرف ماذا أقول لك .. إنك تفجر احزانى .. تثيرنى بطريقة غير لائقة .. لقد كنا نسير ونحن نيام .. كان بعضنا يسير بخطوات بطيئة ، وبعضنا يلهث ، وبعضنا يهرب .. لكننا كنا نسير .. إلى أن وجدنا أنفسنا هنا ، وفى داخلنا حزن يتحدى كل إغراء !) .

إنه هنا يخرج واقعة الخيانة من حيز المحدودية الفردية . إنه يسقط ظلالها على المجتمع . ثم ، هو يحاول فى موضوعية ، وبمنطق مقبول ـ روائيا ـ أن يبرر خيانة زينة أو يخفف من أثرها .

يقول ص : ١٠٣ : (.. إننى قد غفرت لك .. ففى زمن الوقاحة لايصح أن أتهمك أنت دون غيرك .. الكل مدان .. وأنا وأنت من هذا الكل المذنب بغير ذنب ..) .

إن شخصية عصام مرسومة بمهارة . إنه مثال للثورى المتشائم ، لم تساعد الظروف على إتمام نضجه . وهو يشاهد أقرب الناس إليه يتساقطون . إنه ـ بعد محاولته تبرير خيانة حبيبته ـ يعترف لها صراحة بضعفه : (.. كنت أتمنى لو كنت أملك شجاعة أكثر ، وصدقاً أكثر ، لأنقذك من هذه الدناءات .. لكن ، الآن فقط ، أعترف لك أنت وحدك بضعفى الشديد .. لكننى لم أجبن .. لم أخن .. لم أخطىء .. الخطيئة الوحيدة هى أننى لم أتسلّح بما يكفى من الشجاعة لمواجهة الأنذال .. لم أعد نفسى كما يجب ..) .

لذلك سقط (عصام فتوح عبد الدايم الهمشرى) ، ضحية خطيئته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوحيدة التى لا يتحمل ، وحده ، مسئوليتها . لكنه قبل أن يسقط برصاص زبانية الجعفرى ، لايفقد الأمل تماماً .. إنه يحلم ، بل يثق فى أن (حبيبته) ـ برغم كل شىء ـ « .. كفيلة ، ذات يوم ، بإنجاب الإبن الشجاع الجسور الذى لا يعرف مهادنة ولامساومة ، ولا يسمح لنذل ، مهما كان ، بالاساءة إليها .. » .

وثمة ملاحظة أساسية ، كان يجب أن نشير إليها فى البداية ، وهى أن الكاتب ـ لابد ـ قد واجه صعوبة فى عرض أفكار هؤلاء الشبان الثلاثة وثقافاتهم . وهو قد حاول ، بلا شك ، ألاّ يكون هذا العرض عن طريق حواريات قد تطول وتفقد حيويتها ، ويكون ذلك على حساب روح الرواية التى تضج بالحركة .. فلابد أن الحوار الفكرى ، خصوصا إذا طال ، سيقتل طبيعتها الديناميكية ، ويطىء من اندفاع تيارها . لذلك ، لجأ إلى عرض ملامحهم التكوينية ـ بوصفهم معتقلين من نوع خاص ، وخصوصاً وليد ـ عن طريق ملفاتهم لدى أجهزة الأمن ، وما تجمع فيها من تحريات عن أدق تفاصيل حياتهم وأفكارهم ، وتتبع لتطورهم الاجتماعى والثقافى .

وقد استخدم المؤلف هذه الحيلة ـ وهى ليست جديدة ـ بنجاح . فهو لم يثبت ، أو يقدم الملفات ككتلة ، أو مرة واحدة ، وإنما قطعها حسب تطور الأحداث ، وكان التقطيع مصاحبا لتطور القضية ، ومصاحباً أيضاً لنمو الشخصيات .

ومن خلال الهوامش التى وضعها وليد ، تعليقا على بعض قراءاته ، نتعرّف عليه .. إنه ذلك العقائدى المناضل .. ولا يخفى على الجعفرى ، بحسه البوليسى الذكى ، أن ذلك الولد وليد هو أخطر الثلاثة ، لأنه أكثر منهم قدرة على الرؤية الواضحة نسبيا ..

وعلى العكس من عصام ، فإن والد وليد ـ اسمه الزناتى خليفة ـ قد مات منذ زمن بعيد .. قتل فى نضاله ضد الإقطاعيين الذين كان يعمل أجيرا فى أراضيهم . ولابد أن يكون لذلك تأثير فى تكوين شخصية وليد .

وقد يبدو استخدام اسم الزناتى خليفة ، بإيحائه التراثى ، هنا ، استخداماً يحمل رمزا من النوع قليل القيمة الفنية لأنه مباشر ، غير أن ذلك يبدو ، إلى حد ما ، ملائما إذا علمنا أن هذه التسمية منتشرة ، أو كانت منتشرة ، بشكل واسع فى الريف المصرى .

وبعد سقوط الأب الزناتى فى معركته ضد الإقطاع ، تولى الشيخ تهامى رعاية وليد . والشيخ تهامى هو زوج أخت وليد ، وهو أزهرى ووفدى قديم ، سبق اعتقاله لاشتباه فى نشاط معاد للسلطة ، ثم أفرج عنه بشكل ما ، بعد أن ثبت أنه (فى حاله) ، وأنه يدعو للرئيس فى كل خطبة وصلاة . وهذه إشارة من بعيد إلى تحوّل الشيخ عن مبادئه القديمة . وهو قد سقط بعد ذلك ـ وبعد موت زوجته أخت وليد فى حريق القرية ـ فى أحضان (بلطية) ، غانية القرية (كما سقط أبوعصام فى أحضان أم بسيمة) ، وانقطعت رعايته لوليد .

برغم ذلك ، فإن وليد يحرص على فصل الحياة الخاصة للشيخ تهامى عن مبادئه وقيمه : « .. يجب أن نسمّى الأشياء باسمها الحقيق .. إن الشيخ تهامى لم يكن إلاّ إنسانا صادقا بعض الوقت .. كان تعبيرا عن أفكار قوية راسخة ، صنعتها أجيال من الأنبياء والرسل والخلفاء الراشيدين وأهل العلم والحكمة من المفكرين ، واستشهدوا من أجل استمرارها ووصولها إلى الأجيال تلو الأجيال .. » .

إنه يحاول ألاّ يضرس بسبب ما أكله الآباء من حصرم ، لأنه ـ على عكس عصام ـ يمتلك سياجا واقيا من الثقافات المتنوعة : دين ـ فلسفة ـ تاريخ ـ اجتماع ـ اقتصاد ـ أدب . وأعطاه كل ذلك قدرة أكبر على أن يقف مستقلا ، لاتؤثر فيه ، بشكل حاد ، ضبابية الرؤية . إنه نموذج أكثر إيجابية وأكثر صلابة من عصام ومن يوسف .

برغم ذلك كله ، سقط وليد ، لأن حركته ورفاقه لم تكن واعية بما فيه الكفاية . كانت (المؤامرة) تحاك من حولهم ، وهم يتردّدون فى الشباك غير واعين ، حتى فوجئوا واكتشفوا الخيوط وهم فى الزنازين . وكانوا ـ بدافع من الوطنية الجريحة فى يونية ٦٧ ـ قد أسهموا فى بعض الأعمال العسكرية لمساعدة الجنود المنسحبين . ثم بدأوا فى برنامج تدريب سرى ، للقيام بأعمال خاصة فى الأرض المحتلة . هكذا قيل لهم . وكان التدبير محكما .. فقد تحولت محاولة علاج جرح الهزيمة إلى عملية احتواء . من الذى فعلها ؟ .. من المسئول ؟ .. وربما تكون تلك إشارة إلى ظروف تكوين التنظيم الطليعى ، كما يراها المؤلف . على أى حال ، فإن ذلك الاكتشاف المتأخر لحقيقة ما جرى لهم هو ـ فى حقيقته ـ إدانة للجيل كله ، الذى يراه المؤلف ، ويصوره فى روايته ، مفتقدا للوعى .

والملاحظ أن كلا ممن أتى بهم حسن محسب ممثلين للجيل كله ، كان مشغولا بنفسه معظم الوقت .. عصام مشغول بزينة ، ويتحدث عن مغامراتها بشهوانية .. وليد يمارس الجنس مع الأرملة الضائعة المثقفة (نادية) ، التى استشهد زوجها فى ١٩٦٧ ، فانطلقت تمارس حياة الضياع وتطلق ، من حين لآخر بعض المقولات والعبارات المزوقة ، تبريرا لسقوطها .. ويوسف ، تهجره خطيبته (هدى) ، فيمارس الخيانة مع (زينة) ؛ حتى إن الجعفرى ـ حتى الجعفرى ـ تصدمه تلك الرائحة المنبعثة منهم فيواجههم بأنهم يدعون التدين والوطنية وهم يمارسون الجنس كأزيار النساء ، ويتخاطفون نساء بعضهم البعض ! .

ثم إنهم ـ برغم ارتباطاتهم العاطفية بحبيبات ـ يتجمعون مع الآخرين من رجال السلطة ، حول (سهير) ، التى كانت الفخ الذى وقعوا فيه ، وانساقوا وراء متعهم ، حتى إن وليد وهو يقابل يوسف وعصام لأول مرة فى عوامة سهير ـ وكان يقابلها منفردا من قبل ـ لم يفطن إلى أن تقابل ثلاثتهم فى العوامة أمر مدبّر . ص : ٩٣ . (.. لم يخطر بباله ، آنذاك ، أن هناك من دبر بذكاء تعريف ثلاثتهم بسهير .. كل ما شغله يومها هو مشاركة زميليه وسهير لحظة مرح بريئة) !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمّا يوسف ، فهو الشاب القادم من مدينة النضال الوطنى ، بورسعيد ، إحدى مدن الضربة القاصمة . ويهتم المؤلف هنا أيضا برصد تاريخه الأسرى من خلال نماذج من أقربائه . والنموذج هنا لخال يوسف ، الذى كان أحد أبطال معركة بورسعيد فى ١٩٥٦ ، ومات فى ظروف غامضة ، فيما بعد .

ويوسف دارس للفن . مثقف . يمارس الرسم . إنه المناضل فى ثوب الشاعر .. هو رومانسية الثورة ، إن جاز التعبير . ويحمل القسم رقم (٧) من الرواية عنوان : جواب حب . إنه اسم لوحة رسمها يوسف ولم يتممها . كان يوسف يريدها قاسية ، صارخة التعبير .. بل ومرعبة . واللوحة مطعّمة بكلمات فى حب مصر (صفحات : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨) ، رائعة ، رقيقة كالشعر . وكان يريد أن يهدى هذه اللوحة إلى حبيبته (هدى) .. إنها الحبيبة المثال ، وهو حين يناجيها ، تندمج شخصيتها فى شخصية الوطن (صفحة : ٢٧) . ولكن اللوحة لم تصل إلى هدى ، وضلّت طريقها ، فوقعت فى يد سهير .. وتتحول اللوحة إلى منشور سرى يتداوله الطلبة والعمال ، وتضاف اللوحة إلى ملف القضية كوثيقة إدانة .

أمّا عن علاقته بزينة ، فيتضح أنها هى - زينة - التى أوصلته إلى شركة إعلانات ليعمل بها . وقد أدين أيضاً بانتمائه إلى هذه الشركة اليهودية . فهل كانت زينة - إذن - جزءا من المخطط ؟ ! . إن الصورة تهتز أمامه ، وتتداعى الأشياء وهو يصارع العذاب فى الزنزانة ، متوجها بصلاته إلى يسوع .

ويأتى موت يوسف ، متأثراً بجراحه ، بين يدى الصول عبد الحق ، ويحيط المؤلف هذا الموت بطقوس شعرية ، تضفى على الموقف جلالا ، وجمالا خاصا (ص : ١٧٨) .

والرواية ، ككل ، يمكن أن توضع فى مجال دراسة نقدية مقارنة مع رواية (الكرنك) لنجيب محفوظ . إنهما تتشابهان فى الموضوع ، وفى المناخ ، وفى الملامح العامة للشخصيات ، وفى محاولة البحث عن إجابات للعديد من التساؤلات .. فهل تختلفان فى طريقة الاقتراب بهذا كله من شكل روائى متميز ؟ . إن ذلك موضوع دراسة أخرى ، نرجو أن نتمكن من إنجازها قريباً .

الإسكندرية : رجب سعد السيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

أوهام فرتر

عبد الناصر عيسوى

(إلى الأديب الألمانى جيته*)

(حَجَرًا بُولونيًّا)(١) .. كُنتَ وكُنتُ ..
تعوَّذْ بِى فى الأزْمِنَةِ اللّيلْ
أمْتَصُّكَ شمْساً .. فامْتصّ
وابْعثنى فى الأزْمَانْ
زَمَنًا .. زَمَنًا
وَتَلَبَّسْنى ..
وَجْهى وَجْهُكَ ..
حَدِّقْ فىَّ ، فإنّى (ڤرتر)
وَابْحَثْ عنّى .. فى الشّفَتَيْنِ الكَرَز ..
وفى العينيْنِ اللّؤلؤ ..
فى أعماقِ المحبُوبِ ..
وَفى أشْعَارِ (كلوبستوك)(٢)
وَابْحَثْ عَنْ محبُوبى
فى صَدْرى .. وعِظَامِى
فى أعْمَاقِ خَلايَاىْ
فى الأوْهامِ الحُلْوَةْ
فى ساعات الخَلْوَةْ
فى شِعْرِى .. فى عَبَرَاتِى ..
رُؤيَاىْ
فى تَطوَافِى كُلَّ الطُّرُقَاتْ
أحْلامى ، أوْهَامى ، أفراحى ..
آلامى
وَابْحَثْ عنّا فى مِنْقَارِ كَنَارِىٍّ ..
ينقُرُ فى شَفَتَيْهَا .. يَنقُرُ ..
فِى شَفَتَىَّ
ينقرُ .. ينقرُ
إذْ أتَلاشَى فوْقَ تِلالِ الْوَهْمْ
ايتَلُّ قميصِى فى الطُّرُقَاتِ الوَحْلِ ..
أحَاوِلُ أنْ أصْنَعَ مِنْ قلْبِى ..
فَانُوسًا سِحْرِىٍّ

(*) للأديب الألمانى جيته ، مجموعة رسائل بعنوان (آلام فرتر) يحكى فيها قصته مع محبوبته شرلوت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكنّى أكْشِفُ ..

عنْ أوْجَاعِ اللَّيْلِ الموْحِشِ ..

أسْنِدِ بيَدَيْكَ عَصَاىَ ..

أعِرْنِى ثوْبَكَ ..

إنَّ الثَّوْبَ تَلَطَّخَ ، فى الأزْمنةِ الطينيّةْ

لم أعْلَمْ - إلاّ الآنَ - بأنَّكَ مِثْلِى

تصنعُ مِنْ أوْهَامِكْ

أحْلى أيّامِكْ

ثُمَّ تَضِيقُ الطّرُقاتُ أمَامَكَ ..

تضمُرُ .. تَضْمُر

تَتَلاشَى فوقَ تلالِ الْوَهْمْ

يبتلُّ قميصُكَ فِى الطّرقَاتِ الوَحْلْ

فتعَالَ إلىَّ ..

وَحَدِّق فىّ

إنّى نَبْعُكَ حَيْثُ الْقَحْطْ

أُورِقُ ، حَيْثُ ذُبُولُ الورَقَاتْ

أُشْمِسُ ، حَيْثُ الغَيْمْ

حَدِّثْنِى عنْ نَارٍ تسْرِى بَيْنَ عُرُوقِكْ

عنْ عَبَراتِكَ .. رُؤْيَاكْ

أحْلاَمِكَ .. أوْهَامِكْ

أفْرَاحِكَ .. آلامِكْ

حَدِّثْنِى عَنْ مَحْبُوبِكْ

أُخْبِرْكَ بأنّا نَعْبَثُ بالْمحبُوبِ الْوَهْمْ

مَاذَنْبُ الشَّفَتَيْنِ المنهكتَيْنِ ..

تَجُوبَانِ الثَّغْرَ المُحْتَلَّ ..

ومَاذَنْبُ ذِرَاعَيْكْ ؟

شكِّلْ قَلْبَكَ - هَذَا الطِّفْلْ -

قُنْبُلَةً .. تعْصِفُ بالصَّدْرِ المُحْتَلِّ

كُنْ سَيْفًا .. وَانْسَلَّ

وتَوَحَّدْنِى

لكنّى - إذْ أمْشِى خَلْفَكَ -

أخْلَعُ عَنِّى قُبَّعَتَكْ

مَعْذِرَةً

لا تُلْبِسْنِى قُبَّعَتَكَ ، حِينَ انْحَسَرتْ عَنْكَ ..

لِتَقْذِفَ هَذَا الرَّأس

أتُخَفِّفُ مِنْ بأْسِكْ

هَذِى الطّلقَاتُ المقْذوفَةُ .. فِى رأْسِكْ ؟

وَتَمُوتْ

وَتَمُوتُ لِيَخْلُفَ بَعْدَكَ مَنْ ؟

لَنْ

لَنْ أَغْبَأَ بالْكَلِمَاتِ الضِّدّ

لنْ أقْبَلَ مِنْ هَذَا الْمُرْتَدّ

كَلِمَاتٍ غلَّفَهَا الدَّمْعْ

لنْ أتناوَلَ أقْرَاصَ النَّوْمِ الْمُمْتَدّ

وسَأَمْشِى فى اللاوَهْمْ

وأخوضُ بِحَارَ الْعِشْقْ

أرْسُمُ لِلْقَدَمَيْنِ مَدَارًا

وَأعُدُّ خُطَاىَ

القاهرة : عبد الناصر عيسوى

---

(١) قيل إن الحجر البولونى إذا عرّض للشمس امتصّ نورها ، وأشع مضيئا فى الليل بعض الزمن ، وكان فرتر يرى أن هذا حاله مع من يرى محبوبته ، إذ يكفيه النظر إليها

(٢) ايه كلوبستوك : شاعر ألمانى اشتهر بملحمة شعرية استنفدت حياته كلها ، وتقع فى عشرين نشيداً ، تغنّى فيها بمجيء الإنسان الإله ، وكانت شرلوت تتمثّل هذا النشيد السماوى ، فتترقرق عيناها ، وتمتلئ بالدموع .

السّنوات العجاف

ناهض منير الريّس

(١)

أيُّ باقٍ لنا
والصباحاتُ آخذةٌ فى التصحُّرِ
آخذةٌ فى العَطَبْ ؟

كانَ لى أربٌ فى المدينةِ
مِنْ بَعْدِ ما ضاعَ فى ريفِ أهلى الأربْ ...
كانَ لى صاحبٌ ،
كانَ لى مقعدٌ فى الحديقةِ ،
هيهات !
مَنْ ذا الذى يبتنى عشه فى المقابرْ؟

(٢)

أيُّ باقٍ لَنا
والصباحاتُ آخذة فى التوتُّر
آخذةٌ فى الصَخَبْ ؟

وطنٌ يتزلقْ
وطنٌ يختنقْ
وطنٌ يحترقْ
والمحررُ يتلو كتابَ المفاخرْ !

(٣)

أى باقٍ لنا
والصباحاتُ آخذةٌ فى التدهور
آخذةٌ فى الغَضَبْ ؟

والمحرِّرُ يتلو كتابَ المجازرْ
.. كلُّ شمطاء درداء غَيَّبَها الزمنُ
انبعثتْ مِنْ جديدٍ بقدرةٍ ساحرْ
أنبتتْ من جديدٍ نُيوباً تَعَضُّ
وعادتْ إلينا حروبُ العشائرْ
(أنتَ .. منْ أنتَ ؟)
(من أىِّ طائفةٍ ؟)
(منْ جدودُكَ ؟)
(كَيْفَ استبينتْ حدودُكَ ؟)
فى كلِّ بيتٍ قتيلٌ
وفى كُلِّ وقتٍ نزيفُ ضمائرْ
شَهَواتُ الدمِ المُسْتَفزِّ لثاراتهِ
احتقنتْ ..
ثُمَّ فَجَّرَها ـ بمناخسَ مسمومةٍ ـ
مَنْ أعدَّ لَهَا الأُقنيَة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« الدمُ العربيُّ ؟
إلى البحرِ .
سُحْقاً إلى البحر
سحقاً إلى الصحراءْ .. »
هكذا تُقْتَلُ الأمنيةْ ..
وَتُسَدُّ المعابِرْ ..

(٤)
ـ ما الذِى فعلتهُ القوارضُ بالمرجِ ؟
ـ هَلْ أنت محتطبٌ ؟
ـ صبيتى جائعونَ ،
وما مِنْ ثِمارٍ ليجَمّعها الجامعونَ
فهلْ مِنْ جذورْ ؟
ـ أنتَ تُبصرُ أعجازَ نخلٍ وأنقاضَ دورْ
ـ فما بالُها واقفةْ ؟
ـ هى تنتظرُ العاصفةْ
ـ وَتَمُدُّ إليها النواظرْ

(٥)
أيها الوطنُ المُبْتَلى بالصواعقِ
والخمرِ والانشقاقاتِ :
أنتَ مَريضٌ بوهمِ الزلازلْ
أنتَ غرناطةٌ فى أواخر أيامِها
أنتَ تحلُمُ ـ أثناء نزعِكَ ـ
أنَّكَ بعدَ قليلٍ تقاتلْ !
أنتَ يا وطَنَ الجارياتِ
ويا وطَنَ المستعدِّينَ للهجرةِ
القارئينَ تعاويذهمْ فى انتظارِ العجائبْ
آهٍ ...
ما لونُ هذا الأسى اليعربىِّ
وكَثْرةُ هذى المَقَاتِلْ
أمةٌ أكلتْ نفسَها بعدَ ميراثِها
أمةٌ رهنتْ شمسَها للأجانبْ !

(٦)
قُدُماً يا خريفَ العرايا
يا خريفَ القرى النائمةْ
بين أحلامِها الهائمةْ
قُدُماً يا مشيِّعَ آخر ما أنبتته الكرومُ
قرابين فاحشةً للمعاصرْ
قُدُماً ...
إنَّنا نعشقُ المهرجاناتِ
ـ لاسيَّما عَقِبَ الإنهياراتِ ـ
كىْ نتدارَكَها بالحناجرْ
آتِنا مهرجاناً لنا
مهرجاناً لأجلِ التساقطِ والانتثارْ
التساقطِ والانتثار هنا
والتساقطِ والانتثارِ هناكْ
نحنُ صفَّانِ فى الانتظارْ
نتحرَّى ظهورَ الغبارْ
لابسينَ معاطفَ مِنْ فضلاتِ الرجالِ
وراءَ البحارْ
واقفينَ على مشْطِ أقدامِنا مُنْعبينْ
نحنُ نهتفُ .. نهتفُ
خلفَ ظهورِ العساكرْ
بعدَ نصفِ نهارٍ مِنَ الانحناءْ
والصلاةِ لأمنِ الغذاءْ
والوقوفِ أمامَ المخافرْ ..
عامٌ فيهِ يغاثُ الناسْ
لِمَجيءِ الذى قَدْ يجىءْ
لهديرِ المياهْ
تحت نارِ الصخورْ
ابتهالاتُنَا والصلاةْ
أيُّها الساهرون جِوارِ الضفافْ
تغزلونَ النسيمَ خيوطاً لطوقِ النجاة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مادت الأرضُ من تحتكمْ
شمِّرُوا ،
وانشدُوا الأُفقَ المستحيلْ
لا بديلْ !

لا بديلْ !
لا بديلْ !
إن أنهاركمْ ذهبتْ فى المساربْ
والمحررُ يتلو كتابَ العجائبْ ...

دمشق : ناهض الريّس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مَوعد القُدَّاس

محمد الطوبى

تِطْوانُ دالِيةُ المواويلِ ،
اشْتعالُ القلْبِ بالشِّيحِ ..
انْدفاعُ المسْتحيل الرحْبِ ،
مئْذنة الحَمام الصَبِّ ،
فاكِهةٌ لأحْلامِ الذى يمشى إلى اللَّهَبِ الفصيحِ ..
سجَّادةُ النَّجْوى
نهَارُ البهْجَةِ القُصْوى ،
خُرافَةُ مَنْ أُحِبُّ ومَا يهبُّ على ضُلوعى
منْ تراثِ العشْق فى سُكْرى الصريحِ ..
تِطْوانُ ساقيةُ الزَمرُّدِ ،
قسْوَة العطْرِ الجريحِ ..
ربَابَةُ القمَرِ ،
انبجاسُ الضَوْء منْ وجَع الخُزامَى
فِضَّةُ الجسَدِ المَوشَّحِ ،
أوّلُ الإشْراقِ فى بَوح النَّدامى ..
غيْمةٌ خضْراءُ تبْزغُ منْ أساطيرِ القُدامى
نخْلةٌ للرُّوح تِطْوانُ ..
ازْرعى تِطْوانُ فى القلبْ الفسَائلَ والغماما

علِّقى أيْقونَة العشْقِ الشّجاع على المدىٰ
زغْرودةً نشْوى ، شِراعاً أوْ حمَاما ..

وَطنى قصيدةُ جُلَّنارِ
وقصيدتى امْرأةٌ تُبايِعُها سُيوفُ الماء ..
للحُلْمِ المُخضَّبِ بالنَّوارس
شرْفةُ العُمْر المشرَّد بيْن أجْراسِ النَّهارِ ..
وطفولةُ الجرْح ابتهاجُ غَزالةٍ
ونزيفُ قنْديلٍ ولوْعةُ ليْلكَةْ ..
الوقْتُ قُدَّاحٌ وزنبَق
وانْفتاحُ الفجْر فى الكلماتِ أزْرق ..
للسُّنونو أنْ يُطالبَ بالخُروج إلى الغِوايَةِ
للدَّوالى أنْ توَطَّدَ فى تراتيلِ المرَايا ممْلكَةْ ..
الوقْتُ قُدَّاحٌ وزنبَق
موْعدُ القُدَّاسِ أزْرق
والسّنابلُ فى البدايَةِ
لا تُصاحبُ موْكبَ الشُّعراء بالزَّفَّةْ ..
لا يدْخلُ الفقَراءُ قاموسَ المَدائح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والدمُ المغْدورُ عاد منَ الكنايَةِ ..
أيُها السيْف المبَجَّلُ فى الحِداد
يؤسِّسُ الشُّهداءُ ما يُلْغى الشِّعار ولا يبيعُ بكارةَ العِفَّةْ ..

رتِّلْ خَرابكَ ..
كلما اشْتعَلتْ على شبَقِ النَّدى صفْصافَةٌ
عَمِّدْ كتابكَ
بالزنابقِ كُلمّا سقَط الجدارُ من الشِّعارِ ..
ضَرِّجْ حِرابكَ
بالذى أوْصى حنينَ النَّحْلِ أنْ يلجَ اختيار الخيْلِ ..
يامعْزوفة الليْلِ انْشرى عشْقى على الأشْجارِ ،
لمْ يخْرجْ نهارى منْ رسَائِلِهِ
لتخرجَ منْ تعاستِها الغَزالةُ ..
للصدى بابٌ على النِّسْيانِ
أُغْنيةٌ يُزيِّنُها اكْتمالُ الفجْرِ بالمرجانِ ..
كيْف أتيْتُ هذا العشْقَ مفْتوناً ومجْنوناً ؟ .
على قلَقٍ كأنَّ السَّيْف لمْ يقْرأْ رُخامَ طفُولتى الأخْضَرْ
على قلقٍ كأنَّ العُمْر يفْتحُنى على مُدُن تُباحُ
كأنَّ ذاكرتى مُرَصَّعَةٌ بما يتوهَّجُ الزَّعْتَرْ ..
ويلهَجُ بالصَّعاليكِ الصباحُ
لآيَتى أرَقٌ يتَوَّجُها
دمى نارٌ ونَعْلاىَ الرياحُ ..

ما أضْيقَ العالَمْ
ما أوْسعَ الرُّؤْيا ..
حَوَّاءُ منْ آدَمُ
يا ورْطة الدُّنْيا ..

لا بيْتَ لى
لا أهْلَ لا عنْوانَ لى ..

هى غُرْبةُ الصعْلوكِ والقِدِّيسِ بيْنى
منْ يديكِ لبِسْتُ أحْوالى وزلْزالى
ومنْ قُدَّاسِكِ المخْفور بالصَّلواتِ والفِتْنَةْ ..
خلعَ المساءُ علىَّ سِلهامى* لأكْشِفَ ما يُبايِعُنى ويتْبعُنى
فعَمِّدَنى بنَارِ العشْقِ والجنَّةْ ..
منْ قمْح نهْديكِ ابْتكرْتُ نبيذَ أسْمائى
اغتسَلْتُ بضَوْءِ صُلْبانى ..
واكْتشفْتُ خَرائط الجنَّةْ ..

وَطنٌ وآلهةٌ مدنَّسةٌ ـ
سَبايا ..
فجْرٌ وأوْثانٌ منَجَّسةٌ ـ
خَطايا ..
عمْرٌ وأحْلامٌ منكَّسةٌ ـ
شَظايا ..

هلْ غادَرَ الشُّعراءُ وقْتَ المَلِكِ المسْفوكِ فى زمَنِ المُلوكِ ؟
أنا المشرَّدُ والشريدُ هناكَ فى وَطنى
أجوعُ ولا أمدُّ يدى .. أجوعُ فمَا انْكسَرْتُ
ولا دخلْتُ زَخارفَ الخُطبِ النَّحاسِيَّةْ ..
وَطنى أراكَ ولا سواكَ معى
يُرتِّلُ سُورة الحزْن النهاريَّةْ ..
وَطنى أراكَ ولا سِواكَ معى
يُسافرُ فى اختراق البائسين
أنا المشاكسُ والمشاغبُ والمطالبُ للجميع
بِما يليقُ منَ الرغيفِ إلى النبيذِ
بِما يليقُ لشمْسِ حُرِّيَّةْ ..

أنا نشْوةُ الحجَرِ
أنا دمْعةُ الوتَرِ
أنا سُطوةُ المطَرِ

* سِلْهام : بُرنس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحَرائقُ الشحْرور فى غسَقِ المَنافى ..
تصْعدُ التّرْتيلَ سيِّدتى صَواعقكِ الشهيَّةُ
صرْخةُ الوردْ الحزينةُ ..
نيْزكُ الولَهِ النبيلِ
تداعياتُ النّهر فى شفَقِ الهديلِ
تُرصِّعُ الإكْليلَ سيّدتى زَواجِلُنا الصفيَّةُ ..
منْ فَنار الشوْق تسْرى
بهْجَةَ الشبَقِ الجليلِ
رسائلُ الفيْروز ، ينْبوعُ القرنْفلِ ، شمْعَدانُ السُّكْرِ ..
حُلْمٌ جارحٌ يأْتى بلا وَجَلٍ بموسيقاهُ
تنْدلُع البشارةُ فى شذاهُ
وكُلّ أحْواشِ الجنوب تراهُ فيها *
والجداولُ والأيائلُ والمشاتلُ ..
منْ نداء الأرْض نوَّرَ فى الأغانى اللّوْزُ
ما أبْهاكِ سيّدتى ..
اكْتُبى جسَدى على قرْميدِ أقْبارٍ مُدلَّلَةِ
ستخْرجُ منْ تضاريسِ الحنينِ
ومنْ رصيف الياسمينِ ..
أنا مجاهدةُ المُحال ، أنا جموحٌ قاتلٌ
وأنا مُروقٌ سرَّحَ العصْيانُ هجْرَتَهُ
وأرَّقَهُ التوغّلُ بيْن أوْجاعِ الحقيقةِ والسَّرابْ ..
أنا حُرْقةُ الكلماتِ تُورقُ فى التأنّثْ
ثمّ تذْبلُ فى التلوُّثِ ..
كَمْ سأصْرخُ فى الطلول ؟
وكَمْ تعقّبُنى الحِرابْ ؟
لا أهلَ فى الأهْل الذين تقَسَّموا وتقاسَموا لَحْمى ..
أُسمّى لسْعَةَ العسَل الصُّعودُ
منَ التسكُّعِ فى السؤال إلى الجَوابْ ..
نِداؤكَ المذبوحُ بيْن الحلْمِ والصفْصافِ
فاتحةٌ لتُولدَ غبْطةُ الخُطّافِ ..

أشْرعةٌ وزوْبعةٌ تُناديكَ ،
انْتحاركَ لا يعرّفُ أوْ يُفلْسِفُ أوْ يشرّفُ نخْوَةَ الزُّعَماء .
كيف تقول : « أنَّ النّاىَ ينْزِفُ » ..
أنْتَ تعْرفُ أنَّ أبْواقَ العَواصم تُهتِفُ الزُّعَماء
قبْلَ الشّعْبِ .. قبْلَ اللهِ أحْياناً وتحْلِفُ ..
أىُّ صعْلوكٍ تُراكَ لسَوْفَ يقْتُلكَ المُروق
وأنْتَ تدْخلُ فى الرحيل إلى الخرابْ ؟
جسَدى شهابْ
وشُعاعُ ذاكرتى المسَهَّدُ والموحَّدُ فى كتابْ ..
إنّى لأسْألُ كيف أُقْتلُ مرّتَيْن
ولا يُعَرِّدُ فى يدى إلّا الترابْ ؟
إنّى لَفى حُمّاىَ أقْرأ فى « طَواسين » اغْترابكَ
يارفيقَ الحُزْنِ والأحْلامِ والرّمْقِ المُطوَّقِ بالسحابْ ..
الآنْ تبْحثُ كيْف تُبْعثُ مرّةً أُخرى بمعْجزةٍ ؟
وأقْرأُ : يضْلبونكَ فى بَياناتِ السُّلوكِ
وفى سُقوطِ الحقِّ منْ ميزانِهِ الكَوْنىِّ
فوْق مواقفِ الويسْكى وأرْصدة البنوكِ
ويضْلبونكَ فى الصحائِف فى اللوائح والصكوكِ ..
ويضْلبونكَ بيْن أوْسِمَةِ الفضائح والمدائح والذبائح ..
يضْلبونكَ .. يضْلبونكَ يا أميرى
ياحبيبى المسْتَفزُّ بعشْقِكَ الحيَوىِّ
ما فى الحلْمِ منْ عسَلٍ ومنْ حبَقٍ ومنْ شفَقٍ
تدَلّى فى أهازيج الصّبايا ..
يضْلبونكَ كُلّما أعْلنْتَ أنكَ لا تُريدُ
ولا تُريدُ من الولوج إلى الحضور
سِوى انْتمائِكَ للخروج من الغِيابْ ..
فاخْرجْ إلى ليْلاكَ منْ بُشْراكَ
واخْرجْ حاسماً حتّى تراكَ كما أراكَ أنا ..
وكُنْ
لِيَكُنْ

* أحواش : من الفولكلور المغربى

لدَرْسَة أقْحُوانُ سَبُو اعترِفْ ..
ثمَّ اعْترِفْ .. ـ عيْناكِ يا لَيْلى وَطنْ ـ
شُكْراً لقُدَّاسٍ يجئ
كما يضئ الوجْدُ أضْلاعَ الرَّبابْ ..

العاشقُ العاشقْ
فى سُكْرِهِ الباسِقْ
يتوسَّدُ المَوْجَةْ
أوْ يسْكنُ الغيْمَةْ ..

للعاشِقِ العاشِقْ
فى سُكْرِهِ الباسِقْ
نوَّارةُ البهْجَةْ
لهديلِ صبْوتِهِ بضاحيةِ الشَّذى خَيْمَةْ ..

تطْوانُ أحْلى ما تَجلَّى منْ بَهاءْ ..
تطْوانُ تبْدأُ منْ وصَايا الفجْرِ
تبْدأُ منْ خَراب العمْر
تبْدأُ منْ مكابدةِ الخيُولِ القُرْطُبيَّة ..
منْ زَواج البحْرِ بالجمْر الذى يتقمَّصُ الأسْرار فى مَرْتيل ،
تبْدأُ منْ صهيل الكبْرياءْ ..

تطْوانُ ميلادُ الغَزال الحُرّ
تطْوانُ الولادةِ والعبادةِ والشهادةِ ..
منْ نشيدِ الجُرْح تأْتى
منْ مَرايا القمْح تأْتى
منْ صلاةِ العنْدليب ومنْ سُهادِ الأنْبياءْ ..
تطوانُ منْ شغَفٍ إلى شغَفٍ
تُزَوِّقُ نرْجسَ الصّبوات ،
وعْدَ قيامتى وشُتولَ ذاكرتى الجديدةِ
لا أُريدُ منَ القصيدة أنْ تكُفَّ عن الصعود إلى بُكاء النَّاى .
تطْوانُ افْتحى تغْريبَةَ العُشَّاقِ والشهداء
والأطْفالِ والفقَراء ..
تطْوانُ الْبِسى قفْطانكِ المغْزولَ منْ ماءٍ ونعْناعٍ ودِفْلى ..
تطْوانُ زيدينى جنوناً
كلَّما اقترَفَ الحمَامُ صَباحَ لَيْلى
كلَّما نصَفَتْ مبَاهجُهُ ضفافَ الرُّوحِ
تغْمدُ وردَةً فى القلْبِ ليْلى ..
لأرى انْتحارى
أوْ أرَى وَطنى المقدَّسَ فى انْبهارى
يسْتَبدُّ بشهْوةِ الرُّؤْيا
فيجْرحُنى الغِنَاءْ ..
تِطْوانُ أحلى ما تجلىَّ منْ بهَاءْ ..
تِطْوانُ أحْلى ما تجلىَّ منْ بهَاءْ ..

المغرب : محمد الطوبى

• دَرْسَة : جبل فى تطوان
• سَبُو : نهر فى القنيطرة مدينة الشاعر
• تِطْوان : مدينة عتيقة فى الشمال المغربى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتماء للبحر

محمد محمد الشهاوى

براحٌ .. براحٌ هو الْبَحْرُ
قال المدى للسَّفَرْ
براحٌ .. براحٌ هو البحرُ
يا أيّها المنتمى لِلْحَجَرْ
بـراحٌ ..
بـراحٌ ..
فكُنْ نَوْرَساً
وانتسبْ للبعيدْ
وشيِّدْ من الدَّمِ والحرفِ والموجِ
ـ فَوْقَ بساط هُيولَى التوحُّدِ ـ
بوّابةً للنَّشيدْ
وخلِّ انتماءك للبحرِ ..
فالبحرُ لا ينكسرْ

« لماذا يخاف من البحر قَوْمِى
وللبحر تَنْتَسِبُ الأغنياتْ ؟ » ..
وأكْثَرَ من ذاكَ
قال لىَ البحرُ
ـ وهْوَ يحاورنى ـ :
إنّنى الشّاسعُ المتملِّكُ كلّ الجهاتْ
وإنّى مَنْ تأخذُ الأرضُ زينتها مِنْ يدىَّ
ولا تستطيع السّمواتُ أنْ تتأبّى علىَّ
وإنّىَ مَنْ يستحثُّ القصيدةَ فى كلِّ ذاتْ
وقال لىَ البحرُ :
هذا أوانُكَ ..
فلْتَبْتَدِئْ رقْصَةَ المدِّ
فى جسدِ الكائناتْ
ولَمْلِمْ شَتَاتَ القصيدةِ
والزمنِ العربىِّ !!

وقال لىَ البحر
ـ وهْوَ يغالبُ دمْعَ الشَّجَنْ ـ :
تمرُّ السفائنُ ـ واحدةً إثْرَ أُخْرَى ـ
وأرنو إلى الزمن العربىِّ
فأبصرهُ غائباً فى جميع السُّفُنْ !!
تمرّ السفائن ـ واحدةً إثر أخرى ـ
مُحَمَّلَةً :
بالهدايا
وأحْلَى الصَّبَايا
لأعداء هذا الوطنْ !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال لىَ البحرُ :

إنْ القصيدةَ
ـ يا صاحبى ـ
زمنٌ ـ وحْدَها ـ
غيْرُ هذا الزَّمنْ
فَمُدَّ إليه يديْكَ
أَمُدُّ إليك يَدَىَّ

تأبطتُ خاصرة البحرِ
وقَّعْتُ والماءَ أوَّلَ عقْدٍ
[وقد كان شاهُدنا النَّيِّرَيْنْ]

وقلتُ :

هو الأبْيَضُ المتوسِّطُ
سجَّادةُ العاشقيْنْ

وقلتُ :

هو الموجُ صنّاجةٌ ..
والمدى جوقةٌ ..
والمحبُّونَ أغرودة الشاطئينْ

وقلتُ :

هو الماء حزْبِى
إذا صار غيْرِىَ
أنشـوطةً :
بَيْنَ بيْنْ ،

كفرالشيخ : محمد محمد الشهاوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعـــر

من مذكرات لقيط

وصفى صادق

خلف عظام الجمجمةِ الهشَّهْ ..
يتمدَّدُ شَبحُ السرِّ المجذومْ
ـ ما بين الإغماءةِ والدهْشَهْ ـ
أحملُهُ كالصخرةِ .. ،
يحملنى كالقشَّهْ !
أجتازُ به ألغامَ اللحظاتِ الملساءْ
أعبرُ أسلاكَ اليومِ الشائكْ .
أغمدُهُ فى عينى ..
ضحكةَ صمتٍ سوداءْ .
أطحنهُ فى جوفى ..
كالدم .. كالماءْ .
أُلجمهُ قهرىَ ..
أطعمهُ لحمى المائتْ

فى منتصف الليلْ ..
ـ تنفرجُ أساريرُ المنفى ـ
يصحـــو ..
ينتزعُ أظافرَ حُلمى النابتْ .
يتلوَّى كالسحليّةِ فى قبضةِ بابٍ مغلق .
يجذبنى من هُدبى المطبقْ .
يدعونى ـ كالقوادـ وراءهْ
أهبطُ درجَ البيتِ المسلولْ
أمشى .. أمشى .. (وأنا نائمْ .. !)
مسلوب الخطوةِ .. منغلق العينينْ
أمشى .. حيث الأرصفة العريانة .. ،
والقمر الخُنثىٰ ..
وعويل كلاب الليلِ الضالةِ .. ،
(تبحث عن سيّدها المفقودْ)
ونداءات الباعةِ .. تحملُ ميلادَ صحيفهْ .
(.. ميْتٌ فى الأسواقِ يُباعْ)
والشرطىُّ الساهمُ تحت شظايا النورِ الزرقاءْ
أستأجرُ من تلك المنعطفاتِ المشبوهةِ عَرَبهْ
يسألنى السائقُ ـ فى همسٍ ـ كالعادهْ
: هل ترغب فى امرأةٍ ؟
عندى لكَ ما يطلبهُ السادهْ !
أصمتُ فى استخذاءْ ..
أحلمُ بخيالِ الحرفِ العريانْ
(والظلُّ الأزرقُ فوق حروفِ الساعةِ .. ،
تابوتٌ يرقصُ فرحاً ..)

يحملنى حيث مقابر بلدتنا المهجورهْ .
أقفُ على منبر أحدِ الأضرحةِ المجهولهْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتهدَّجُ فى إسفنج الصدرِ الميِّتِ .. ،
شهقاتى المقهورة .

ـ : « الليلة يا أولادَ القبرِ الرسميّ .. !
جئتُ إليكمْ لأبوح بسرٍّ لا تدرونَهْ
سرٍّ قد يبعث فيكم ثانية .. ألْ .. ألْ .. »

قهقهةٌ تنبعثُ من الأضرحةِ الخلفيَّهْ
تشعل أعوادَ الصمتِ الكبريتيَّهْ

.. آلاف الأوجهِ خلف الأكفانِ .. ،
تطلُّ .. تحملقُ فى وجهى
تضحكُ ..
تضحكُ منى حتى الغَشَيانْ .
أسمعُ من بين صرير الأسنانْ
أسمع من بين صريرِ الضحكاتْ
كلمات السرِّ الأولى ..
تنزلقُ على الأفواهْ .

القاهرة : وصفى صادق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطائر والشباك المفتوح

أحمد فضل شبلول

مِن أى مكان ستطلّ علىّ الآن
من أى الأركان إذن ستجىء .. ؟
هذا الشباك المفتوح سوادا
لن يتقبّلَ منك الأحزان
هذا الكرسىّ المنكفئ على وجه الدنيا ..
لن تصل إليه الأبدان
أبكيك ..
ألستَ العارف عن عمرى
أكثر منى
أكثر من حبّات الرمل على الشطآن .. ؟
أتذكّر لحظة أنْ كُنّا ..
نخرج للبحر وللأعياد
تلك البالونةُ ..
آهٍ لو أركبها وأطير !
كنتُ أغيّر وجه العالم
أحكُمه بقصيدة شِعْرِ
ورغيفِ حنان
من أى مكان ستطلّ علىّ الآن
من أى الأركان .. ؟

كان رصيفُ البحر
وكان الفُلُّ
وكان الوردُ
وشقشقة الفجر
لنا
كان العصفور يحطّ على كتفينا
ويزقزق للأسماكِ
فتصحو
تجرى فوق الماء
تنادى الأعشابَ
وتدخل بيتَ الجنِّ ..
وتخرجُ ...
تجلس فى كفّيك الحانيتين
تهدهدها ..
ونسير
أتأبّط بسمة عينيك
نحاذى الأنجمَ والأمواجَ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحدّثني عن حلم البشريةِ
فى القرن المقبلِ
وتوجّهنى ناحية «أبى العباس المرسىّ»
نسيرُ..
وندخل فى الأمطار،
وفى العاصفةِ،
وفى البرْقِ
وندخل فى الرعْدِ
وفى السحْبِ
ونصلُ إلى المريخ
تتبعنا الأقمارُ
فنصبح شمسين
نحدّق فى دوران الكون
وفى ملكوت الله
ونجلس فوق شعاع الإيمانْ

فى الأفقِ يرفرف طائر
يتهاوى بين الجرحِ
وبين دمائى
بين اليتمِ
وبين سمائى

فى البحر تغوص الأعلامُ..
تضيع الاسماءُ
تنقذُها..
وتجفّفُها..
وتقبّلُها..
وتحمّلنى ما فى وسع الطاقةِ
تدعو لى
تتقدمُنى
تعلن أنى..
ربّان الفُلْكِ
وربّان الأيام

من أى مكان ستطلّ علىّ الآن
من أى الأركان..؟

الموتُ نهاية كلِّ الأشياء
لكنْ موتُك ليس نهايه
خذْنى..
أتعرّفُ مَعْكَ..
على أول قطرةِ دمعٍ
تذرفُها العينان
أولِ حرفٍ تتلوه الروحُ من القرآن
ها أنذا..
أقفُ..
وأمسك أزهار الجمّان
ليس سواد الوجه يعكّر ماء الأحلام
خذْنى..
أول أشيائى أنتَ
وأول أسمائى كنتَ
وأول أشعارى كان الصمتُ
وكان...
وكنتُ...
وكنتَ

وكنتَ الداخلَ بالفاكهةِ
وبالتعب اليومى
بالبَسْمةِ داخل أطباق الفولِ
وبالضحكةِ فوق الشفتين الصادقتينِ
وبالهمسةِ عند هبوط الليل
وبالْبَرَكه
تزداد المنحنياتُ على وجه المنزل
وتكرّ الأزمانُ على جبهتك الصلبه
تتقاطع فى راحتك اليمنى..
كلّ خطوط العمرِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى راحتك اليسرى ..
تتسابق أمواجُ الموتِ
وتنطفئ شموع القلبِ
لكنك ..
تزرع فى الغرفِ الباردةِ
شموسا
وقناديل
.. تفتح صَدْرَك للمحرومينَ
وللعَجَزه
كيف أقولُ وأكتبها ..
«كنتَ» ؟
فأنت معى ما زلتَ ..
نناقش أسعارَ «الخبز» معاً
نسمع نشرة أخبار الثامنة ونصفِ
معاً

وأعدّ الشايَ
أقلّبه بدعائى لك
بقصيدة شِعْرٍ
تترنم بخصالك
أنت معى ما زلتَ
تحاول تخفيضَ الأسعار
وإيقافَ نزيف الدم
ما زلت تحاولُ
تحريرَ النفسِ من النفسِ
وتقويض الظلم
أنتَ معى ما زلت تحاولُ ..
رفع الأنقاض عن الوجه البشرى
وأنا ..
مازلت أحاولُ ترتيبَ العالم
داخل شعرى .

الاسكندرية : أحمد فضل شبلول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

أسطورة البحر

علاله القنونى

حَضَنَ البحرُ السَواقِى
واحتواها فيه مجرى
عذبةً تغرِى فتُرْوى
وأقام البرزخ الواضح مدّا
أَوَ يَخْشَى البحرُ أن تفقد فيه لونها مدًّا وجَزْرًا ؟!
عندما قام يصلّى
شرب الملح خشوعاً
مضغ الصّخر ابتهالاً
وطوى الأبعاد تَبْشِيرًا ونشْرًا
ويَداهُ تحملانِ التّخم لِلّهِ اعترافا
فأناخَ اللهُ فيهِ لونَهُ الأزرق حبّا
وبناه أعمق الأعماق غوراً أن يكون
منه عِنْدَ الناسِ أىّ ثم أوْحى لرمال الكونِ أن تسجد لِلْبحرِ خُضوعاً
فأبتْ : « هو من آسنِ ماء
وأنا من ذهبٍ شعّ جلالا
وسجودى لك يا ربًّا تعالَى
كيف أحْنى الرأس للماء امْتِثالاَ
من إذا مسّتْهُ نارٌ ، ضاعَ فى الجوّ اندثاراً ! ! »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال : «كونى تحت رجليه بساطاً وعلى جنبيه نثرا
ولكِ الوطءُ إلى أن تُبْعثِى قَسْراً وعُسْراً ..»
«خالقى ، قالتْ ، بمَا قدرْتَ ذَرْنى أنزلِ الأرضَ
وأغوى الكون جدباً واصفرارا
أركب الريحَ سموماً تنشر العقمَ نكالا ..»
قال : «لا سلطانَ لِلرّملِ على مائى إذا ساح اخضرار
وعلى رِيحى إذا همّتْ بمن تهوى انهياراَ
أَنْزِلى بعْضَكِ بَعْضاً حِمَمَا
واسكنى القفرَ انعزالاً ..»
كبَّرَ البَحْرُ وقد خرّ سجودا
قال : «حمْداً لِلّذى من سوْأتى قدّ جمالا
وسقانى المِلْحَ طهراً
واصطفانِى مانحاً لى منهُ نصرا»

واستبدت غيرة بالأفق فاسودّ غماما
يقطع السّحْب ويذْرى
يشعل الخطوَ احتداما

قال : «أسمى ألفَ بحْرٍ وأذلّ الأزرق المغرورَ بطشا وانتقامًا ..»
صفعتِ الأرضُ ولكن صفحتْ البحرُ وأرسى موجَهُ فيه قِلاعَا
ثم ناما مطمئنا
قال : «وعد اللهِ حقّ وله أسلمتُ أمرى
وعلى عضديْه أسندْتُ انهيارى ..»

عندما فتّح عيْنيْهِ صباحا وجد الأنهار تاتيهِ ازدحاما :
«سيدى البحر العظيم
أنا فى تخمك الممدودِ مأوى ؟»
قال : طبْتمْ فادخلوا بيتى كراما وأسكنوا دفقى اختيَاراَ
ولنا ما بيننا برْزخُ عدْلٍ يشعلُ الحقَّ مَنَارا
لِىَ لَوْنٌ ولكمُ لونٌ ، وللحريّة العلياء لون الليلِ من بعد النّهارِ
فاحذروا أن تفقدوا برْزَخكمْ بينَ الْبِحَارِ ..»

تونس : علالة القنوني

حيّنا القديم

أحمد محمود مبارك

حين مررتُ فى دروبهِ
نجمَّتْ فى وجهىَ المشوقِ ،
سحنَةُ الديار والوجوه الفائتهْ
وانْغَرَسَتْ فى قاع عينى ،
كلماتٌ أجنبيَّهْ
قفلتُ عائداً لأوّل الطريقِ
أقرأ المكتوبَ فوق اللافتهْ
ورحتُ بالأهدابِ أمسح الغبارَ والسنينَ ،
عن حروفِها
وحين لاح سَمْتُها . ،
وزال صَمْتُها
وجدتُها تشى بأننى أسير فى دروب حيِّنا القديمْ
فعدتُ فى أرجائهِ أهيمْ
لعلَّ وجْهاً ما يزال باقيا
ينزعُ من عينىَّ القذى ،
ويُبعد القتامَ والغيومْ
لكننى فى كل خطوةٍ
أحْسَسْتُ بالحروفِ داخل النيونِ كالسهامِ وجَّهَتْ لمقلتى
وفوقَ عَظْمِ بَيْتِنَا

فجعتُ حين صاح فى وجهى بناءٌ شاهقٌ ..
من أنتَ أيُّها الغريبْ ؟
وما الذى تريد من طوافِكَ المريبْ ؟
أردتُ أن أُجيبْ
ما أنتَ كى تُوجِّه السؤال لى
وكيف نحنو فوق عَظْمِ بيتنا ،
وتعتلى ؟
فولدى هنا
طفولتى
وملعبى وملعب الصحابْ
وفى ضلوع ما اغْتَصَبْتَهُ
نسجتُ أحلامَ الشبابْ
زرعتُ بذرةَ المنى
لكننى
سمعتُ قهقهاتِ ريحٍ عاصفهْ
قد أَطْبَقَتْ على الجوابْ
وبعثرتْنى فوق قَرِّ الأرصفهْ
عريانَ .. فاقِدَ الهويَّهْ .

الأسكندرية : أحمد محمود مبارك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

للعشق .. وجهتا نظر

أحمد هارون

ـ كانت تمام الثامنة ..

القلب أيقظني .. وصوَّر حائطي رسما من الأرق المسافر واشتعل .

فكتبتُ أغنيةَ الأجل ..

لكنه كان احترق .

• • •

ـ قبَّلتني ياسيدي يوم التقينا قبلتين ..

فانفضْ ترانيم الخجل ..

وارسم على ثغرى تقاسيم الهوى ..

أو خلِّني شطراً بديوان الفرق ..

• • •

ـ علمتكِ الحبَّ المطعمَ بالطهارة وانغرستُ بأرضكِ الجدباء أغنيةً وحيده ..

يا بَوْح نجماتِ الغوانى سافرى ..

فات النهار وقد بقيت كما أنا ..

أجترّ أحزان الشفق ..

• • •

ـ ياسيدى .. العشق عندى قبلة لاتنتهى وقت الرحيل أو السفر ..

فانظر كهوف الجفن .. قُدّاسَ المطر ..

اعتدت أن أبكى وأرقص وقتما ..

أجدُ القصيدة فى أزاهير الأفق ..

القاهرة : أحمد هارون

إغفاءة على شاطئ البحر

مصطفى عبد المجيد سليم

وأغفَيتُ .. ناوَشَنى البَحرُ مَوْجاً صَؤُولاً .. رَذاذا ..
حَلَمتُ به وهْوَ يُمْسكِهُ الهُدْبُ ،
أحْملُ زُرْقَتَهُ فى عُيونى

.. ..

أكادُ أصيرُ كِياناً ، لَهُ مَالَهُ من رَحابَهْ
أُسَلِّمُ أعْضائِى الذائباتِ استجابَهْ
كأنّى بهِ يحْتوينى ...
كأنّى أنا أحتويه .. أُسوِّى عُبَابَهْ ..

.. ..

وأُنْسِيتُ ..
هل صِرْتُ بَعْضاً من البحرِ ...
أمْ صارَ حِضْناً .. ملاذَا .؟

شبين الكوم : مصطفى عبدالمجيد سليم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد

مشهور قواز

١ ـ اعتراف :

مسمارٌ ..
كنتُ أظنُّ سأُحْدِثُ صَدْعاً فى الجدران
ـ إذْ أتَغَلْغَلُ فيها ـ
لكنّى
ـ حين تَغَلْغَلْت ـ
صَدِئتْ قدماى ..
فتوارى الجزءُ المشرقُ فِىّ
وانكسرَ الجزء الحادْ
يبدو
أنى لم أحسن تقدير قواىْ
وتدلّى رأسى فى الطَرَقَاتْ ..
لكنّى ...
ـ أعتقدُ ـ
كسرتُ سكونَ الحائط
وخلقتُ جَمَالاً ..
لم أقصدْه .

٢ ـ قَدَرْ :

مُكَبَّلٌ ما بيننا ..
وضَيِّقٌ
مُنْحَسِرٌ ...
كما تنبّأتْ جدائلُ المساء
ضامِرةٌ خطوتُنا
ونخلةٌ على البعيدِ لم تَعُدْ تَشِى بِتَمْرَةٍ
وصار فيكَ وهجى تَحسُّرَا
وروضتى قَفْرَا
يا وطناً ..
نسجتُ منكَ سحنتى
فلم أعد مبهرا
فهل أُرَبِّتُ ارتجافتى ورِعْشَتِىْ
وأدَّعى بأن ما لقيتُ كان قدرا ؟
يا قدرى المدُمَّرَا !
أنا تعبتُ من تشرُّدى
وكَلَّ ساعدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وَكُلَّ يَوْمٍ ...
أَسْتَعِيْدُ رغبتى
إذا الصباحُ جاء
وتستعيدنى انكسارتى
إذا المساءُ أقبلا
كأننى ـ على يديكَ ـ صِرْتُ وهجاً مُبَعْثَرَا
فَمَا احْتَوَتْهُ غَيْرُ أَنَّةٍ
وما لقِى سوى فجيعةٍ
كَأَنْ أصابعُ المساء عبثتْ بِحُلْمِهِ
وأوغلت

فلا لضيعتى
ولا استباحتى ... كَلاَّ
فلم أَعُدْ غِرًّا
ولا هوىً مُضَلَّلاَ
يا وطنا
تراجعت بهجتُهُ وحبُّهُ
ولم يَعُدْ مشتعلا
ولم أعد أنا ...
مُقَاتِلاَ
وكنتُ
ـ قبل أن أُفيقَ لانكسارتى ـ
مُحَارِبَا
وعاشقاً .. صَبًّا
فللهوى الذى ولَّى
أبيحُ جسدى حقلا
وأحتمى بِخِنْجَرٍ
ـ أَلْقَيْتَهُ فى مَقْتَلِ ـ
وأزرعُ انْطِفَاءَتِى جمرا
... يا وطنا

لَيْتَ لِصُحْبَتِهِ بُدًّا
أَوْ لِمِيْتَتِى بِحِضْنِهِ بَدَلاَ .

٣ ـ مُبَـرِّرْ :

ما بينَ «حُلوان» وبين «الملك الصالح» .
خريطةٌ جديدةٌ تقوم
خريطةٌ .. فى حجم كفَّيْكِ
وفى ابتهاجِ نزهةٍ إلى الحقول
...
إذن .. على الفتى
أن يتهجَّى شرفةً
وأن يَحُطَّ خافقاً ..
علامةً على الحضورِ
أن يَحُطَّ خافِقاً ..
علامةً على الغياب
وأن يقولْ :
مَوْطِنِى .. هُنَا
وَالزَّمَنُ .. الملابسُ المزركشة
وللفتى
أن يساوى وطناً .. بِخرقةٍ على الطريق
وأن يصيحْ :
أتعبتنى ..
يا أيها الجافُّ الكسيحْ
وللفتى أيضاً
أن يهشَّ فى اتِّكاءةٍ إلى النخيلْ
وأن يقولْ :
ما بين «حلوان» ...
وبين «الملك الصالح»
مُبَرِّرُ التصالحْ ..
أو ..
مُبَرِّرُ الأفولْ .

القاهرة : مشهور فواز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشهد

متولى البراجيلى

ضوءٌ ينسابُ على وجهكِ من قنديل
شاسع ،
يكسو سمْتَكِ بظلالِ الرهبةِ والحزنِ الأزرق ،
ثمَّةَ أيدى
تمتدُّ تصافحُ شيئاً يسقطُ من أعلى ،
أصواتٌ مبهمةٌ
ونشيجٌ يهبطُ من بُعدٍ أعمق (ذاك البعدِ الرابع)
يصلُ القادمُ مكتسياً لونَ الظلِّ
بهيئة سرطان الدهشه ،

... يُعْزَفُ نفس اللحنِ المعتادِ ، بتوزيعٍ أهدأ ...
... صمتٌ واسع ...
.....
.....
يتجهَّزُ أفرادُ الجوقةِ لتلاوةِ ماحفظوا ،
ينكسرُ الضوءُ على وجهكِ (هذا الطفلُ الرائع)
والموسيقى
تنحو نحو الصمتِ المطلق ...
ترحلُ عيناكِ السوداوانِ إلى ماءِ الزمنِ السائب ،

أىَّ أثامٍ قارفتِ ولا تدرين ؟
هذا عمركِ يعبرُ خلف الساحةِ
محتشداً بالخيبه ،
أىَّ أثام قارفتِ إذن ؟
ولماذا دوماً تعدو أحلامك
فوق الفرسِ الخاسر ؟ ! ..

عدَّةُ دقاتٍ من طبلٍ أجوف
(بدأ المشهد) ...
يقف القادمُ كالموجةِ إذ تفزع ،
يقفزُ قلبكِ فى صدركِ نحو عيونِ حبيبكِ
يترجَّاها أن تشهدْ ،

عَبثاً ..
فالفارسُ لن يأتى
هذا زمنُ الأحصنةِ الخشبيَّهْ ،
تتحرَّكُ ، تقفزُ ، تعلو ، تصهلُ وتحمحمُ
لكن فوق اللوحاتِ الزيتيَّه ،

عَبثاً ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالفارسُ لن يأتى
فانسابى بين ضفافِ اللوعةِ حتى تصِلى
للماء الأسودْ ..
صوتُ الجوقةِ يندبُ إنسانَ العصرِ المتخاذل ،
والحشدُ
يُصاعدُ رأساً من أجلِ وضوح الرؤيه ..
.....
.....

ها أنتِ تمدِّينَ سنينكِ للسّجانِ الأكبر ..
(صوتٌ ظالم) ....
تنداحُ الموجةُ فى عينيكِ كما الظلمه ،
(صوتٌ ضائع) ....
ويموتُ القلبُ .. يموتُ القلبُ بلا حركه ،
وحبيبك ما زال يصاعدُ عينيه إلى البحر
يتابعُ نجماً
يسقطُ فى اللونِ اللا أزرق ..

القاهرة : متولى محمد البراجيلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظلّان

عزمى سلامة

على جبهةِ القلبِ لافتة ، للحدود
ولافتةٌ فى الرّمالِ وظِلُّ
يشدُّكَ بابُ المدن
وملء اليدينِ
دموعٌ من القمحِ
ت
قْ
ط
رُ
فى الذّاكره !
فهل تستطيعُ العبورَ من السِّلكِ ..
يا صاحبى ؟
وكفّاك نازلتانِ
من الحلم..هل تستطيعُ
تُلامِسُ كف المسافةِ ؟
والضّوءُ يمرقُ من قبضتيك
وتلْكَ النّوافذُ
تلتفُّ تلتفُّ حولك
وتلق بأوجاعِها فى يديك
ـ لها جذعُ عشقٍ يخون ـ
وتدخلُ فى معصميكَ
ظلالاً لها وجه جُرحٍ يقوم !
وصوتُ نجيْكَ
من آخرِ البرتقالِ : انتظره !
(أتمضى خطاكَ
وتُبْدِلُ بالطّين وجْهَ الحقيبة !
تُرى ما تبوحُ
لكَ الأرضُ ؟ ضدان نحنُ
يهاجُر فى ناظريك الفضاءُ
الرّصاصىُّ حتى تلامسَ جبهةَ كلِّ الّذين تحبُّ
وتمسحُ أحزانَ كافورتين
علىٰ مدخلٍ فى دمِك
تنازلُ قرنَ الفراغِ المدبّب
وتسقطُ سيفاً وحُلْما
تُرى ما تبوح لك الأرض
يا صاحبى ؟

كفرالشيخ : عزمى سلامة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القناع

إليزابيث براونج
ترجمة: شوقي هيكل

حدَّثتني :

إنَّ لي وجهاً ضحوكاً
كلَّ من ألقى له عندي ابتسامهْ
وعلى رأسي من الأزهار إكليلٌ بديعْ

ثم قالت :

ولهذا .. أنت تدعوني سعيدة !

علَّمتني حسرةٌ في النفس هذي الابتسامة
ولكَمْ علَّمني الظُّلمُ دُعاباتٍ جريئهْ ..
حين ضُمَّت هذه الأزهارُ من قيْدِ الحديقهْ
كان جرْسُ الموتِ في بطءٍ يدقّ !

ثم قالت :

ما عسى الآن تقول ؟

لن ترى من خلْفِ قُضبانِ سُجونْ
تحبسُ الضوءَ بعيداً نصْفَ ميلْ
مِنْ أسيرٍ يتعذَّبْ
كعَذابِ الرُّوح من خلْفِ ابتسامهْ !

ثم قالت :

رحمة الله هَدَتْنا للصلاة !
أنا أدري أنَّ لي وجهاً وَضيئاً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بضياءٍ كالذى ترسله الشمس على وشك احتضارْ
وعلى الجبهة منّى يتراءى ما فَقَدت

ثم قالت :

يَوْمِيَ الراحلُ عنّى !

هذه البسمةُ .. لو أنّى تجاسرتُ فألقيتُ بها
وتحملتُ أنيناً فوق ثغرى
واستدارت حول رأسى أفْرُع السَّرْو الحزينْ
ودموعى ـ بَعْدُ ـ لو خلّيتُها كيما تسيلْ !

ثم قالت :

عندها تغدو دروب المرء أسعد !

أنا أدرى .. ذاك ما لا ينبغى !
ولِذا .. ما أطيبَ الرّحلةَ عن دنياكمُ هذى المريرة !
بسْمةُ الموتى صفاءٌ وسَكينةْ
هُمُ لا يُضمرون الحزنَ فيها

ثم قالت :

فى السماواتِ «نَعَمْ» تعنى «نَعَمْ» !

وبدنيا كُمْ هنا ، هذى المريرةْ
فرْحَةُ الوجهِ قناعٌ باهظ الكُلْفة كيما يُرْتدى
فهو يُتباع بعُصَاب وآلام مريرة
لفّها يأسٌ مُقيم !

ثم قالت :

إن جِدَّ اليأسِ فينا يقتضى لهْوَ الحياة !

أتنوحون لأجْلِ النائحين ؟
يالكُم من غافلين !
اسمعونى : لا تميلوا نحوهُمْ
واذهبوا وابكوا لأصحاب القلوب النازفات
ومآقيهم عَصِيَّاتُ الدموعْ

ثم قالت :

إنهمْ أعمَقُ ـ فى رأيِى ـ حُزْنا !

ترجمة : شوقى هيكل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى انتظار رسالة.. لم تجئ بعد

محمد صالح الخولانى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عَجِلْتُ إليكِ
أستبقُ المسافات البعيده
وأرحلُ فى الرؤى والغيم والزمن الذى لم يأت بعد
أُلملمُ وعَدكِ المزهُوَّ من خَلف السواق
جَنَّى ريّانَ لَم تمسَسْه يد
وأمشى فى ركاب الشمس
ألمحها
إذا ما توقظ النُّوار
وتمنحه اندفاق العطرِ والخُيَلاء والثوبَ المُوشَّى
وأسأله
ليفرغَ فىَّ بعضاً من عطايا الشمس
أتيه به مخايلةً . عبيراً وانتشاء
وأبحر فى عيون الطير
أنتظر المواسم

* * *

عجلتُ إليكْ
يفتّش وهمىَ الملهوفُ فى وَهَج الحروف البكرْ
فقد عَوَّدتِ قلبَ الطفلِ فىّ
إذا أقبلتِ كالحُلُم النّدىَ
يجوس خلال دنيا ما ألمّ بها خيالْ
وَلُوعٌ أنتِ
أن تأتيه بالشىء الذى لم يؤتَ بعد
وبالكلماتِ ما أُلِفَتْ معانيهَا الحروف

تحيَّرَ .. كيف يؤتَى المرءُ فنَّ البوح بالكلمات
فتغدو مركباً للشمس .. معراجاً إلى الفردوس

• • •

عجلتُ إليكِ
يا مطرَ الصحارَى الجُدْبِ
يا أَلَقَ الليالى المُدْلَهِمّه
أَنَقَّرُ فى زوايا القَيظ
وأرشفُ مائىَ المحلوبَ من قبل انسكاب الغيم
وأقرأ موعدى فى الشمس
وفى الموج الذى ما زال ينتظر المرافئ
وأركض فى مروج الليل
أستبق الطيورَ إلى عناق الشمس والأزهار
وألْقُطُ من سناها البكر
مكتوبى المسافرَ للصباح
وأشتله ربيعاً فى حنايا القلبِ
لا يعتاد دائرةَ الفصول

بورسعيد : محمد صالح الخولانى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من طقوس ليلة العيد

مفرح كريم

حَدِّثْنى عَنِّى الرِّمَالَ
لَمْ يزل فى العُمْر نخْلٌ
كىْ ننيخَ القافِلَهْ
وننادى فى شبابِ اللَّيْلِ
عَنْ أرْوَاحِنَا
والموتُ مُمْتَدٌّ على بَوَّابَةِ الدَّارِ ،
فَلَوْ نَرْقَى عَلىَ مِعْرَاجِ أطْيَافٍ
نَرَاهَا فى ثيابِ الوَهْمِ
ندْعُوهَا إلى أسْرَارِ دنيانا
فلا يبْقَى سِوَى أشْجَارِنَا
فى السِّرِّ نرْويهَا
بما فى الشِّعْرِ
مِنْ نافورَةِ الخصْب .

حَدِّثِى عَنِّى القُرىَ
فالصَّمْتُ بيْنَ الدُّورِ سُورٌ لا يُرى
والناسُ - فوْقَ الحَقْلِ -
عيدَانٌ مِنَ الصَّبْر الجميلِ ،
صَوْلَجانُ الزرْعِ مَمْدُودٌ إلى بَابِ السَّمَاءْ
مُسْتَقِرٌّ فى تراب العَاشِقِينْ
يَرْفَعُ الأحْزَانَ عَنَّا
عندما نَأْتِى إلى المَوْتَى
وَنَدْعُوهُمْ
لِمَا فى الدَّارِ مِنْ خبْزٍ ومنْ مَاءٍ ،
ومن دَمْعٍ
خَزَّنَاهُ طِوَالَ العامِ ،
حَتَّى لَيْلَةَ العيدْ
رَاجِعى - قبْل الأغَانِى -
دَفْتَرَ العُشْبِ
فمَنْ يدْرِى
لَعَلَّ الماء بعد الماء لا يَأْتى ،
وَقَدْ ترتاحُ فى ليْلٍ خيولُ الرِّيحِ
أوْ تَرْتَدَّ للأصلابِ أطفالٌ
فَنَعْرَى دُونمَا صَوْتٍ
ونمضى فى حَنَايَا الدَّارِ
كىْ نسْتَطْعِمَ الدَّمْعَ الذى يَهْمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بما فى الحَلْقِ من تُفاَّحَةِ الحزْنِ ،
فَلَوْ أناَّ نَفَضْنا منْ رِمَالِ اللَّيْلِ مَوْتَانا
وَرُحْنَا ليلةَ الأعْيَادِ
نَرْوِى الحقْلَ
أوْ نرتاح تحْتَ التُّوتِ
أو جُمَّيْزَةٍ قرْبَ السَّمَاوَاتِ ،
لَماَ طَالَتْ مَوَاوِيلُ
عَلَى جَبَّانَةِ الصَّوتِ الذى خِلْنَاهُ
نَهْراً
يرتوى منه المحبّونْ .

كانَ وجْهُ الماء مَمْدُوداً إلى نافُورةِ الْعِيدِ ،
فَرُحْنَا نخرجُ الألوانَ

نرْفُوها
بما فى العيد مِنْ فَرَحٍ
وَنَعْدو فى صَحارينا
نبارِى ـ فى فضاء الرُّوحِ ـ
أطفالاً
نسيناهُمْ .
بركنٍ مُظْلِمٍ
فى حَارَةِ الذِّكْرَى
وَلَمْ نَعْبَأْ
بأنْ يأتى زَمَانٌ
لا نرى فيهِ هَدايَاهُمْ ،
فضاعَتْ
فى رمالِ النَّخْلِ
ألوانُ الصَّوارِيخ .

بنا : مفرح كريم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

الفصيلة المفقودة

عباس محمود عامر

سارتْ فى جسدى الشمس
أوردتى الثلجيةُ ذابتْ
صارت ماءً ،
فدماءً
تتدفقُ فى خارطةِ الصّمتْ

.....

تأكل قلبى /
كبدى
تنخرُ عقلى
آهاتُكِ يا « إيزيس »
وأنتِ على أحراشِ الليلِ ..
تنامين ..
..وفى أنفاسِكِ نزعٌ ،
ودوار

تَسْتَجْدِينَ الدّمَّ النّاضبَ فى أحجار الأهرام
فخُذى ...
هذا دمّى
تلك فصيلتكِ المفقودةُ ..

تقبعُ فى أوعيتى

.....

سارتْ فى جسدى الشّمسْ
أصحو ...
أنضو أردية الصُّوفية
أتحررُ فى ساحاتِ الصيف
أعشقُ موجةْ
انبثقتْ من عرَقى فى منديلٍ رطبٍ
أنشرهُ فوق جبينكِ يا « إيزيس »
كى يمتصَّ حرارتك المرتفعةْ
أعشقُ تلك الموجةَ ..
من أجلك
نحملنا فى بحر الإخصابِ اللا متناهى
نتكاثر ..
نخصبُ كلُّ بساتين الحُبْ
تصبحُ فردوساً من أزهارٍ ،
وثمارٍ
للغدّ الآتى ...

القاهرة : عباس محمود عامر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

النهر.. والأحلام الوردية

لبنى شاكر

فى ماء النيل أراك
فى اللون الفضى الساحر
وكأنى ألقيت الأحلام الوردية..
فى الماء
تمضى الأحلام
وأرانى أشتاق إليك
تسقط أحلامى
وتغوص تغوص إلى الأعماق
تأخذنى معها
يلفظنى ماء النهر ويسلبنى الأحلام
تسقط من عينى دمعة
تشعر بالغربة
وتحاول أن تطفو
لكن ...
هيهات !
يهزأ منها ماء النهر
يضحك
تعلو الضحكات
أهرب ...
أعدو ...
تعدو خلفى ضحكات النهر
أستنجد ...
هل تأتى ؟ !
وتعود الأحلام الوردية

ترفعنى للسطح
فى جندول أزرق
فوق العشب الأخضر أستلقى
تنمو من حولى أزهار النرجس

ينتشر عبير الأزهار
يحكى قصة حبٍّ
ماتت فى القلبين

سوهاج : لبنى شاكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

القضية فى بيت المستشار

هذه الليلة آثرت ألاّ أجهد عينى فى ملفات القضايا ، فضلت أن أترك حجرة المكتب حتى لا يتدحرج بصرى إلى الأوراق التى يتعين تلخيصها وتكوين رأى فيها . دعتنى زوجتى إلى مشاهدة التليفزيون ، وهيأت نفسى للاستمتاع ببرامج مسلية أفرغ فيها متاعبى ، هدنة بسيطة أعود بعدها إلى الملفات .

جاء أصغر الأولاد وغيّر القناة دون استئذان ، وفرض علينا حلقة أجنبية لغة أبطالها متآكلة . أبواب تفتح ، أخرى تغلق ، مركبات شرطة وإسعاف تتعقب الجناة ، خيول تركض ، وموسيقى تفلق الدماغ . لا حظت زوجتى الولد يجلس أمامى رجلاً على رجل ، وحاولت أن تلفت نظره إلى وجودى ببعض الإشارات حتى يستقيم فى جلسته . بدلا من أن يمتثل قال لها :

- ماما ... لا علاقة بين الاحترام ، وبين الجلوس رجلا على رجل . وبابا يعرف ذلك . كل واحد ينام على الجنب الذى يريحه .
- يابنى عوّدنا آباؤنا على أن نحترم الكبير . ربونا على أن للأب مقامه . كانوا زمان لا يجتمع الأب والابن على مائدة ..
- كلام غير منطق .. تذكرت بهذه المناسبة حكاية يرددها لى بابا دائما . على أيامنا يا ابنى إذا قابلنا المعلم فى شارع زوغنا فى زقاق . قولى لى . ماذا فعل التلميذ حتى يهرب من أستاذه ؟

أخذت أبلع كلامه بمرارة ، وأشرت إلى زوجتى أن تختصر الكلام مع الولد . إنها تنفخ فى قربة مقطوعة . إنه جيل تليفزيونى يعلم به ربنا . لم أستطع أن أمسك نفسى عن الحديث وأنا أتوجه إلى حجرة المكتب . قلت موبخا :

- يا بنى بمناسبة ذكر المعلم والتلميذ ، إن علاقة الأستاذ بتلميذه نوع من الأبوة تكاد توجب تحريم زواج التلميذ من ابنة المدرس وكأنها رضاع أدبى .. لعلك الآن فهمت قيمة الرجل ..

مطّ بوزه وهز كتفيه ، وإن كان قد اعتدل فى جلسته من قبيل فك الاشتباك . دخلت حجرتى وأنا أسك الباب خلفى فى حركة عصبية فاصطك وأحدث صوتا بعده وجدت زوجتى أمامى بابتسامتها الودود ، ونظرتها الحانية . طيبت خاطرى بكلمتين هادئتين :

- زعلت ؟ . تأخذ على خاطرك من عيِّل ؟ .. أنا نزلت فيه ووبخته .
- أبدا .. إنما هو شكل يجب التقيد به . حينما ضاع الشكل من حياتنا انتهت المقامات . عندما يتصادف وجود الدائرة فى نادى القضاة ، ويأتى الجارسون بالطلبات ، يتقدم بها أولا إلى الرئيس فعضو اليمين فعضو الشمال بصرف النظر عن المكان وبُعْده تماماً عن الرسميات . قضاء بدون تقاليد . تليفون بلا حرارة .

وكأنما أرادت زوجتى أن تزيد من إرضائى ، فأمّنت على كلامى ببزات متكررة من رأسها ، وتطبطب براحتها على صدرها وهى متألمة لألمى . وشجعنى شعورها أن أستطرد :

- أنا لن أنسى حكاية لى مع والدك المستشار الله يرحمه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنت وقتها وكيلا للنيابة وذهبت إليه لظرف طارىء وهو جالس فى كازينو على البحر .. بعد أن سلمتُ عليه أولا ـ وكان عضو يمين فى دائرة تصادف وجودها فى هذه الزيارة ـ من يومها تعلمت أن لكل مهنة قناعاً يتخفى أصحابها وراءه .

عندما رأت انفعالى ، عرضت أن تقوم لإحضار كوب من الليمون . عادت بعد قليل وقالت :

ـ لا تنس عامل الزمن . لقد خُلقوا لزمان غير زمننا . إخْسَ الشيطان ، وصَلِّ على النبى ، تعالى نجلس فى الشرفة الخلفية . لقد ذكرتنى بالأحباب . الله يرحمك ياوالدى . كان رجلا عظيماً بحق وحقيق ..

انصرفتُ إلى الملف موضوع الدراسة . قضية تناولتها الصحف بالتعليق . لم تشفع سن الأب وشيخوخته عند ولديه اللذين رباهما وشبا عن الطوق ـ وتخرجا محاسبا ومهندساً . اعتديا عليه بالضرب وكسرا ذراعه لأنه تزوج بعد وفاة الأم بمن ترعاه فى شيخوخته . أنكرا عليه هذا الحق . وعرضا عليه أن يقيم فى دار للمسنين . عندما اعترض اقتحما بيته وحصل ما حصل . لم تكن المرة الأولى التى أقرأ فيها ملف القضية وتناولتُ القلم الرصاص وبدأت أكتب بعض الملاحظات ومسودة لعناصر الأسباب .. والحيثيات مع تشديد العقوبة . توقفت عن الكتابة حتى لا يكون ما أدونه صدى لإحساسى الشخصى ورد فعل للتجربة الصغيرة التى مضت منذ قليل مع ولدى .

تركت الملف . أطفأت النور ، وبدأت أتجه نحو حجرة النوم ، وفوجئت بولدى أمامى وفى عينيه اعتذار متردد . لم يجد الكلام المناسب ليقوله ، وتلعثم لسانه وأخذ يدارى خجله فى هرش رأسه مرة ، ودعك عينيه مرة أخرى .. وأخيراً تمحك فى أمور لاصلة لها بما جرى . قال وهو يتكلف الابتسام :

ـ آسف يا بابا .. لم أقصد مضايقتك ، وسيادتك تعلم مدى احترامى لك .

تأمل وجهى ليعرف درجة استقبال كلماته وأثرها على ، ولما لم يجد منى أى تعليق استكمل حديثه الثقيل :

ـ لى رجاء عندك . أنا مزنوق فى مشوار فى الصبح ومحتاج مفتاح عربتك .

ـ وعربتك أنت ؟ .

ـ عند الميكانيكى . على فكرة إنه يطلب مائة جنيه والبركة فيك ياوالدى العزيز .

لم أرد عليه ، فقد أصبت بحالة غثيان اضطرتنى أن أعطيه ظهرى إلى حجرة النوم دون أن أتفوه بكلمة . بلا قصد وقعت عينى على نتيجة الحائط معلقة فى الصالة . آخر الشهر . الناس فى آخر الشهر يمشون جنب الحيط . بأى مقياس أنا موظف من محدودى الدخل ، وما تبقى من المرتب يكفى لتوصيلنا نهاية الشهر بالزق . لقد اعتدت أن أشترى دواء الضغط والسكر دفعة واحدة حتى لا أتعرض لهزات سوق الدواء وذل السؤال عنه بالصيدليات .

لست أدرى كيف سحبنى الموقف إلى أيام كنت طالبا بكلية الحقوق فى الأربعينات . موقف لم أنسه رغم عدة السنين التى انقضت عليه . ظل كامنا كحيوان القواقع . كان لابد من شراء أحد المراجع فى القانون الدولى العام غالى الثمن ولا يتحمله مرتب والدى الموظف البسيط رغم استعداده لبيع ما يملك فى سبيل أن أتخرج وأحصل على ليسانس الحقوق فى حياته . كان ـ يرحمه الله ـ لا يكف عن الاستفسار من أمى إذا كان ينقصنى شىء . بِودِّه لو استطاع أن يحضر لى لبن العصفور . خمسة جنيهات ثمن المرجع كان يقارب مرتب موظف درجة ثامنة فى الشهر فى هذا الزمان . أحسست أن البيت فى حاجة إلى هذا المبلغ ، وفكرت فى استعارة الكتاب من مكتبة الكلية لكنى لم أوفّق إذ لم يكن هناك غير نسختين ، إحداهما عند أحد الأساتذة من أول السنة ، والأخرى بالمكتبة . عزمت على نسخ الكتاب بهوامشه وهو فى ألف صفحة ـ كى أوفر للبيت مبلغ الخمسة جنيه . وانتهيت من نسخ الكتاب قبل الامتحان بأيام . لا أستطيع أن أصف فرحتى وأنا أصِل آخر صفحة مكتوب عليها « تم بحمد الله » . أردت أن أحتفل بهذا الانتصار ، ودعوتها إلى فنجان شاى بالنعناع فى نادى الكلية ثم قمت بعد ذلك للذهاب إلى أحد المدرجات لأشارك فى احتفالات نهاية العام وتوزيع الجوائز على النشاط الاجتماعى والأدبى . فوجئت بالنداء على اسمى كأحد الفائزين وكانت الجائزة كتاب القانون الدولى العام . كنت ضحكة بلهاء وأنا أغادر المدرج جريا والكتاب بين يدىّ .

قمت إلى حجرة المكتب مرة أخرى لدراسة القضية . تأملت وأنا أقرأ تقرير الطبيب الشرعى ، ونسبة العاهة المتخلفة عن اعتداء الولدين على أبيهما وتذكرت الحلف الذى يلتزم بعباراته الشهود عندما يمثلون أمام المحكمة فى مصر الفرعونية . يحلف الشاهد : أقسم بآمون رع أن أقول الصدق وأننى لم أهن والدىّ ، ولم ألوث ماء النيل .

بعد أيام كان موعد نظر القضية . فُتِحَت الجلسة ونودى على المتهمين . كانا خارج القفص ، وأمرت المحكمة أن يودَعا داخل القفص . فى هذه اللحظة انتفض رجل كبير السن وقدم نفسه أنه والد الشابين ، وفى صوت مرتعش نفى التهمة عن ولديه مقررا أن الكسر كان بسبب آخر بعيد عن موضوع القضية . تشبث الرجل بالقفص وأمسك بولديه اللذين اختطفا رأسه ويديه وتسابقا فى تقبيلها أمام الناس .

قلت للرجل بعد أن هدأ قليلاً :

ـ وما رأيك فى جبيرة الجبس التى ما زالت فى ذراعك ؟ .

قال وهو يقترب من المنصة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- نجبر الكسر ياسعادة المستشار خصوصاً أنى مدرس حساب قديم !
- والبلاغ ؟ . والتحقيقات ؟ .
- أتحمل ذلك كله من أجل مستقبل عيالى .
- أنت تعرض نفسك لتهمة البلاغ الكاذب وإزعاج السلطات .

لم يرد ، وحاول أن يتشرب دموعه التى تسربت إلى أخاديد الوجه . العجيب أنى وجدت نفسى أسترجع موقف زوجتى بعد أن قرأتْ فى الصحف سبب الاعتداء وزواج الأب بعد أم الأولاد دون تقدير لمشاعرهم . وصفتُها وقتها بأنها ترى الأمور بعين حواء ، وطلبتُ إليها ألا تتحدث فى موضوع القضية ، وازورّت عنى غضبى وأنا أهمس لنفسى :

ما أسرع تقلب المرأة وما أيسر أن تضيق المسافات عند النساء !

فى المداولة كانت ملاحظتنا المشتركة محاولة الشابين الاختفاء عن الأنظار خزيانين . والتقينا فى سؤال واحد . هل العقوبة تفعل أكثر من ذلك رغم ما فيها من قيد على الحرية ؟ .

على الغداء فى بيتى توقعتْ زوجتى أن أقول شيئا بعد أن صدر الحكم وانتهت القضية . أخذت تنظر إلى صحاف الطعام فى انتظار كلمة إطراء كعادتى تجرفى بعدها ـ فى اعتقادها ـ إلى الحديث . تنحنح ابنى ثم قال وهو ينهى غداءه :

- أنتِ عارفة بابا . العيال راحوا فى أبو نكلة .

قلت وأنا أستعد للقيام من المائدة :

- ديرا لِكْس ... سِدْ لِكْس ...

توقفت زوجتى عن بلع الطعام وهى تسأل عما إذا كنت أطلب الدواء الذى تعودت أن آخذه بعد الأكل . قلت فى أناة :

- لا يازوجتى الغالية . إنها عبارات لا تينية معناها : القانون قاس ، ولكنه فى النهاية قانون !!

القاهرة : عزت نجم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

حارس البحر

كنا البحر ، والمدينة وراءنا ، شوارع خالية ، بيوت مهجورة النفس ، وحوانيت مكدسة بعلب الطعام المستورد فى انتظار الصيف ، والسماء تجوس فيها السحب . هزق الهواء ، ثمة برد ورعشة . المدينة الخالية يتردد فيها الصدى ، والرمال مشبعة بالماء المالح ، الصخر صلد وجامد وبارد . كنا نخطف الأغانى عنوة من أرواحنا المرهقة .

كنا والبحر ، حاولنا الاستمتاع به خلسة من وراء ظهر المدينة . ضحك إبراهيم عبدالفتاح ضحكة عذبة ، وفتح ذراعيه ليحتضن البحر ، وطاهر كان يغنى . وهما كانتا تسيران بتؤدة وفرح خفى . واحدة بفستان أحمر والأخرى بفستان بلون السماء ، وكانت ذات الفستان الأحمر فى يدها منديل طويل ، وكنت أخمن أن واحدة تغنى أغنية بصوت يرج المدينة . علا صوت فوزى بالغناء مشاركاً طاهر ، وحين كنا على وشك أن نغنى جميعاً خرج علينا . خرج من بعيد ، من عشة بالطوب والحجارة والأخشاب ، خرج بنحول جسده ، وقصره الملحوظ ، دون الاقتراب صاح فينا :

ـ انزلوا .. انزلوا

لما انتهينا ضحكنا ، ضحكنا حتى غضب وجه المدينة . قلت ماذا يريد ؟ قال وفيق لا تلق بالا ، وشارك ابراهيم فى الغناء ، لكنه على البعد صرخ وزعق :

ـ انزلوا .. انزلوا

حين انتهينا كان منفعلا بشدة ، يطوّح بيده فى الهواء ، يكاد ينحنى على رمل الشاطىء المدهوس من زمن الصيف ، وعاود :

ـ انزلوا .. انزلوا

سمعناه جيداً ، وكان يزعق :

ـ هذا بحرى .. هذا بحرى .. انزلوا

همهمنا بالضحك ، لكنه فاجأنا :

ـ سأطلق النار عليكم .. عليكم سأطلق النار .

تقدم ثم قال :

ـ مهربون .. لن تهربوا المخدرات .. سأطلق النار .

كانت مدينة الصيف تموت فى ديسمبر الشتاء ، لاتطؤها قدم طفل صغير ، أسفلت بارد وشجر بارد . هب الهواء من ناحية البحر قوياً ، أحسست بأنه يدفعنى حتى أنكفىء . أمسكت بيد وفيق . صرخ مرة أخيرة واضحة واثقة عالية :

ـ سأطلق النار .

ثم استدار ، وهرع فى اتجاه عشة صغيرة مثل قبضة يد فوق اتساع الرمال . سكتنا لحظة ، ثم انفجرنا فى الضحك المشوب ببعض خوف ، الرجل القصير دخل عشته بحماس ، ماذا لو خرج ببندقية ؟ قلت لوفيق علينا أن نتجه إليه ونفهمه أننا ضيوف البحر . وفى اتجاهنا معاً شعرت أن البندقية فى صدورنا والرصاص يشق هدير البحر . بسرعة خرج علينا ، سمعت صوت الموج يضرب الشاطىء والخراسانات والحديد ، ويصفع « الشاليهات » والفنادق ، ولم تكن فى يده بندقية . كان يلبس على عجل البالطو الكاكى ، وبتوتر أيضاً ، وحين واجهنا تماماً كان لم ينته بعد من ارتداء البالطو ، ولكنه فجأة أمسك بذراع وفيق ، وضغط بشدة ، رأيت وجهه النحيف ذا الشارب الكث يرتعش ، غير أنه كز على أسنانه وقال :

ـ قلت لكم انزلوا

أشار باصبع قصير مبتور :

ـ هذا بحرى

التففنا حوله ، وخالد يرقبنا باستمتاع ، اتكأ ابراهيم عبد الفتاح على عصاه ، فقال الرجل :

ـ هذا البحر عهدتى

مرقت الطيور الجارحة من فوق رؤوسنا بصوت وحشى ، فرأيت وجهه متغضناً ، أكحل العينين ، وملابسه قديمة ورثة ، وحذاءه الجيشى ضخم . قلت نحن ضيوف ، هتف فى شموخ :

ـ والبحر بحرى .. وأنا لهم بالمرصاد .. وأنتم بإشارة من أصبعى أقضى عليكم .. هل تهربون الحشيش ؟

قال وفيق نحن ضيوف ، كاد إصبعه يدخل فى عين وفيق وسأله :

ـ ماهو نشاطك ؟

قال وفيق أنا صحفى .

قلت له : هاتان بنتان تسيران بلا خطر . فلماذا ..!

ضرب رجله فى الأرض وصرخ :

ـ حريم .. حريم .. أنا لا أقتل الحريم .. أنا قتلت محمود الفحام .

برهة ، وصمت البحر ، وبحلق فينا بعيون دهشة ، وعندما أدرك أننا لانفهم ، قال بأسى :

ـ ألا تعرفون محمود الفحام ؟

قلنا : لا نعرفه .

تغير وجهه بمسحة من حزن ، وقال مكلماً نفسه :

ـ محمود الفحام .. أكبر تاجر مخدرات فى مصر .

أمسك بخالد من كتفه ، وقال وهو ينظر للبحر :

ـ محمود الفحام .. دوخ الحكومة والبوليس ، فقلت لهم اتركوه لى ، وأخذت بندقيتى ، ورحت وراءه ، من بلد لبلد ، من حارة لحارة ، من بيت لبيت ، ومن سنين لسنين لسنين ، ونسيت امرأتى وأسماء أولادى ونسيت وجوههم أيضاً ، ولكنى أتذكر ولدى النحيل ، كان مريضاً ، لكنى كنت عند كلمتى ، حتى ذات ليلة فى محطة سكة حديد ، وكان هو فى انتظار القطار حين صوبت عليه من الرصيف الآخر . طلقة واحدة ، واحدة ، قتلته بها ، وبإمكانى أن أقتلكم أيضاً ، لى الحق فى أن أدافع عن هذا البحر .

وأصبح للطيور صوت ، وللموج هدير ، حتى أنفاسنا ترددت ، لكن لهاثه كان عالياً .

قال وفيق : ما اسمك يا عم ؟ فمشى الرجل حتى قارب مقلوب وجلس عليه ، وأخرج علبة السجائر من جيب الصديرى ، أخرج سيجارة وقبل إشعالها قال بزهو :

ـ صالح

قال وفيق : من أين يا عم صالح ؟

قال صالح وهو يشير إلى كل الدنيا :

ـ من مصر .

قلت : نحن بلديات كلنا من مصر .

أشعل سيجارته بهدوء وقال :

ـ أنا كنت بقسم عابدين .. أحرسه وأخدمه وأدافع عنه .. قالوا لى عهدتك قسم عابدين ، قلت لهم هاتوا بندقيتى واتركونى ، وتعقبتهم ، كل المهربين .. واحد .. واحداً ، ولكنى لم أنس ولدى النحيل الذى كان مريضاً . وأعرف كيف قتلت محمود الفحام .. طاخ طاخ طاخ . ولم يعد هناك مهرب واحد يهدد قسم عابدين ، فهدمت الحكومة قسم عابدين ، ولماذا يظل قسم عابدين ؟ أعطونى البالطو والبندقية والبطاقة العائلية وأرسلونى إلى البحر ، وعلى ورقة بيضاء بصمت على عهدتى الجديدة . أحميه من كل شىء : المهربين والقتلة . البحر فى الشتاء ملكى ، وفى الصيف يلعب به الأولاد والبنات ، لم تسمعوا كلامى ، وكان عقابكم واجباً ، لن يأخذوه .. لن يأخذوا البحر منى .

وقف فى عصبية ، فرفت العنقاء وحومت ، وخرجت جنيات البحر يبللهن الماء ، وتكدرت المدينة ، وارتج الأثاث المركون بها ، وتهاوى كعظام هشة ، وسمعت بأذنى التى سيأكلها الدود وقع حوافر الخيول تجتاح المدينة ، واختلط الماء الأجاج مع السلسبيل ، حينئذ خلع البالطو الكاكى ورماه بعصبية ، وصرخ :

ـ لن يأخذوه .. سأقف لهم بصدرى العريان .

وكانتا تمضيان على مهل ، وسمعت ذات الفستان الأحمر تغنى بصوت عال رائق وصافٍ ، تمضيان .. حتى اختفيتا ، ونحن انسحبنا فى بطء لنمضى ، وخطونا فأسرعت خطانا . الرمل هش وماء البحر يتسلل إلينا ، رامياً من أعماقه كل الأصداف والذكريات الصغيرة ، ولعب الأطفال التى تاهت منهم ذات صيف ، لم أشأ البوح ، غير أن صوته أوقفنا جميعاً ، التفتنا ، جرى إلينا ، أمسك إبراهيم من كتفه وسأله فى حزن :

بالله يا أستاذ ماذا فعل أولاد محمود الفحام بعد موته ؟

المحلة الكبرى : جار النبى الحلو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يوسف أبوريّة

قصة

حلم "أبوعطية" القديم

فى الحجرة الرطبة رقدن ، فى كتلة الظلام الأبدية كانت حركاتهن المحدودة ما بين الردهة والباب والشارع حيث يجتمعن بباقى الصبية فتغنين الكبرى ما حفظت من أغان .

ولأن العيون مطفأة ـ لاترى حلاوة الدنيا ـ مرقت كبراهن من طفولتها إلى مراهقتها إلى سنها الحالية دون أن يأتى ذلك الرجل الذى رأته ـ عبر ليل كثيف ـ قادماً ليروى جفافها بذكورته .

والأختان الصغيرتان يتبعانها (لأن العيون مطفأة) وكل مساء ينتظرن العجوزين ، وكل مساء يرقد العجوزان إلى جوارهن ، يلتصق الجسدان ، وفى شوق ينتظران .

و(الدولاب) يدور .. بين القدمين يدور ، والطين يتخلق بمس اليدين المعروقتين ، و(نعمات) تجئ وتروح ما بين (الدولاب) والحصى المفروش تحمل ما صنعت أصابع زوجها لتعرضه للشمس الساخنة . والعقل الذى تحويه الجمجمة العجوز المضمومة بالطاقية الصوف يدور ، واليوم ينتهى حين تغرب الشمس ، ويأتى غيره حين تشرق . قالها لنفسه كثيراً « غداً ينفرج الحال » وحين قالوا له أول مرة « مبروك » كان سعيداً ، ولما دخل على (نعمات) الشاحبة المرهقة ، قالت : بنت يا (أبوعطية) . كان سعيداً ، وأرضى نفسه غير الراضية ، « كله من عند الله » لكن العين لا ترمش حين تتحرك أمامها الأصابع ، تظل على حملقتها الجامدة عند تحولها من الظلمة إلى النور الباهر ، عرفت أنها عمياء ، حزنت (نعمات) الجاحدة ، أما هو فى باطنه فكان راضياً يجمع التراب الناعم ، ويحمل صفائح الماء ليبلله ، بقدميه يلوكه ثم ينقيه من الطوب الدقيق ، ليرفعه ـ بعد ذلك ـ إلى (الدولاب) كتلاً صغيرة ، فيدور به ، وبين أصابعه تتشكل (المتارد ، والأباريق ، والمواجير) .

تحملها (نعمات) حيث الشمس الساخنة ، ثم (الفاخورة) الملتهبة ، يقف إلى فوهتها يدس الحطب الجاف ، ويرتفع الدخان يملأ الدور القريبة ، يحمر الفخار ويبرد ، يأتى (برهم) ليرفعه إلى عرباته الكثيرة ، يلف به الأسواق ، والقروش الكثيرة تنفخ كيسه الكبير ، والقروش القليلة تبقى فى يد (أبوعطية) والطعام يأتى حين تأتى القروش فتزدهر الحجرة الرطبة بها ، لكنها تكلح حين تقل فى صدر (نعمات) . وحرقة أخرى ، ودورة جديدة ما بين التراب والطين وصهد النار .. و(الفاخورة) تشتعل لتطفأ ، ومن بطنها يخرج الفخار محمرًا ليرصه على عربات (برهم) ، يومها قال له : أنجبت بنتاً . ولما لم يرد أكمل : غداً تكبر فيضاف إلينا فم جديد ، وأنا فى حاجة إلى زيادة . ضرب الحمار ، وأمر الحوذى بالمسير ، التفت إليه : ليس هذا وقته يا (أبوعطية) ثم إلى زودتك حين تزوجت ، ولم يمر على ذلك عام . فى الحجرة الرطبة تمدد إلى جوار (نعمات) والجسد الريان ينفخ لهباً كفوهة (الفاخورة) وقالوا له ـ ذات يوم ـ « مبروك » .

كان يحلم بالولد ، لكن الولد لا يجئ لأن (أبوعطية) يعاند الله ، وعرف أنها كأختها عمياء ، قالوا له : لأنها قريبتك تأتى خلفتك عمياء . وأغروه بالزواج من غريبة ، و(نعمات) الطيبة يحبها ، واليد الفقيرة عاجزة ، زار (برهم) فى داره ، قال : بنتان يامعلم .. جئت أتوسل إليك .. القروش لم تعد تكفينا ، الكبيرة تأكل والصغيرة تكبر مع الأيام .

فتل شاربه ، ورشف الشاى قال : يا (أبوعطية) ماذا أفعل أنا والسوق راكدة ؟

عرض عليه فكرته : أعطنى الفخار الشرك .

وحين انفضت الجلسة ، وافق على نصفه .

والليل يأتى بالظلام ، وقبل الظلام تنتهى الأعمال ، فيغتسل فى الطلمبة ، وينزل الطين الذى علق بساقيه وقدميه ، ويدخل جسده فى الجلباب النظيف ، والحجرة الرطبة بها المصباح الصغير ، تصبح ظلماء حين ينطفئ وفوهة (الفاخورة) فى جسد (نعمات) تلفحه باللهيب الذى يبرد حتى ينام والرضى يشمل بدنه النحيل .

دخل عليها يوماً ـ كانت الطفلة تلقم ثديها ـ جلس فى ركن ، انتبهت إليه قالت : ما بك يا (أبوعطية) . لم يرد ، وحين ألحت أجابها : (برهم) رفض .. طلب منى إذا أردت زيادة أن تعملى معى . قالت : وما له ؟

ـ والعيال ؟

ـ لا تخف عليهم .

....

ـ (أبو عطية) ماذا تقول عنى ؟ هذه ثالث طفلة عمياء .

ـ أتخوضى فى الله ؟

ـ ولكنك فى حاجة للولد .. فتزوج غيرى إن شئت .

ـ لا أجد الطعام لنفسى .

والصمت ساد ، وانطفأ المصباح ، لكن الفوهة لم تعد ترسل نارها ، اقترب منها ، التصق ، عرف أن النار فيها لكنه استدار ، ونام .

شمرت جلبابها ، عقدته ، صفت كتل الطين ، فرشت الحصى فوقه رصت ما سوته يدا (أبوعطية) تطلع إليها ، كان سعيداً ، فى جسده تشتعل النار من أجلها ، لكن الخوف يخمد نارهم ، قالوا له لا تقربها فإنه لاجدوى ستأتى الرابعة عمياء .

و (نعمات) تدلق الماء على الجذوة إذا صحت فيها . والجذوة لا تخبو ، تظلم الحجرة ، وتبقى العينان يقظتان ، والخفقان يرسل الدم الحار فى كل الأنحاء ، تطلع إليها ، عظام الترقوة برزت ، والثديان تفرقا كجلدتين لاداعى لها ، والصدر ازرقت عروقه الكثيرة الدقيقة .

والأخوات هناك حيث الرطوبة يكسى أجسادهن اللحم الطرى .

والحسرة فى حلق (أبو عطية) .

والحسرة فى حلق (نعمات) .

ولايقدر أحدهما أن يقول للآخر : إن العرسان لن يقبلوا على بناتنا والحسرة تزيد ...

لأن لحم الكبرى يموت ، والأثداء التى كانت يوماً منتفخة ضمرت ، والشارب نحت الأنف ، وبرزت الأسنان ، والعيون ظلت مطبقة على ليلها . لكن (أبوعطية) كان يراه صغيراً أول الأمر يحبو ..

وحين كان ينظر إلى زوجه رآه ، يذهب فى طريقها ما بين (الدولاب) والحصى باليد القوية يرفع كتل الطين الكبيرة ..

وبالرجل الراسخة يلوكه ..

وكان يذوب ..

وبالخوف يذوب ..

وفوق الحصى يجف الطين الذى صنعه ، يدخله (الفاخورة) يضرم فيه النار ، أمام الفوهة يقف ، يدس الحطب ، ويرمى السرس ، والنار تفرد بالداخل ، حمراء وقوية ، و (نعمات) بجسدها أمامه ، يشتهى النار فى الحجرة الرطبة ، والخوف يجئ لكنه هذه المرة لا يطفئها بينما الثلاثة يرقدن إلى جانبها ، وراء الظلمة .

القاهرة : يوسف أبو ريه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتحى سلامة

قصة اللافتة

عندما ذهب الرجل إلى المترل ، الذى يقع فى شمال المدينة ، وجد اللافتة التى كان قد علقها فى الصباح قد اختفت ، ووقف ينظر فى دهشة إلى الفراغ الذى تركته ، وراح يتذكر فى إصرار غريب كل ما حدث خلال عمل اللافتة وتثبيتها ، ثم تذكر ـ أيضاً ـ أنه شعر بالسعادة والزهو عندما نظر إلى اسمه مكتوباً بالحروف السوداء الغليظة على اللون الأبيض ، كما تذكر أيضاً ، تلك اللحظات التى أحس خلالها بالهوان عندما لاحظ رداءة الخط التى كتب به حرف (العين) ، وقرر بعدها معالجة الأمر بوضع رسم كوفى فوق الحرف ، ولكنه الآن للأسف الشديد ـ لا يجد اللافتة بحروفها الغليظة ، لقد اختفت تماماً ، دار حول مكانها ، حاول أن يجد علامة ما ، أو مجرد أثر يدل على الطريقة التى اختفت بها ، فلم يجد . وعندما اقترب منه حارس المترل ، سأله عنها ولكن الحارس مط شفتيه ، وأصدر صوتاً مضغوماً لم يفهم منه شيئاً وإن كان قد فهم ما يعنيه الحارس ، صاح فى دهشة :

ـ كيف ؟

هز الحارس رأسه ومضى لم يكن أمامه إلا أن يواصل سيره إلى داخل المترل ، ويصعد مجموعة الدرجات القليلة التى توصله إلى المصعد ، لاحظ خلال صعوده وجود علبة كبيرة موضوعة فى أعلى الدرجات ، واكتشف أيضاً أن بعض الدرجات بها خدوش قليلة وصعد إلى رأسه خاطر أسعده ، وجعله يتراجع فوراً ويهبط تلك الدرجات التى صعدها . لقد اكتشف الآن سر عدم وجود اللافتة . .. إن هذا المترل ليس مترله ، لقد أخطأ المترل وبالتالى فإن اللافتة لم تضع ، بل هى موجودة ، هو الذى أخطأ . وهرول مسرعاً إلى الشارع ، سعيداً كان باكتشافه هذا ، سار عدة خطوات حتى اقترب من المترل المجاور . لاحظ على الفور أنه لا يشبه المترل الذى يسكنه ، بل لا يوجد أى نوع من التقارب بينهما ، وهناك العديد من الفروق بينهما فى اللون وعدد الأدوار ، بل والسور الخارجى ، فالمترل الذى يسكنه يتميز بسور خارجى من الأول الذى دخله ولكن اللافتة غير موجودة تراجع فى خوف ، أحس أنه ضائع ، مكشوف لكل أنواع الأخطار بل أحس بالرجفة تأخذ بعقله وتهزه هزا ، وعندما نظر إلى السماء ثم تلفت حوله ، كاد يصيح من السعادة والفرح .. لقد أخطأ فى الشارع وليس فى المترل فقط ، وبالتالى فإن المترل موجود واللافتة أيضاً ، لا يمكن للافتة أن تطير مع الريح حتى ولو كانت ريحاً ضارية ، ولا يمكن أيضاً أن يقتلعها أحد بسهولة ، لقد ثبتها جيداً ، وكلفه هذا أسبوعاً من العمل الشاق ، وراق له العمل حتى كان يقضى فيه معظم أوقات النهار . وهرول مسرعاً وإحساس بالسعادة يدفعه .

وقف فى نهاية الشارع ، تذكر سيارته التى كان قد أوقفها أمام المترل الأول ، قرر أن يعود إليها ولكنه أرجأ ذلك إلى حين ، فالشارع التالى هو بالتأكيد الشارع الذى يسكن فيه ، وهو يذكر أن على ناصية الشارع محلا للعب الأطفال والحلوى ، وأنه تعامل مع هذا المحل من قبل ، وعندما لاحظ عدم وجود محل اللعب ، لم يهتم به ، ودار حول الناصية فى ثقة ، فقد تعود أن يصل إلى مترله دون تفكير ، بل كثيراً ما قاد سيارته حتى المترل وهو مستغرق فى تفكير عميق حول بعض المشاكل ، وقد تعود هذا العمل الشاق الذى يستغرقه طوال اليوم ، وكثرة الصعوبات التى يقابلها تجعله منهكاً فى نهاية اليوم .

قرر أن يترك قدميه تقودانه إلى المترل كما تعود كل مساء ، مضى وهو يفكر فى .. فى ماذا ؟ لم يعد يتذكر عمله ، بل لم يعد قادراً على أن يستعيد ما فعله منذ قليل . توقف عن السير ، ثم دار حول نفسه راح يدقق النظر فيما حوله من أشياء وبشر ، أحس برعدة البرد وهاجمه إعياء ثقيل ،

جلس على الطوار ، ردد بينه وبين نفسه ، إنه بخير ، مجرد شعور بالارهاق ، سوف يزول عندما يجلس ، بل عليه أن يتمدد ، وأحس بلسعة برودة الأرض عندما رقد ، ولكنه استسلم للراحة التى شعر بها أيضاً عندما ترك جسده يرقد دون مقاومة ، تطلع إلى السماء وبهره منظر النجوم وهى تتجمع فى مجموعات غير متناسقة ، وراح يستنشق الهواء البارد القادم من هذه النجوم ، تحسس جيبه وتذكر رغبته فى شرب الشاى الساخن ، هذا أول عمل يقوم به عندما يصل إلى منزله ، ولهذا عليه أن ينهض رغم هذا الإحساس الرائع بالمتعة ، وقف . سار عدة خطوات فى ثقة ثم توقف وقد قرر أن يتغلب على تلك الحالة التى تسيطر عليه ، قرر أن يتذكر كل شئ، شعر بالألم فى ظهره وأسفل بطنه ، ولكنه طوح بيده اليمنى فى حركة رشيقة وقفز فى الهواء عدة قفزات ، بعدها أحس أنه هو ، عليه الآن أن يعود إلى المنزل ، ويأخذ دشاً دافئاً ، هكذا تعود كل مساء ، عاد يسير وهو محافظ على دفع قدميه فى ثبات فى خط مستقيم ، أسعده أن يراقب عدد البلاطات التى يقطعها فى كل خطوة ، ثم راح يراقب اتساع خطوته خطوة بعد أخرى ، حتى أمكنه أن يحسب المسافة التى يقطعها فى كل دقيقة ، أحس بأن عقله قد عاد إلى توهجه وأنه الآن فى حالة عقلية نشطة ، مضى عليه الآن ساعة ، قطع خلالها مسافة تزيد على مساحة عشرين ألف بلاطة ، تصور لو أنه ظل سائراً هكذا بنفس هذا المعدل ولمدة مائة ساعة ، فإنه سوف يتخطى ملايين البلاطات ، قرر أن يفعلها ، ومضى فى حماس وهو يتخيل السعادة التى سوف يحس بها عندما يتخطى كل تلك البلاطات .

القاهرة : فتحى سلامة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خيرى شلبى

قصة

سارق الفرح

الواد «عوض» ابن خالتى ما صدقنى ، لما قلت له إن ثمن الحذاء الذى اشتراه أخوه «مطر» أول أمس ، يصلح أن يكون مهراً يدفعه لعروسه معشوقة قلبه «وهيبة» ابنة «عم بيومى» منادى السيارات الساكن وراءنا فى نفس العشش .

«عوض» ابن خالتى يحب «وهيبة» منذ كنا أطفالاً صغاراً ، فطول عمر «عم بيومى» وهو يسكن فى حجرة مجاورة لحجرتنا أيام كنا نسكن فى بيوت ، فى حى داخل البلد ، ولما قالت لنا الحكومة ذات يوم إن هذه البيوت التى نسكنها آيلة للسقوط لم نصدقها ، ولما أخرجونا بعدها بالقوة ظللنا نبيت فى العراء بجوارها شهوراً طويلة ، فلما انهارت أزالتها الحكومة ووسعت بمكانها الميدان .. فجئنا كلنا إلى هذه الهضبة العالية من تلال زينهم المواجهة لجبل المقطم ، وأقمنا فوقها هذه العشش وسكنّاها . حمدنا الله أن الحكومة تركتنا فى حالنا ، ولكن بعض الشبان من ذلك الذى يسمى بالاتحاد الاشتراكى ، والذى لم نعد نسمع له اليوم حساً ولا خبراً ، قالوا لنا إن الحكومة اشتكتنا لجمال عبدالناصر فقال لهم : دعوهم وشأنهم ، فالقادر بنى بالطوب والفقير بنى بالبوص والحصير .

«عم بيومى» رجل غلبان إنما جدع : وكلنا غلابة وجدعان أيضاً لكن الزمن لا يفرق بين الجدع والغلباوى ، «عم بيومى» عرف كيف يقلب عيشه ، من صبيحة ربنا يمضى نحو الشمس نازلا الدحديرة العالية فى سرعة ، ينكفىء على وجهه مرات ويعتدل ، بعد دقائق يصير فى قلب المدينة ، فى الوسعاية التى يفرض عليها خفارته ويسمونها الميدان ، حيث تركن عشرات السيارات وترحل لتحل غيرها محلها فلا يفعل «عم بيومى» أكثر من أن يصيح كلما رأى صاحب سيارة يشرع فى فتحها : «أيوه» ، ثم يهرول نحوه فيمسح له زجاج السيارة وينزل زجاج النافذة ويمضى قائلا : «هات ورا .. إكسر العجل كله .. بسلامة الله» . وصاحب السيارة يجده أحسن من غيره من «الشضلية» الصياع الذين يفرضون إتاوة على كل سيارة بدلا من سرقتها وتشويهها .. فيعطيه البريزة أو الربع جنيه . يعود «عم بيومى» آخر النهار متعشياً ، الله يكرمه لديه أكثر من عشرة أولاد لا شغلة ولا مشغلة كلهم بنات ماعدا ولدين اثنين . له الشكر رضى أن يزوج ابنته «وهيبة» أجمل بنت فى العشش كلها ، لـ «عوض» ابن خالتى أفقر مخلوقات الله .

«عوض» ابن خالتى هو الآخر لا شغلة له ولا مشغلة ، إنما هو طيب ، قلبه أبيض ، غير أنه شرانى ، محه طاقق ، لا يصبر على التفاهم بالراحة ، المصيبة أن طيبة قلبه لاتظهر إلا بعد أن تقع المصيبة ، وكم قلنا له كلنا : ماينفع الناس من طيبة قلبك إذا كانت لاتظهر إلا بعد أن تضرهم وتسبب لهم الأذية ، إن طبعه هكذا من يومه ، وكل أهل العشش يعرفونه ويعاملونه بالراحة وطول البال ، وبعد انضرافه يقولون : لوكان هادىء الطبع قليلا لفتح الله عليه بشغلة تدر ذهباً كأخيه وربما أكثر إذ أن شكله جميل أبيض كالأجانب وله سوالف طويلة حتى إن كل من يراه ينخدع فيه ويظنه ابن ناس ..

كل الناس لهم صنعة واحدة يتميز بها كل فرد أما «عوض» ابن خالتى ففى يديه ستين صنعة لكنه لايفلح فى أى صنعة . أقابله مرة مبقع الثياب بالبوية ، فما الحكاية يا «عوض» ؟ يقول : «باشتغل مع العَسَّال فى الدوكو» . مرة أخرى أقابله مزيت الثياب بالشحومات ، ما الحكاية يا «عوض» ؟ . يقول : «اشتغلت مع حسن الميكانيكى» ويوماً أراه مع عربة أنابيب البوتاجاز فى حوارى البلد . ويوماً آخر سارحاً بين السيارات بفوط صفراء وقطع كاوتشوك ومناديل كلينكس ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عمرى ما رأيت معه مائة جنيه كاملة . دائماً يشتكى لى . ولو كان الود ودى لساعدته . كل ما حيلتى هو ترابيزة البخت هذه التى أفردها وأطويها كما يحلو لى . أملأها كل يوم بالبخوت ، عين فيها عسلية ، وعين فيها طوفاية ، وعين فيها قرش ، وعين فيها ملبسة وحبة فول سودانى . أسرح بين حوارى العشش وقرب البيوت الخارجة عن المدينة ..

أنا يا صاحب البخت جمعت ذات يوم مائة جنيه كاملة ، ولكن عيالا ضحكوا علىّ وأخذوها فى لعبة . نهايته ، اللهم اخزك يا شيطان ، ياما قال لى وقال العيال : العب وخذها وخذ فلوسنا كلها لو غلبت ، لكننى أخزيت الشيطان ومن يومها لم أذهب إلى الدحديرة الخلفية عند جذوع الأشجار الجرباء العجوزة . ومن يومها أيضاً لم أفلح فى تجميد مائة جنيه كاملة فى جيبى . مستورة والحمد لله ، فحين تنفقىء كل عيون البخت فوق ترابيزتى أطويها وأعود إلى العشة فألقى بالألواح الفارغة لأمى العجوز ، كى تتسلى بملئها من جديد ، وتلصق فوق اللوح فرخ ورق . أعطيها الغلة . محتجزاً لنفسى الفرق والمصروف ، فأمى تظن أننى أبيع العين للطفل بقرشين ولذا فهى تحاسبنى بعدد العيون قروشاً مضاعفة . وأنا ، فتح الله عنى فى الأيام الماضية ، فدخلت نحو منطقة فيها ثلاثة مدارس ، تلكأت حولها ، فهجم على الأطفال ، فصرت أبيع لهم العين بخمس قروش فلا يعترضون ومن يومها يكرمنى الله فى ساعة زمن ولكن لم تتجمع المائة جنيه ثانية . العملية أصلها يادوبك .. أنزل المدينة نزلة واحدة ، أرى خيرات الله على الأرصفة وفى محلات يلذ لى أن أدخلهاولو للفرجة ، وأرانى عائداً من المدينة أصعد الهضبة مهدود الحيل من ضياع قروش فى الفرجة فقط من غير ما أحصل على شىء مما تمنيت لو أذوقه ..

يعز علىّ أن يكون «عوض» ابن خالتى معذوراً فى قرشين ، ودمى يأكلنى لما يكون المبلغ أكثر من مائة جنيه بخمسين . فإذا أنا حدثت أمى ورضيت أن تسلف ابن أختها خمسين جنيهاً من رسمال ترابيزة البخت ، مع أن هذا شىء أصعب من أن نجد المبلغ كله ملقى على قارعة الطريق .. فمن أين يجىء «عوض» ابن خالتى بالمبلغ المطلوب ؟

ربك والحق «عوض» ابن خالتى لابد له من تدبير المبلغ بأى شكل إن كان يحب «وهيبة» حقاً ويريدها زوجة . لأن الولد «شطه» ابن «عدوله» الملاية كان قد هاجر إلى العراق فمكث هناك ثلاث سنين يعمل بائعاً سريحاً ، فجمع مبلغاً يقدر بالمئات ، وجاء ينطح فى مستقبل «عوض» ابن خالتى ، بعث يخطب «وهيبة» ويعشمها ببناء حجرة بمنافعها بالطوب الأحمر مكان عشتهم البوص . «وهيبة» لم تغرها الفساتين التى لوحت بها أمه لها ، ولا الملابس المستوردة التى تظهر كل ساعة على كتفيه ، ولا السجاير الروثمان التى يشعلها على الدوام بولاعة مذهبة . وهى ـ «وهيبة» ـ تلوى شفتيها باشمئزاز وهى واقفة أمام الفرن الطينى الرابض جوار عشتهم بين شجرتى كافور كبيرتين ، ثم تهز كتفيها وتدخل العشة بين قوافل البط والدجاج والأوز ومعزتين وثلاث خرفان وأربع كلاب وقطتين ..

فى هذه العشة المليئة بكل هذا ينام اثنا عشر شخصاً هم «عم بيومى» وأولاده ، مع العرس والفئران والقطط والثعابين المعروف أماكنها جيداً ، كل يتجنب الآخر ولايعتدى على الآخر ، إنه الستر ودعاء الوالدين ، والكل فى النهاية يبيت متعشياً بالصلاة على النبى ..

«عدوله» الملاية التى كانت البارحة تمشى حافية خافضة الرأس ذليلة بطبعها ، تلقى صباح الخير ومساه على كل دابة فى الطريق ، وتلف تستلف جنيهاً أو اثنين ، تسأل عن قطعة خميرة ، عن المنخل ، عن فرخة ضالة ، عن ذكر بط وفى يدها بطة تبغى لها لقاحاً .. ارتفعت قامتها فجأة ولفت نفسها فى ثوب متسق كأنها من الستات المحترمات ، وطرحة سوداء من الحرير اللامع حول وجهها الملىء بقشف الهموم كقشر السمك ومع ذلك لايخلو من مسحة جمال لعله كان فى جدها أو جدتها ؛ وبات من حقها أن تكثر من المرواح والمجىء أمام عشة «عم بيومى» يأكلها قلق الانتظار ، فقد أخبرها «عم بيومى» أنه موافق ولكنه سيرد عليها بعد أن يتكلم مع ابنته كلمتين صغيرتين فى السر . وهى تعلم أن «وهيبة» غير موافقة على الزواج من ابنها ، وواثقة أن «عم بيومى» يخشى غضبة «عوض» ابن خالتى ولكنه رجل ، بارم ، ولافف ، وهو غير موافق ولا يستطيع أن يوافق حتى لو دفعت «عدولة» مال قارون مهراً لابنته . هو يعرف أن رأيه لن يكون مجرد رأى فى مجرد عملية زواج ابنته من أى شخص ، بل فى مسألة ينتظرها أهل العشش كلهم ويتشوقون لمعرفة نهايتها : كيف يتأتى لـ «عوض» الخائب أن يأخذ «وهيبة» ؟ وهل المسألة حب حقيقى أم لعب عيال وأونطه ؟ و «عم بيومى» متأكد من أن الولد يحب البنت والبنت تحب الولد وسوف يثبت لأهل العشش أن الحب لم يكن لعب عيال وإلا كان هو نفسه رجلا عديم المفهومية ..

الذى فات على «عدولة» أم «شطة» أن تفهمه هو أن «عم بيومى» أعطاها كلمة الموافقة المهزازة فى لحظة عرف الخبيث كيف يستغلها . إذ أن يوم ذهاب «عدولة» إلى عشة «عم بيومى» لتخطب ابنته «وهيبة» لابنها «شطة» العائد لتوه من العراق ، لم يكن ليمر هكذا كأى يوم خطوبة فى عششنا . الخبر كان قد انتشر بين العشش كالشرارة بين الحطب ، وتناقلته أفرع الكافور العجوزة الجرباء فى الدحديرة الخلفية ، حيث يمتلىء قاع الدحديرة بكتل من الظلام ربما كأنه رجل متقرفص يقضى حاجة ، أو قعدة قار ، أو مجموعة شبان اصطادوا مومساً ضالة أو أفندياً غشيماً وراحوا يجردونهما من كل شىء ..

أقطع ذراعى إن ماكان «عم بيومى» هو الذى شجع «عدولة» على الفكرة وجرأها على التقدم علانية للخطوبة . كان يسمع الخبر وهو عائد يركض مترنحاً لاهثاً بعد مابذله من جهد فى صعود الهضبة .. فيكمل لهاثه باسماً عن سنة يتيمة باقية تتدلى من سقف فمه الواسع كالخطاف كالخديعة اللطيفة ، ويكون قد دخل الشارع العمومى للعشش وحود أول تحويده على اليمين متخطياً فناء القردانى وعشة الشحاذ العجوز وحظيرة خنازير المعلم «عطا الله» الصعيدى المتوطن قبل الجميع هاهنا .. فما يكاد يجلس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على التعريشة المصنوعة من الحجارة المعدة لمواسير المجارى حتى يمسح على ساقيه السوداوين المعروقين ، ويقول بصوت عال وفى جدية متعمداً أن يسمعه الجميع : «وماله .. هو عيب .. راجل ملو هدومه .. الراجل عيبه جيبه .. احنا فى ديك الساعة ؟ .. ماهى قد بعضها .. الملاية تبقى حماة بنت المنادى ! » ..

وهكذا تجرأت «عدولة» وجاءت تجر خلفها ابنها ورجلين أحدهما قردانى سابق ومهنته الحالية شراء الأشياء من بورسعيد وبيعها للناس فى العشش ، والثانى خفير فى شركة الملح الحكومية ، لبسوا جميعاً أهم ماعندهم من ثياب ، ونثروا كثيراً من السجائر الرونمان التى وزعها عليهم «شطة» ، وتكلف «عم بيومى» شايات وقهاوى وحاجات ساقعة وسجائر ـ أجنبيه أيضاً ـ لم يكن لها مبرر . وشكروا جميعاً فى الولد ، باسم الله ما شاء الله كسيب وفالح وابن يومه ، ولم ترتفع من داخل العشة همسة واحدة تدل على الترحيب ، بل كان «عم بيومى» هو الذى يقوم بنفسه فيحضر الشايات ويعيد الكوبات والصوانى ، التى ما أن رأها القردانى السابق حتى تأكد أنها من بين ما باعه لزوجة «عم بيومى» من مجلوبات بورسعيد ، فشعر بزهو لبرهة ثم قال : «ما تسمعونا الفاتحة» ، لكن «عم بيومى» شوشر عليه بصنعة لطافة قائلا إنه قبل الفاتحة هناك شىء يجب أن يقوله ، ثم لايقول شيئاً ، وفى كل برهة يذكرك بأن هناك شىء يجب أن يقوله ، ثم لايقول شيئاً ، وإن كان مع ذلك لا يكف عن الكلام ، لكن كلامه ما يلبث أن يذهب فى واد آخر بطريقة مشوقة توهمك أنه بعد كل هذا الكلام المنمق المتسق الطويل سوف يقول شيئاً شديد الأهمية ، لكنه لا يقول شيئاً ، فإن قاطعته لتستفسر عن شىء فإنه يقاطعك صائحاً بأن هناك شيئاً يجب أن يقوله .. خل بالك معى ..

إلا أنه فى النهاية قال شيئاً ، لكنه قاله فى اللحظة المناسبة ، حين كان الخاطبون قد نهضوا للانصراف . وكنت وجواسيس «عوض» ابن خالتى قد تابعنا كل شىء وسمعنا كل شىء . وإذ هو يودعهم حتى الفرن الرابض بين شجرتى الكافور قال بصوت عال وهو يعلم أن أشباحنا ذائبة فى الجدران : «أهلا بيكى يا ست عدولة .. معنديش أى مانع .. بس معلهش اديني يومين تلاته وأرد عليكى» . ثم ارتد نحو العشة فى ركن هادىء يشمله رضاء وزهو ، حيث أدرك أن قنبلته قد أصابت قلب الهدف وأن شفرته السرية قد وصلت إلى من يفهم الكلام من الجاوات الموجهة لهن الكلام ..

وهكذا بات على «عوض» ابن خالتى أن يضرب الأرض لتطلع بمائة وخمسين جنيهاً من تحت طقاطيقها ..

الولد ابن حلال متربى لا يسرق ولا يفكر فى الحرام . عمره ماسرق ولكنه قال لى إنه مستعد هذه المرة لأن يسرق ولكن يسرق ماذا ؟ ثم قال إنه لو وجد أمامه شيئاً لسرقه . وهذا كلام يدل على أنه طيب وغشيم ، فاللص يجد دائماً ما يسرقه ، و«عوض» ابن خالتى لايجد دائماً مائة وخمسين جنيهاً يحل بها مشكلته الأزلية . نعم هى ، فمن يدرى ؟ ربما لو تزوج من «وهيبة» واستكن قلبه استكن سره وهدأ باله واستقر فى شغلة واحدة تدر عليهما رزقا حلالا . قلنا هذا كلنا ولكن القول وحده كالعادة لا يفيد ..

ساعتها كنا جالسين على مقربة من عششنا ، بين شلة من أشجار الكافور والأرض من حولنا متميزة بالتربة الخشنة السوداء الرطبة المشبعة برائحة روث الخرفان . وكان «عوض» ابن خالتى لابساً بنطلوناً من الجينز وفانلة نصف كم بدون ياقة مرسوم على صدرها «أنور السادات» ، وعلى ظهرها حيوان أشبه بالفهد الأحمق يندفع فى الفراغ اندفاعة مجنونة ليس أمامها ولا من خلفها أو تحتها سوى الفراغ الماحق الساخر ، قد اشتراهما أيضاً من القردانى السابق . وكان القمر يتساقط من بين أوراق الكافور ويسقط معها على الأرض ، وأضواء السيارات تبرق فى القاع البعيد متلاحقة خاطفة فى سيل متدفق على طريق صلاح سالم الذى يحزم الهضبة ويطوقها من ثلاث جهات ، رائحة غادية بلا توقف أو نهاية ، والفضاء يشز بزلزال خفى تتلقاه فروع الأشجار كهوائيات التليفزيون وتبثه فوقنا رعداً مخيفاً مزق القلوب وكانت العشش كلها تبدو أمامنا فوق الهضبة كورم خبيث ملىء بالجحور والسراديب ، ينام فيها عشرات الفتيات المحتجزات بشبكة أو عقد قران أو قراءة فاتحة ، تنتظران فك عقدة السروال فى الحلال المباح لكل دابة ؛ وعشرات الشباب مثلهن فى قلب الليل يحلمون براقصات الأفلام ومذيعات التليفزيون ، فما الذى تريد أن تفعله يا «عوض» يا ابن خالتى الآن ؟ .. ستضيف إلى عشتكم كائناً تاسعاً فوق إخوتك الست وأبويك العاجزين ! ستستقل وحدك بحجرة وهم جميعاً مرجبون بذلك حتى تتيسر لك الأحوال بسفرة إلى أى بلد ولكن هاهى الأحوال تريد أن تبدأ معك بالعسر لا باليسر !..

ملت على «عوض» ابن خالتى وقلت له : «تعرف أن أخاك مطر اشترى حذاء أول أمس ؟» . قال : «نعم .. أوراه لى» . قلت : «ما رأيك فيه ؟» . قال بضيق : «إحنا فى إيه ؟» . قلت وأنا أعزم عليه بسيجارة سوبر : «تعرف كم ثمنه يا عوض ؟» . شوح قائلا : «يقول إنه حذاء يلبسه لا أحددرى من ومن .. باختصار هو حذاء غال .. ولكن مالنا به الآن ؟» . قلت رغماً عنى : «ألم يقل لك إن ثمنه مائة وخمسين جنيهاً ؟» . هب «عوض» ابن خالتى واقفاً يلتمع الذهول والشر فى عينيه ، ورأيت فى عينيه بصيصاً ما يتصل بعينى القمر الساجيتين من خلل الكافور ، ثم حول ذهوله إلى تشويحة هزار ، وقال : «يا شيخ بلاش معر .. لقد ضحك عليك .. الحذاء لايزيد عن ثلاثين جنيهاً لو ضربه الدم .. أمى لو سمعتك لماتت بالسكتة القلبية فى الحال .. لاتقل هذا الكلام أمامها» . ضحكت لأنى أعرف هذا ، وقلت له : «لكن ثمن الحذاء مائة وخمسين جنيهاً بالكامل يا عوض» . جلس قائلا : «كيف عرفت ؟» . فجعلت أقول له كيف عرفت ..

«مطر» ابن خالتى شاطر . كنا ننظر إليه على أنه الولد البايظ الفاقد ، إلا أبوه زوج خالتى كان يقول إن «مطر» هو الوحيد الذى سينفع فينا إذ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو ولد نزيه ابن دنيا ، والدنيا دنيّه والزمن خداع ، وابن الدنيا هو الوحيد الذى يستطيع قهر الزمن وخداعه .

وقد أصبح واضحاً لنا أن «مطر» ابن خالتى سيركب الدنيا من خلال الدربكة . سفروت خفيف الدم «مطر» ابن خالتى . عشق الدربكة بسبب القردانى السابق وزملائه القرداتية الذين كانوا يلجأون إليه فى بيع أو شراء قرد صغير السن ، يعهدون إليه بتدريبه لهم ، فكان يقضى النهار يدق فوق «الرق» الصغير نغمات يتراقص عليها القرد ، الرق والعصا هما الأداتان اللتان بهما يسير القرد على عجين الفلاحة فلا يلخبطه . من حسن حظ «مطر» ابن خالتى أنه لم يعشق مهنة القردانى واكتفى بعشق النقر على الرق ، وكان القردانى يستعين به فى النقر على الرق فيما هو ممسك بالعصا بيمناه وسلسلة القرد بيسراه . «مطر» ابن خالتى كلما رأى فرحاً انحشر بين الفرقة وربض بجوار الطبلة حتى عرفوه ، اشترى لنفسه طبلة ثمينة ، طلع مع فرق العوالم ، كان لهلوبة ، يبز بالنقر السريع المتقن أثداء الراقصات العواجيز وخصورهن المتخشبة يبعث فيها شباباً يجنن مساطيل وسكارى المتفرجين . الحكاية بدأت فى لعبة فى فرح والسبب «عم بيومى» منادى السيارات . كنا فى فرح فى هذه المدينة المتكومة على نفسها فى سفح الهضبة . الفرح لابن تجار غلال يستعينون بنا فى كثير من الأحيال . عند «النقوط» يظهر دائماً «عم بيومى» ، وحين يظهر يفرح الجميع ، فهو أحسن واحد يقدم «النقطة» نيابة عن الآخرين ، إذ يعطيه المعلم عشرة جنيهات أو عشرين أو ثلاثين ويقول له : «إطلع المسرح نقط لى على فلان وفلان من الحاضرين وأصحاب الفرح» . «عم بيومى» يأخذ حق صاحب النقود جيداً ، عشرة ، عشرة ، كل عشرة لها وقفات طويلة يردد فيها اسم المعلم عشرات المرات وأسماء المعنيين بالتماسى عشرات المرات ، ويطلب سلاماً جمهورياً لكل اسم وموالا لكل معلم . كل فرق العوالم يستبشرون به ، و«النبطشى» الذى يجمع النقوط للفرقة يفرح به ويردد خلفه كل كلمة يقولها كالببغاء ، والفرقة تجامل «عم بيومى» وتعطيه آخر السهرة ثمن الدخان . طلع «عم بيومى» ليلتها على خشبة المسرح رافعاً يده برزمة من عشرات الجنيهات كورق الكوتشينة فى يد لاعب حريف . توقفت كل الأصوات فى انتظار أن ينطق . هتف بأسماء المعلمين واحد وراء الآخر ، ثم توقف قائلا أنه سيهدى المعازيم هدية خاصة : «إليكم فاصلا منفصلا من النزف على الدربكة للطبلجى المعجزة ، السفروت مطر» . فلما ظهر «مطر» من خلفه صبياً صغيراً سفروتاً هاج الناس بالصياح والتشجيع . وقف مسنداً قدمه على الكرسى ليطول الميكرفون ، راح ينقر على الطبلة نقراً جميلا ويهتز جسده كله وينتفض ، حتى نهضت الراقصة واندمجت فى الرقص مايزيد عن نصف ساعة والناس فى عجب ودهشة . فى نهاية الفرح أخذته معها ، وإذا هى راقصة تؤدى نمراً فى كازينوهات شارع الهرم ، وإذا بها تضمه إلى فرقتها ، ليصبح بعد شهور قليلة طبالها الخاص الذى تعشقه ، تحول «مطر» ابن خالتى من ولد سفروت صدىء الوجه والثياب إلى شاب أنيق ، أحلى وأشيك من الممثلين ، صار كل يوم يطلع علينا بمطلوع جديد ، كل يوم نرى على جسده قميصاً جديداً غريب الشكل أو بنطلوناً ، ودائماً هناك موضة جديدة فى اللبس نراها على جسده ويحكى لنا عنها ، ومنه وحده عرف شباب العشش أسماء الأقمشة والماركات الشهيرة فى القمصان والفانلات ، يتفرج عليه أهل العشش كلما رأوه يستعد للنزول وقد نتف ذقنه وسرح شعره الأكرت الهائش ورفل فى رقيق الثياب والكعوب العالية ـ قمر كباية ـ حتى إننا فى الأول كنا نخجل منه ومن منظره الذى لا هو شاب ولا فتاة ، لكننا رأينا البلد كلها تلبس هكذا فصرنا نفرح بمنظره والوقوف جواره أمام العشة لحظات ..

فى عششنا ناس كثيرون متعلمون حصلوا على شهادات عالية يعملون موظفين فى الحكومة ، تراهم يهرولون فى الصباح ركضاً فى الدحديرة النازلة إلى المدينة يلهثون فى اللحاق بالأتوبيسات ، ويعودون آخر النهار مفسخين كل ذراع فى ناحية . أما «مطر» ابن خالتى الطبلجى فإنه الوحيد الذى تجىء سيارة الراقصة لتأخذه وتعود به فى مطلع الفجر ..

على كثرة عشق «مطر» ابن خالتى للملبوسات المستوردة بالذات فإنه لم يعشق شيئاً مثل عشقه للأحذية بنوع خاص . لديه منها ما يملأ صندوقاً من الكرتون ولكنا نلبس من ورائه أحذية بالمجان ليس فيها سوى خدش بسيط أو بعض فشكله . ودائماً يقول إنه مضطر لهذا بحكم العمل ، فالطبال عنوان الراقصة ، وهو الذى يجلس فى الطرف فى مكان بارز من الفرقة ، ولايجلس إلا واضعاً ساقاً على ساق ليسند الطبلة فى متناول يديه ، ولذا فإن الحذاء هو أبرز شىء فيه ، إذ هو ممدود على الدوام فى وجوه المتفرجين عرضة لأن يتفرجوا عليه ، ولابد إذن أن يكون الحذاء ثميناً غالياً متيناً جميلاً ، فالناس فى بلادنا كما يقول تعرف الناس من أحذيتهم وتحترمهم تبعاً للحذاء الذى فى أقدامهم وليس تبعاً للعقل الذى فى رءوسهم ! ..

لكن آخر ما كنت أتصوره أن يشترى «مطر» ابن خالتى حذاء بمائة وخمسين جنيهاً . لوكان هو الذى قال لى هذا الخبر لما صدقته . لكن الصدفة هى التى جعلتنى أعرف ، إذ هبط على ذات فجرية بسيارة مرسيدس فاخرة لم تأنف من دخول العشش والركنة بجوار عشتنا . صحانى من النوم ، فرأيت مجموعة كبيرة من الشبان والبنات الطالعات فى مقدر الرقص جديدا . فى البداية ظننت أنهم الحكومة ، فلما رأيت المرسيدس عرفت أن ضيوف أغنى من الحكومة بكثير . قلت لعلهم تجار مخدرات ، وخفت ، لولا أن «مطر» ابن خالتى صاح لى هاتفاً من نافذة الكرسى المجاور للسائق ، فذهبت إليه مرحباً ، فقال لى إنهم يريدون التحشيش الآن بأى شكل .. أهلا وسهلا إذا كان الصنف معكم ولن نضطر للشراء من البطلية أو الخليفة أو الدراسة أو النبوية . قالوا إن كل شىء معهم ولاينقصهم سوى المكان والعدة . قلت : تفضلوا . وفتحت لهم العشة وفرشت فى وسط الدار حصيرة تربعوا عليه جميعاً فى حبور ، وصنعوا ضجيجاً كبيراً مزعجاً . ثم أحضرت الجوزة والمنقد والحجارة والملاشة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشاركنى بعضهم فى توليع النار وتكريس المعسل ..

وسط سحب الدخان الأزرق ضحكوا كثيراً ، وتكلموا كثيرا وفتح «مطر» ابن خالتى كيساً من البلاستيك نزع منه علبة سمبكة أنيقة فتحها وأخرج كيسا من النايلون تبينت بداخله حذاء ذا منظر أسود خلاب ، يشد البصر من أول نظرة . أول شىء جاء فى دماغى من منظر الحذاء هو أننى لو لبسته فسوف أستحسر المشى به على الأرض فى عششنا وفى شوارع المدينة ، وعجبت كيف يهون مثل هذا الحذاء على أقدام تخوض به فى وحلنا ، إن مثل هذا الحذاء لابد أن يكون معمولا للفرجة فقط . لم أقل هذا الكلام طبعاً حتى لايضحكوا علىّ . غير أن الضربة القاضية جاءت حين أخرج «مطر» ابن خالتى فردتى الحذاء من كيسها النايلون وأخذ يعرضه على الجالسين ، الذين راحوا جميعاً يتأملونه بشغف وإعجاب ويباركون للأرض التى ستمشى هى عليها . قالوا جميعاً : «بكم يامطر؟» . قال مطر : «يساوى كم؟» . قال أحدهم فى تحفظ : «سبعون؟» . رد آخر مستنكراً بشدة : «سبعون ماذا يا رجل؟ قل خمس وثمانين مثلا !» . قال ثالث : «هذا النوع لا يقل ثمنه عن مائة !» . فصاحت إحداهن : «هذا الحذاء لم ينزل منه مصر سوى اثنين ، واحد لصاحب الكازينو وهذا» . فبدا على وجه «مطر» ابن خالتى أن هذا الكلام شبه صحيح . واعتدل واحد رابع نحيف الجسد يبدو كحكيم معلول لكنه كان أكثرهم أناقة ويبدو «مطر» ابن خالتى أمامه خادماً ، يقولون له الماسترو ، قال وهو يشد نفساً من الجوزة التى أمسكتها متقرفصاً أمامه كالقرد حتى يأخذ راحته فى الشرب : «هذا النوع من الأحذية عالمى ومشهور جداً .. وثمن الجوز منه لايقل عن مائة وخمسين جنيهاً .. إلا مليم لأ !» . فانتشى «مطر» ابن خالتى فجأة وصاح وهو يعيد الحذاء إلى الكيس والكيس إلى الصندوق والصندوق إلى الكيس الكبير : فعلاً «إنت جبت الفايدة .. هو سعره كده مضبوط» . فأخذت أنقل البصر بينهم أبحث فى وجوههم عن الفشر والهزار فلم أجد إلا جداً فى جد ! بل إنهم انطلقوا جميعاً يباركون للأرض ويوصون بالمحافظة على الحذاء من البهدلة . وقال من يدعونه بالماسترو إن لها لورنيشاً خاصاً وأنه يعده بأن يحضر له علبتين منه فى سفرته القادمة إلى الخارج . فشكره «مطر» ابن خالتى وقال وهو يربت على كيس الحذاء فى حنان عظيم أنه سوف لن يلبسه إلا فى السفرة التى تنوى الفرقة أن تسافرها قريباً مع الراقصة إلى الدول العربية . لحظتها أحسست لأول مرة فى حياتى أننى انسطلت ولم أعد قادراً على الخدمة ، فتكورت متزوياً فى ركن بعيد أتابعهم وهم يقولون عجباً ، فهذا القميص بسبعين جنيهاً وهذا البنطلون بمائة وهذه البلوزة بمائتين ! .. وكان شجر الكافور المحيط بالعشش يبث فوقنا رعدة الزلزال الخفى الذى يضطرم بعنف من تحتنا ، وكنت أرتعش ، فرفعت رأسى عن ركبتى ونظرت تجاههم لبرهة فلم أجد أحداً منهم يرتعش أو يدرى بأى شىء .

قلت هذا كله لـ «عوض» ابن خالتى وأنا أسند ظهرى إلى شجرة الكافور . فرأيت «عوض» وهو يشرد ويبدو عليه الهم الشديد لأول مرة فى حياته ، الولد الشق المهزار الذى يتعارك وهو يبتسم بدا لى لحظتها تعيساً كاليتيم المنكسر لا سند له فى الدنيا ..

«عوض» ابن خالتى ، و«مطر» ابن خالتى أيضاً ، معاً ، أحبهما معالكنى فى تلك الليلة بدأت أشعر نحو «مطر» بمشاعر غريبة لا أفهمها ، ونحو «عوض» بمزيد من الصداقة والحب ، رغم أننى لا أنتفع منه مثلما أنتفع من «مطر» بحذاء قديم أو بنطلون أو ولاعة بوتاجاز أو تحشيشة . وكنت أتمنى لو كان الخير الذى يرتع فيه «مطر» ابن خالتى تحول إلى «عوض» ابن خالتى ، فهو على الأقل ينفعنى فى الزنقة وما يكاد يسمعنى أتخانق مع أحد حتى يخف إلى بمطواة أو سنجة وإن لم يجد فالبونية والدماغ أقوى عنده من أى سلاح ..

فجأة وقف «عوض» قائلا : «تستطيع أن تثبت لى صدق هذا الكلام؟!» ، وسكت برهة ثم قال : «أنت الوحيد الذى يقدر على ذلك .. أريد أن أتأكد من صحة هذا المبلغ .. أتأكد فحسب .. فإن كان صحيحاً فإنه يصير أعجوبة نفتخر بها أمام العيال فى العشش» . قلت : «وكيف أثبت لك ذلك يا عوض؟ إنما قلت لك ما سمعته أثناء التحشيش فى عشتنا» . قال «عوض» وهو يضغط على كتفى : «أعرف أين يخبىء الحذاء .. الليلة سأخفيه بعيداً .. وفى الصباح نتزل أنا وأنت لنفصله فى محلات شارع الشواربى التى يقولون انها لاتبيع إلا المستورد . ظننته يمزح ، لهذا وافقته ، لكنه قبل طلعة الشمس طرق شباك العشة وأطلق صفيره المعروف بيننا ، فخرجت إليه فإذا هو ممسك بالحذاء ملفوفاً فى جرنان ، قال : «بنا» . صحت دون أن أدرى : «بنا» ، فى نفس الوقت صحت فى أمى أن تجهز لى ألواح البخت حتى أعود ، ومضيت معه دون تفكير وقد سحرتنى المغامرة . شبطنا فى ثلاثة أتوبيسات واحداً بعد الآخر ، صرنا فى قلب المدينة فى شارع الشواربى . دخلنا محلات الأحذية الكبيرة . زعمنا أننا قادمين من العراق حيث نعمل هناك باعة ملابس وأن أحد أقاربنا يريد ابتياع هذا الحذاء منا فكم يكون سعره الحالى فى مصر حتى لا نظلمه أو يظلمنا؟ .

كل المحلات نظيفة وفيها أفندية وفتيات نظيفات تفوح منهم جميعاً روائح الفل والياسمين لكنهم جميعاً لصوص تنط اللصوصية من أعينهم ومن وجوههم الناعمة . بعضهم ردنا بغلظة ورفض أصلا ، بعضهم نظر فينا بطيبة وفى الحذاء بحسد ثم لوى شفتيه فى أسف دون أن ينطق ، بعضهم قلب الحذاء فى استهانة وفصله بتسعين جنيهاً ، بعضهم قال ان الحذاء تقليد للصنف الأصلى ، وآخرون قالوا إن الصنف الأصلى نفسه مضروب فى السوق ، وهناك من لوح لنا بالبوليس دون سبب .. لكنهم جميعاً قد ظهر فى عيونهم أن الحذاء ثمين ، وأنهم جميعاً يودون لو حصلوا عليه بشكل أو بآخر ولو باتهامنا بسرقته منهم . قلت على «عوض» ابن خالتى وهمست له أن الحذاء بالفعل ليس لعبة ، وأنه يساوى المبلغ ..

مشينا فى الشواربى وقصر النيل صامتين بين أمواج من البشر كلهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يلبسون فاخر الثياب حتى تأكد لنا أننا وحدنا الفقراء ، وكان الغضب واليأس يبصمان وجه «عوض» ابن خالتى بتقطيبة مكلبظة تشبه تقطيبة العيال المجرمين من أولاد الناس الذين نراهم فى الأفلام ومسلسلات التليفزيون ، وإذا هو يشدنى ليوقفنى ، ثم يشدنى ثانية وهو يستدير عائداً نحو شارع الشواربى ، انصعت له مستفهماً ، قال : «أظن أننا نستطيع أن نبيع هذا الحذاء .. مادام هنا من يفهم قيمته .. فلماذا لا نبيعه له ؟» ، ثم أحس منى ترددا فصاح بى فى بساطة : «صدقنى أننى قد جننت الآن .. وسوف أبيع هذا الحذاء لأتأكد بنفسى أن الحذاء يمكن أن يساوى مبلغاً كهذا ، وأن هناك من يدفع» . قلت : «وبعد أن تتأكد !» قال : «ليس يهم بعد ذلك شىء .. المهم أن أرى بعينى وأقبض بيدى هاتين لكى أصدق !» . قلت : «أما يكفيك ما سمعنا ورأينا ؟» . قال : «سأظل أظن أنهم جميعاً يضحكون علينا .. من أدرانى أنهم جادون فى كلامهم ؟ إننا لم نطلب من أحد أن يشتريه ! لم نر من يضع يده فى جيبه ويخرج النقود ويعدها لنا ورقة ورقة فى مقابل حذاء يلبسه فى قدميه ويمشى به فى الأوحال والقاذورات» . صحت فيه مشوحاً : «ومن أدراك أن من يشتريه سيمشى به فى الأوحال والقاذورات ؟» . صاح مشوحاً هو الآخر : «ومن أين تجىء النظافة إذا كانت الأرض طافحة بها .. ومن أين جاءت هذه الوساخة قل لى ؟ إن عششنا أنظف منها» . ثم شدنى ومضى فى تصميم ، قلت : «تبيع حذاء أخيك مطر ؟» . قال بخفة دم أدهشتنى : «جزمة تفوت ولاحد يموت» . قلت : «سيعرف حتماً وستكون الفضيحة فى العشش .. وأمام وهيبة» . قال وفى عينيه بريق جنون لا يعبأ بشىء : «لا شأن لك .. أنا السارق أم أنت ؟» . قلت لكى أرضى ضميرى : «قد تخسر أخاك يا عوض» . قال : «على الجزمة» . عجزت عن الرد فهززت كتفى ومضيت بجواره صامتاً . قال بعد برهة : «تستطيع أن تبيعه لى ؟» ، ثم صمت واقفاً فى انتظار الرد ، ثم عاجلنى : «ذلك خمسه جنيهات عرقك إذا بعته» . فرحت ، مع ذلك صحت قائلا : «عيب يا عوض دا احنا خوات» . ثم سحبت الحذاء من يده . قال : «فى أى محل ستبيعه ؟» . قلت : «محل إيه يا مجنون .. احنا بتوع محلات ؟» . ثم صرنا فى قلب الشواربى . وجدت صندوقاً من صناديق الكهرباء المعدنية مثبتاً فى الأرض يشبه الدولاب بدلفتين ، ففرشت عليه الجرنان ، وأخرجت العلبة الكرتونية من الكيس الكبير ، فتحتها وأخرجت الحذاء وأوقفته فى فتحة العلبة الكرتونية بشكل يلفت أنظار السائرين ، ووقفت أنتظر . بعد دقائق بدأ بعض المارة يتوقفون أمام الحذاء ويتفرجون ثم ينصرفون بعد إبداء الإعجاب ، ثم أخذ كل من يمر يتوقف وينظر ، وبعضهم أخذ يقلب فيه ويبدى علامات الدهشة والغباوة تمهيداً للفصال من تحت درجات السلم ، يتململون على بائع البخوت ، البعض الآخر كان صريحاً فطلب معرفة السعر ، وأنا بائع البخوت ولاعب الثلاث ورقات فى عشش تلال زينهم أعرف أن ابن السوق الشاطر الناجح هو من إذا سئل عن سعر الشئ رمى بالرقم فى سرعة وبساطة مهما كان عالياً .. فكنت أقول لمن يسألنى عن السعر كلمة واحدة سريعة كورقة البوستة : «مائتين» ، بكل ثبات وثقة دون أن أعنى بالنظر فى وجه السائل . العجيب أن أحداً لم يندهش ، فقويت ثقتى ، كل ما هنالك أن من يستمع إلى السعر كان يعيد الفحص فى جدية وتدقيق ثم يعيد وضع الحذاء . فى حرص شديد كأنه يضع تحفة من البللور ، ثم يبالغ فى شكرنا وهو ينصرف . شيئاً فشيئاً بدأ يظهر لنا من يفاصل فى السعر ، والفصال يشجع ناساً آخرين على التوقف للفرجة ثم الدخول فى الفصال ، إلى أن توقف أمامنا شاب رفيع القوام أبيض الوجه رقيق الملامح أزرق العينين يتكلم بصوت خافت مسرور ، قلب فى الحذاء قليلا ثم قال : «ليس معكما غيره ؟» . قلنا : «لا» . قال مبتسماً فى سماحة : «طبعاً .. إنه وحده رأسمال» ، ثم أوصل السعر إلى مائة وستين ووقفنا به ـ آخر كلام ـ عند مائة وثمانين ، فحلف ألا يزيد وحلفنا ما جاء بثمنه ، فتركنا ومضى ، ثم عاد بعد برهة وأخرج من فوق مؤخرته الممسوحة (داخل البنطلون محفظة جلدية ثمينة لكنها كالحة مترهلة ، فارتعش قلبى لمرآها ، أخرج منها سبع عشرة ورقة . من الأحمر العريض مدها نحونا قائلا : «هى آخر ما عندى» . فاندفع الجنون من عينى «عوض» ابن خالتى وقرصنى فى وجهى قائلا : «حذار أن ترجع النقود إلى محفظته» . فتناولت النقود وحشرتها فى جيبى وقد اقشعر بدنى وكدت أطير من الفرح لإمساكى بمبلغ مائة وسبعين جنيهاً لأول مرة فى حياتى رغم أنها ليست لى . وضعت الحذاء فى علبته ثم فى الكيس ثم لففتها فى الجرنان لفة حاولت أن تكون لفة بائع حريف ..

لا أستطيع وصف الفرحة التى شملتنا حين أخذنا نهرول عائدين نكاد نخفى أنفسنا عن الأنظار مخترقين ميدان العتبة بحثاً عن الأتوبيس لكننا خفنا من أى احتكاك فأكملنا المشوار سيراً على أقدامنا . عند الدحديرة الخلفية للعشش جلسنا نعد النقود من جديد ونتأملها فرحين ، هو يسلمها لى بالعد مرة وأنا أسلمها له بالعد مرة أخرى فى استمتاع : عشرة .. عشرين .. ثلاثين .. مائة ، ثم نتوقف لبرهة كأننا بلغنا شوط الأمل الذى كان يجب أن نبلغه ، ثم نستأنف : مائة وعشرة .. مائة وسبعين . رغم ذلك ظل وجه «عوض» ابن خالتى جامداً غير مصدق لما حدث ..

بنى آدم منا طماع ، وصدق من قال إن النقود تعمى العين عن الواجب ، ظهر على «عوض» ابن خالتى أنه يفكر فى الحس اتفاقه ، إذ راح يحسب المبلغ على النفقات المطلوبة منه دون أن يقتطع منه عمولتى التى وعد بها إذا نجحت فى بيع الحذاء . صراحة اغتظت منه ، وبصنعة بطاقة أمسكت برزمة النقود ورحت أعيد تسليمها له ورقة ورقة ، فلما وصلت إلى المائة والخمسين طويت الورقتين الباقيتين ودسستهما فى جيبى قائلا : «هذا حقى يا عوض .. كان المفروض أن تعطينى خمسة جنيهات من المائة والخمسين .. لكننى تنازلت عنها لك .. معك الآن ثمن حذاء أخيك كاملا بالمليم .. الباقى هو عرق يا عوض» . اسود وجهه لبرهة سريعة ثم ابتسم رغماً عنه وقال : «وماله يا خويه .. المصلحة واحد وانت تشكر برضه» ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان النهار قد انتهى حين تركت «عوض» ابن خالتى عند عشتهم ومضيت إلى عشتنا ، لأجد ألواح البخت مركونة فى الدهليز والترابيزة مطوية بجوارها فى انتظارى وأمى لم تكف بعد عن استنزال لعنات الله علىّ . خيل لى أننى فوجئت بترابيزة البخت وكأننى تحررت منها منذ عمر طويل ، فنظرت إليها مبتسماً كأننى أجاملها كما أجامل شخصاً كنت أعرفه ، وقلت لها فى سرى : «وحياتك ياختى مانى شايلك على كتفى تانى» ، وتلكأت فى الدخول على أمى وأخذت لها بضع جنيهات قليلة أسد فمها بها ، وفى تلك اللحظة نورت الفكرة فى دماغى : لسوف أعمل فى الغد بائعاً فى شارع الشواربى ، ولسوف أشد «عوض» ابن خالتى معى إلى هذه «اليغمة» الكبيرة ، فشوارع مصر تزدحم بالخير والمجانين المستعدين لشراء أى شىء بأى ثمن ..

بعد ما تعشيت صعب على منظر «عوض» فخفت أن يزعل منى فلحقت به . رافقته إلى عشة «عم بيومى» منادى السيارات ، استقبلنا بالصياح المرحب واقتادنا إلى الخن الذى يهجع فيه وحده وقد حرص هذه المرة على أن يغلق الباب بيننا وبين أهله كأننا من الضيوف الأغراب . ابتسمنا لبعضنا من فوق كتفيه ، وأفهمناه أننا استطعنا بالعافية ـ جمع هذا المبلغ . فظهرت البشاشة على «عم بيومى» وفتح باب الخن عن آخره وصاح طالباً الشاى ثم تركه مفتوحاً بقية الليل ..

فى الصباح توجهنا إلى صائغ فى الجمالية وانتقينا غويشة ودبلتين قطعوا حوالى مائتين وخمسين جنيهاً . دفع «عوض» بالمبلغ على بنك الصائغ ، قائلا : «اكتب كمبيالات بالباقى كما اتفقت مع أخى مطر» . لوى الصائغ بوزه ووقف متردداً . أخرج «عم بيومى» منديلا محلاوياً فكه عن ثمانين جنيهاً رماها فوق مبلغنا قائلا : «لاكمبيالات ولا دياهلو .. شوف الباقى كم وتصرف فيه» . قال الصائغ : «ناقص عشرين» . قال «عوض» فى مسكنه مزقت قلبى : «والله ما معى» . أكلنى دمى . أخرجت عشرة جنيهات من العشرين التى كسبتها عمولة ، قدمتها للصائغ قائلا : «سايق عليك النبى» . وقال «عم بيومى» بلهجة مؤثرة : «إلهى ربنا يكفيك شر المرض .. إنه رجل على باب الله .. لو ساعدته فى فرحته تكسب» . قال الصائغ وهو يغيب النقود فى درجه : «خلاص يا عم مبروك عليك» .

قابلتنا الزغاريد التى بدأت ترن منذ نزولنا للصائغ . فما كاد الليل يدخل حتى كان أولاد «عم بيومى» قد نصبوا الكهارب على طول الشارع ونصبوا خشبة عالية ملأها شبان من أصدقائنا ، تصرف هذا فى طبلة والآخر فى رق والثالث فى ناى وجاء مدرس موسيقى يسكن جوارنا بعوده . ارتفعت الأنغام وصهللت ، واحتشد الشارع بالساهرين من أهل العشش . ولقد أفقت فوجدت أننى متحزم وممسك بعصا و «عوض» ابن خالتى كذلك وقد اندمجنا فى رقص مجنون . وحين نظرت فى وجوه المصفقين لنا لمحت «مطر» ابن خالتى يقف إلى بعيد وعلى وجهه غم وكدر شديدين ، عاقداً ذراعيه على صدره كالمتحفز للقتال ، وبجواره يقف أمين شرطة واثنين من المخبرين ، وكان «عم بيومى» قد اندمج معهم فى كلام ودى ، وكنت موقنا أن «عم بيومى» خبير فى التعامل مع الشرطة بارع فى استرضائها ، ثم حولت بصرى عنهم وقد دب فى عروق حماس فصرت أقفز فى الهواء كالبهلوان وأنط الخشبة رائحاً جائياً وكل عضلة فى جسدى تهتز فى نشوة مع التصفيق والأنغام ، وكانت الدنيا تدور بى فلا أعبأ بها ، وكنت أزداد اندماجاً فى الرقص ولا شىء فى رأسى أو عينى سوى رقبة «مطر» ابن خالتى ورقاب أمين الشرطة والمخبرين ومآذن القلعة وقبابها والأهرامات وبرج القاهرة وبرج التليفزيون كل ذلك يتلوى تحت قدمى فى دوامة عنيفة تبلعنى وتلفظنى ، لتبلعنى .. ثم تلفظنى .

القاهرة : خيرى شلبى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسن نور

قصة: الحصان

بحذر يتسلل ضوء النهار . . تجر الظلمة أذيال الهزيمة . . تنسحب .

واحد . . اثنان . . خمسة .

تمطت دقات الساعة ، تلقفتها الأذنان ـ العينان مفتوحتان لكن دفء الغطاء لذيذ ، تلصصت العينان ، مسحتا الجدران إلى النافذة ، افترش الضباب الفضاء تثاءب ، إلى أعلى رفع اليسرى ، باليمن وعلى الجبهة والعينين .

(هه . . لا فائدة) !

نظر الجد ، انتصب واقفاً ، مد اليدين إلى الأمام ، انحنى فلامست الأصابع مشط القدمين

(واحد . . اثنان . . ثلاثة . . أربعة . .
فوق . . اثنان . . ثلاثة . . أربعة . .
تحت . . . اثنان . . ثلاثة . . أربعة . .)

أخذ شهيقاً عميقا ، انتفخ الصدر ، زفره دفعة واحدة . الفوطة وراء الرقبة . . يتدلى طرفاها فوق الصدر . . بحذر وضع القدمين فى (البانيو) . . خيوط الماء البارد تنثال ، تبلل الرأس فالكتفين ، عندما تصل إلى القدمين تكون « الوحْوحة » قد تبدلت بأغنية يعشقها . .

الكفان تحتضنان كوب الشاى الساخن . . تتلذذ بشفطة « البُن » المتبقى فى قعر الكوب . . حمل السطل الملىء بالماء ، نزل الدرج ، كفراشة نشطة تنقل بين أحواض الزهر . . يسقيها والأشجار . . عليه أطلت أوائل الورد . . بالأمس كانت براعم نائمة فى أكمامها . . بحنو ربتت الأصابع على الأوراق الوليدة ، من جيب السترة أخرج قلما ، على الأوراق المثبتة بسيقانها دون تاريخ تفتحها .

أسرع قرص الشمس مرتقيا درج السماء ، لدرجة العشق أحب لونه الشاحب ، منتصب العود وقف وسط الخضرة ، إلى أعلى رفع اليدين ، بنسمات الصبح الندية ملأ قفص الصدر ، تلاشى الدخان الضبابى لما نفخه فى الفضاء .

خاف أن يسرقه الوقت فجرى إلى الدرج ، ابتلعته الصالة فأخذ السماعة المعلقة بين راحيته . . بخرقة نظيفة تروح اليمنى وتجىء فوق « المينا » . . تلمع . . أبوه قال له قبل رحيله : حافظ عليها .

* * *

تأكد من موضع ربطه العنق بين حَدَّى الياقة ، القميص اللبنى مع البدلة الكحلى . . الشعر لامع ، وكذا الحذاء ، منذ الصغر اعتاد أن يكون على « سنجة عشرة » ! الخطوات سريعة . . خمس عشرة دقيقة بالتمام . . اعتلى درج السلم القطيفى . . بذا بالسابعة . . لما أصبح رئيس قطاع رفض مجرد فكرة شراء سيارة . . يحس بدماء الشباب تجرى فى عروقه بالرغم من سنه المتقدمة .

* * *

من نافذة مكتبه رآه أتيا ، قام ، أصلح من وضع رباط العنق ، هرول إليه . .

ـ مبروك ياأفندم . . أعتقد أنك تأكدت الآن أن الدرجة ستكون لك :

ـ شكرا . . شكرا . . أف . . كابوس وانزاح .

* * *

العينان مفتوحتان ، إصطدمتا بالعتمة ، أدار السؤال فى رأسه ، لماذا لم تدق . . ؟ ترى هل أصابها الهرم . . ؟ ولكن يجب أن تبقى ؛ وتعمل .

من تحت الغطاء الدافىء انتزع نفسه ، فى الفضاء حرك اليدين كأنه يسبح « واحد . . اتنين

آك . . صداع رهيب »

فى ظلام الفم قذف بقرص الاسبيرين . . لحقه « بشفطة »

شاى إليها جر الخطو . . العقرب الكبير غافٍ ، والصغير قابع بين الواحدة والثانية عشرة . . فوق الدرج تباطأت الأقدام . . فى أحواض الشجر أفرغ دلو الماء . . الأوراق الصفراء الجافة غطت أرض الحديقة . . التقطت العينان التواريخ المكتوبة على الأوراق المعلقة بسيقان الزهور . . فى رأسه دار السؤال : متى تهدلت الأوراق . . ؟ آه . . نسيت أن أكتب التاريخ .

* * *

وقع الأقدام بطىء فوق الأرصفة المتهالكة ، عقد بين حاجبية لما وقع بصره على الحذاء المطموس اللون .

رآه زملاؤه فتهامسوا :

ـ لكنه لم يتسلم الخطاب بعد .

ـ معقول . . ؟ ألا يعرف حتى الآن . . ؟

* * *

مطأطئاً الرأس خرج إلى الطريق . . الخطوات شبه ميتة . فى حُزَم واهية تجمعت أشعة الشمس . . راحت تتوارى فى خجل .

حاذاه رجل يجر حصانا تقرت ملأه عظام الصدر . . ينز الدم من جروح انتثرت فى مواضع كثيرة من جسمه .

اقترب منه . . سأله : لماذا لا تعالج حصانك . . ؟

ذهبت لعلاجه فأخبرونى أنه شاخ ولا فائدة ترجى منه ، لقد هربت به لما علمت سيضربونه بالنار . .

تحسست أنامله الخطاب القابع فى جيبه . . غامت الدنيا فى عينيه . ردد الرجل تصور . . يريدون أن يضربوه بالنار . . ؟!

استند إلى جزع شجرة عجوز

سأله والخوف يرتسم على صفحة وجهه : مالك . . ؟

تمتمت شفتاه : أمتاكد أنت أنهم لم يتلوه . . ؟

هه . . متأكد أنهم لم يقتلوه ؟

القاهرة : حسن نور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمد نوح

قصة

دموع عم أحمد

الصداع يخترق جبينه وعينيه ستة أشهر ولا رغبة له فى الحديث مع أحد .

وإحدى العينين تلفت ، ما عادت تنفع ، والعين الأخرى على وشك . عليه العوض ومنه العوض ! دموع تنهال من العينين على الدوام فلا يدرى أهى دموع الأسى أم دموع المرض .

وفى البداية حين تدرّج الصداع فى الشدة وزاغ البصر قال له الحلاق :

ـ دم فاسد يا عم أحمد ، تلزمك حجامة .

واستنزف دماً من الصدغين والجبين فما ذهب المرض . وفى المستشفى قالت له طبيبة شابة :

ـ مياه زرقاء يا عم . يلزمك عملية .

لم يفزع . كان يعرف . سمع التشخيص نفسه عشرين مرة فى عشرين مستشفى مختلفاً ، وتعب . وسيسمع الآن الجملة المعهودة :

ـ لكن لا توجد الآن أسرّة خالية ، تعال بعد أسبوع .

يأتى بعد أسبوع فيقولون له . «تعال بعد أسبوع» وبعد أسبوعين يقولون له «تعال بعد أسبوع» .

لشد ما تعب !

لكن الطبيبة الشابة أردفت :

ـ أحجزك الآن للعلاج .

لم يصدق أذنيه . مال على يدها فقبلها عنوة وهو فى حياته لم يقبل غير يد أبيه ، الفقيه . كان يسرح بالجرائد طيلة اليوم ومكسبه اليومى يتراوح بين جنيهين وجنهين ونصف ، والحمد لله (رضا) . مصاريف أسرة من أربعة أفواه تستهلك مكسبه اليومى وزيادة ، فلا مدخرات لكسوة ولا لعلاج ولا لظروف طارئة ... لم يصدق أذنيه وسأل الطبيبة :

ـ تقصدين ، حجزى الآن للعلاج ؟

قالت الطبيبة الشابة بابتسامة طيبة :

ـ نعم ، فلا بد من عملية . عندى فى القسم سرير سيخلو اليوم لحسن حظك .

كتبت سطوراً على بطاقة عيادته ـ وسلمتها لمساعدة ممرضة .

ـ اذهب معها ، ستوقع الأوراق من السكرتير ، ثم اذهب إلى قسم (خامس رجال) .

رماه السكرتير الفخيم بنظرة احتقار وهو يوقع ، ثم ذهب إلى قسم (خامس رجال) . قصوا شعره وهو غير مصدق ، وحموه وهو سعيد ، وألبسوه جلباباً من (الدمّور) الخشن مطبوع عليه رقم .

نسى الصداع وآلام الجبين والعينين وقضى الليل على فراش ساقط الجوف تفوح منه رائحة عطن . وفى صباح اليوم التالى أخرجوه من العنبر وسلموه ملابسه .

- روّح يا عم وتعال بعد أسبوع .

هتف ملتاعاً :

- ولكن ماذا حدث ؟ أنا لم أفعل شيئاً ..

قالت مساعدة الممرضة :

- الدكتور الكبير تشاجر مع الطبيبة محاسن . أدخلتك دون إذنه وهو يحتاج السرير لواحد من معارفه . روّح وتعال بعد أسبوع .

• • •

غادر المستشفى كسير القلب كشخص اعتاد سوء البخت .. وهو ذاهل عما حوله . الصداع يخترق صدغيه وعينيه كسيخ محمى فى نار جهنم ولا رغبة له فى الحديث مع أحد . والعين اليمنى تلفت منذ زمن . ما عادت تبصر والعين اليسرى على وشك . دموع الأسى هذه أم دموع المرض ...

عليه العوض ومنه العوض .

عليه العوض ومنه العوض !

القاهرة : أحمد نوح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبداللطيف زيدان

قصة الرضيع

لم أعد أطيق هذا الثدى ، أحس بمرارة شديدة فى طعم اللبن . يقولون إن الوليد يحتاج إلى صدر أمه عامين على الأكثر . إننى الآن فى الرابعة . لقد ذقت طعم الأكل وعرفت حلاوته ، ثم إن أسنانى كبرت . أتذكر أننى أحيانا أعض أحدهم فيصرخ . إذاً فلى أسنان أستطيع المضغ بها . تقول أمى إنها تخشى علىّ من فساد المأكولات ، لكننى أنتهز الفرصة لأسرق شيئا أتبلغ به . أتصنت أحيانا على أحاديث أمى مع النساء . سمعت إحداهن تؤكد لها أهمية فطامى ، وسمعت أخرى تقول لها إننى أصبحت فكاهة الحى . بل سمعت ثالثة تؤكد لها أننى سأظل أرضع من ثديها إلى مابعد الزواج ! أكثر من مرة وأمى تقتنع بكلامهن ، لكن زوجها يقنعها بخطورة المسألة . لو كان أبى حيا لتركنى آكل من خشاش الأرض !

صباح الأمس خرج أطفال الشارع يهتفون ورائى ... بكيت . قالت لى طفلة صديقة : إننى سمعت الطبيب والمحامى يتحدثان عن حالتك . اذهب إليهما : قررت أن أذهب إلى كل على حدة ليكتب لى ما يقنع والدتى وزوجها .

إن الأمر سيكون سهلا . بل غاية فى السهولة . الطبيب والمحامى يغازلان أمى وكلما تصدهما برفق ينهرها زوجها ويقول لها : أنا صاحب مرضى !

كنت أقفز فرحا وأنا ذاهب إلى الطبيب . رقصت فى الشارع ركلت كل الطوب الملقى على الأرض . كانت قفزاتى متعرجة ، ورقصاتى متموجة . قبل خروجى قبلتنى أمى . وسألتنى عن سر فرحى وسرورى قلت لها : إننى سأحضر لها مفاجأة . لمحت ابتسامة صفراء تعلو وجه زوجها . إنه اليوم ، واليوم فقط سآكل كل الأشياء . لن أنتظر حتى ينضج الأكل ! ستكبر أسنانى لتحاكى أسنان الحمير . سيكبر جسمى وعقلى . سأحمى أمى من زوجها . سألعب مع كل الأولاد والبنات بلا خوف ... ها هو الطبيب يقابلنى بترحاب ..

- إننى أريد أن آكل بيدى .
- لقد كتبت لك فى هذا الخطاب حلا لمشكلتك .
- نفس الشىء مع المحامى ..
- سأفض المظروفين قبل الذهاب إلى المنزل .

إننى أعرف القراءة :

« لا تتركوه يأكل وحده » .

القاهرة : عبداللطيف زيدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سعيد بكر

قصة

هزيمة فرس أبيض

تساقط الضوء شحيحاً كابياً .. تداعى فوق سحنات أثخنتها أعوام مديدة .. لاأمة .. لاصوت سوى طنين ذبابة شاردة حلقت فوق الرؤوس راحت تدور حول منبت الضوء المتدلى من السقف الخشبى .. وعبر الباب الخوصى انسلت دفقة هواء حملت فى جوفها رائحة المياه الراكدة .. تسللت بين فراغات الكوخ الصاجى .. هزت منبت الضوء .. تراقص هنا وهناك فلاحت امرأة بدينة تقعى بجوار الباب الخوصى وبين فخذيها تجسد هيكل آدمى صغير .. ومن بين ثقل الصمت المختال فوق الرؤوس تبادى صوت شهيقهم وزفيرهم فبدا كلحن رتيب تجاوب مع طنين الذبابة الشاردة .. وبين لحظة وأخرى تمتد يد لتدفع بجندى قربانا لذلك الفرس الفاغر الفم ذى الشعر المنساب فوق العنق .. يجرى فى زهو وانتصار .. يقدر كل خطواته .. وها هو ذا أحمق يدفع بجنوده إلى ساحة الوغى بلا سلاح .. ليلتهم الفرس بقية شجاعة مترسبة فى الأعماق .. ولكن خطوة لجندى تذرع بالحيلة انتصب أمام الفرس وشهر سيفاً برق فى فراغ الكوخ الخوصى .. توقف الفرس .. رفع قائمتيه الأماميتين .. ضرب الهواء بهما وصهل فى عدم تصديق ..

ـ ارجع به للخلف ..

كان صوته الواثق دافئاً .. فرفرفت القلوب .. وجحظت العيون .. وتراجع الفرس .. طعن الهواء .. دك الأرض بسنابكه الحديدية متذمرا ..

ـ لا تصدق أنك ستنتصر ..

حلق الصمت من جديد .. تنهدت المرأة .. أوشك الطفل المكور بين الفخذين السميكين أن يبكى .. هنته وألقمته ثديا كاد يكتم أنفاسه .. طنت الذبابة .. فحت فى آذانهم .. كانوا مطأطئى ، الرؤوس فوق النضد يراقبون ذلك الفرس الأبيض .. من بعيد شق سكون الكوخ الخوصى دمدمة قطار يمر عن قرب .. اهتز الكوخ .. تماسك الفرس .. ولاحت وجوه الجند كئيبة مكفهرة سوداء اللون من طول الركود والتمرغ فى الخنادق

ـ لا تقدم بيدقك فستكون من المهزومين ..

حدقت العيون .. رأت الجندى المشهر السيف يتلقى ضربة مباغته من الخلف فيتلوى ويميل على جنبه الأيسر .. فيدمدم الصوت الواثق ..

ـ لن يهزمنى سقوط جندى ..

هش الذبابة .. عاود يقول :

ـ ولا تنس هذه الحقيقة .. لن يهزمنى أحد .. ولم يهزمنى أحد

همهمة الشفاه .. يدركون أنه الفائز لا ريب برغم سقوط الجنود الواحد تلو الآخر .. همس رجل عجوز فى أذن جاره :

ـ بم تراهن .؟

ـ بقارتى الصغير ..

ـ من الفائز ..

ـ فارس حلبتنا ..

قال الرجل فى ثقة :

ـ أراهن أن ذلك الغريب سيفوز ..

لكزه العجوز فى جنبه :

ـ أتتمنى لفارسنا الهزيمة ؟ .

قال فى ثقة :

ـ لا .. ولكن راقب أصابع يديه ..

ـ ماذا بها ؟

ـ إنها ترتعش ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زمجر العجوز قائلا :

ـ هراء . نحن لم نره ينهزم أبدا ..

أيها الجنود اثبتوا .. برغم الدماء .. والرؤوس المتدلية .. سأقودكم إلى نصر حقيق .. لا نصر بدون خسائر .. إنها الحرب .. لوح الغريب بعد طول صمت بيده ليهش الذبابة الشاردة .. وحدّق فى الخطوط المتعارضة . ولم ينبس .. ومد يده ليدفع بفرسه الأسود المغبر إلى الساحة .. صلصلت السيوف .. وتساقط الفرسان ولاذ الملك بقلعته المنيعة .. وراح يصرخ فى أقبية القلعة أن هبوا يا رجال لتذودوا عن أرض مليككم المظفر .. وتعالت صيحات الجند .. واندفعوا إلى أرض المعركة بكل ضخهم وضجيجهم .. وصمّت المرأة أذنيها .. واختبأ الطفل بين نهديها .. وبدت تجعيدة حسرة على وجهها .. وتناهت رائحة الموت إلى أنفها فبكت .. فصرخ فارس الحلبة :

ـ انهضى يا امرأة .. اصنعى لنا دور شاى ..

بتثاقل نهضت المرأة .. طوت الطفل بين ذراعيها ورددت النظر بين زوجها والرجل الغريب .. قالت لنفسها .. من أين أتى ذلك الرجل ؟ أجاء ليهزم زوجى ويخرب بيتى ؟ هزت رأسها فى عنف لتطرد هواجس شكوكها وهمست .. زوجى لن ينهزم ..

ـ ها .. قلت لك تقهقر .. ملكك أوشك على النهاية ..

قال العجوز :

ـ ألم أقل لك .. فارسنا لن ينهزم ؟

قال الجار :

ـ ولكنى لا أثق فى ارتعاشة يديه ..

ـ إنها رعشة الظفر ..

خرج الملك بجنوده .. طارد أشباح هزيمته التى لاحت فى الأفق .. صال وجال .. حش رؤوساً .. بقر بطونا .. وصرخ فى الساحة :

ـ النصر يا رجال المليك ..

ارتفعت الرؤوس .. وأحيا الضوء الباهت بسمات أوشكت على الذبول .. وانطلقت الأفواه من عقالها فسرى فى الكوخ الخوصى لغط .. ولاحت بسمة على شفتى المرأة وهى تحمل أكواب الشاى .. امتدت الأيدى لتلتقط أكواب الشاى .. وتراجع فارس الحلبة بظهره إلى الوراء .. ربت على انتفاخ بطنه .. وقال للغريب :

ـ ما رأيك فى هذا الدور ؟ .

نظر إليه الرجل .. قال :

ـ لم ينته بعد ..

ضجت ضحكة فارس الحلبة وارتج بطنه المنتفخ

ـ أنت عنيد .. لم تبق إلا خطوتان وتنهزم ..

قال الغريب وهو يرتشف قطرات الشاى المغلى :

ـ أنت شديد الثقة بنفسك ..

شخللت ضحكته فى فراغ الكوخ الخوصى وابتسم الغريب .. قال :

ـ هذه أول جولة لى ..

لوح فى وجهه قائلاً :

ـ وستكون الأخيرة ..

تراجع الغريب إلى الخلف .. قال :

ـ أتواصل لعب هذا الدور ؟ .

ـ إنى المنتصر .. فهل تواصل أنت ؟ .

دفع الغريب بسبابته فى وجهه :

ـ قلت لك لم ينته بعد ..

ربت فارس الحلبة على بطنه المنتفخ .. قال :

ـ على كل حال نواصل اللعب ..

صاح الغريب فجأة :

ـ ولكن لى شروطى ..

هتف فارس الحلبة فى اعتداد :

ـ إنى أوافق على كل شروطك ..

فقال فى تأن :

ـ نبدل الرهان ..

بحلق فارس الحلبة فى وجهه .. ابتسم ساخرا .. قال :

ـ هل تتراجع ؟ .

قال الغريب :

ـ لا .. ولكنى سأجعل الرهان عظيماً ..

ـ إنك والله انسان غريب .. هل ترى فى ذلك الدور أملا ؟ .

دون تردد قال الغريب :

ـ أتوافق على إبدال الرهان ؟

لوح الفارس بيده فى الهواء :

ـ أوافق ..

فقال الغريب فى صوت واضح :

ـ ما رأيك .. سأراهن بما أملكه من أرض ..

هتف الفارس :

ـ هل جننت .. ؟

تبادل الرجال النظر .. واشرأبت المرأة برأسها لتراقب ما يدور بين الرجلين .. وغفا الطفل بين نهديها :

ـ ستخسر أرضك

ـ انى أستقبل هزيمتى بصدر رحب .. فهل تفعل أنت ؟ .

عاود فارس الحلبة يقول :

ـ هذا دور خاسر بالنسبة لك ..

فقال الغريب فى إصرار :

ـ نبهتك أنه لم ينته بعد ..

ـ على كل حال .. أوافق ..

فاستطرد الغريب :

ـ فما رهانك ؟ .

رنا إلى الرجال ، همس فارس الحلبة فى ثقة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ما تطلب ؟

قال الغريب بلا تردد :

ـ امرأتك ..

صاح فارس الحلبة فى حنق :

ـ إنك لمجنون حقا ..

صاح الغريب :

ـ ها أنت تتراجع ..

قال الفارس فى حدة :

ـ لا .. ولكنى لا أرى معنى لما تقول ..

ـ هذا شرطى ..

لوح فارس الحلبة فى حنق ..

ـ ستخسر أرضك ..

هتف الغريب :

ـ هنيئاً لك أرضى ..

ـ أتواصل الدور ..

ـ أواصل ..

زمجر قطار فى الخارج وتواصل رنين حاد لجرس مزعج .. وعادت الذبابة تطن فوق الرؤوس .. وتحاشى الملك الحصار المضروب من حوله .. تمهل قليلا .. سأل رئيس جنده .. كم بقى لدينا من جند وعتاد ؟ .. قال رئيس الجند .. الشىء اليسير ياسيدى .. هل هذه هى النهاية ؟ .. أعتقد أنها النهاية .. تفكر الملك قليلا .. قال أليس لنا مخرج .. فقال رئيس الجند .. انظر .. جنودنا تتساقط كالحمائم .. فقال : فلنسحب الجند إلى الخلف حتى نلم عثارنا .. وأمر الجند بالتراجع إلى الخلف .. وأطلق النفير .. فترك الجند عتادهم وعادوا إلى الخلف .. التفوا حول الملك ضمدوا الجراح .. نظموا الصفوف .. قال المليك لقائد جنده .. أطلب المعونة .. فقال قائد الجند : طلبتها .. إذن فلنفكر فى حيلة ..

صهل الفرس .. شق الغبار .. جحظت العيون وسرى فى الجمع همهمة .. وبدا فارس الحلبة فى موقف مأزوم .. ما كان يصدق أن ينقلب الدور .. فهمس :

ـ فى الأمر خطأ ما ..

ابتسم الغريب .. قال :

ـ لا .. ولكنك أسأت التصرف ..

قال الرجل العجوز :

ـ هناك خديعة ..

فقال جاره :

ـ أين قاربك ؟ .

رنا العجوز إليه فى توسل

ـ عند الشاطىء ..

وتضرج المليك فى دمائه .. وفر رئيس الجند .. واغتيل قائد الحرس .. ونفق الفرس الأبيض .. سالت دماؤه .. انغمست خيوط الشعر فى الرمال .. وصرخت المرأة :

ـ لا ..

بكى الطفل بين نهديها . قال الغريب :

ـ امرأتك لى ..

قال فى أسى :

ـ هى لك ..

نهض فى تثاقل .. قال للمرأة :

ـ هلمى معى ..

طأطأ فارس الحلبة رأسه .. صاح :

ـ لنا لقاء آخر ..

أومأ الغريب برأسه .. حدق الرجال فى فراغ الكوخ الخوصى .. شد الغريب على يد المرأة .. التصقت به وخرجا من الباب الخوصى .. فصاح فارس الحلبة :

ـ لنا لقاء آخر ..

وأخذ ينظر إلى المليك المحاصر فى ركن القطعة الخشبية .. ومن الخارج أتاه صوت طفله وهو يبكى فهتف لنفسه :

ـ حتما .. لنا لقاء آخر ..

الإسكندرية : سعيد بكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عاطف فتحى

قصة

الصيدلية

أغلق الباب خلفه .. فأحس بدوى اصطفاقه ، وسط السكون السائد . واندفع خارجا إلى الشارع الضيق المظلم . أحكم معطفه على جسده .. وتوقف برهة على مبعدة من المنزل ، وصوت بكاء ابنته لا يزال يرن فى مسمعه .

راح يجرى فى الطريق الذى لا تبدو لعينيه نهاية له .. وريح الشتاء العاصفة البليلة تصفع وجهه وتخترق عظامه فينكمش على نفسه .

كان الصوت النحيل لا يزال يضج فى داخله « بابا .. بابا .. آجى معاك يا بابا .. أنت رايح فين ؟ » وتنطلق دفقات السعال من داخل صدرها الصغير فيخيل إليه أنها سوف تتحطم من عنف الألم .

واعتصر الحزن قلبه .. ومد يده ـ أثناء سيره ـ فى جيب منامته ، تحت المعطف وبحث عن علبة سجائره .. واكتشف ـ لحسرته ـ أنه قد نسيها على المنضدة فى الصالة بينما كان يتعجل الخروج من المنزل .

أسرع الخطى فى الشارع الترابى الموحش الذى لم تكن تضيئه سوى فوانيس واهنة متباعدة ، تتخلق عنها ظلال وأشباه ظلال تضاعف من حجم الهواجس التى تعتمل فى نفسه .

ترى هل يوفق فى العثور على صيدلية الآن ؟ لابد أن يعثر على واحدة . ليس له خيار فى ذلك . وإلا فكيف يعود إلى المنزل دون أن يحضر زجاجة الدواء المطلوب ؟ كيف يستطيع أن يواجه امرأته ويصرح لها بفشله ؟ سوف تنهار وتصرخ فى وجهه وتصاب بالهيستيريا ، قبل أن ينبلج الصبح . ثم من أين تواتيه الشجاعة على الصبر حتى حلول الصباح ، وهو يرى ابنته يكاد يسحقها الألم ولا يستطيع لها شيئاً ؟

هل كان فى استطاعته أن يتخيل ـ مجرد تخيل ـ أن الأمور سوف تنقلب هكذا . بعد أن كانت تبدو مطمئنة ؟ وكانت البنت تنام لصقه وهى تتنفس بصعوبة ، وقد انخفضت حرارتها بتأثير الحقنة المسكنة التى اعطتها لها الممرضة فى الصيدلية . لم يكن نائما وقتها .. كان مغمض العينين حقا . لكنه لم يكن نائما . وكان يدرك تماما أن امرأته مستيقظة أيضا .. يحس بأنفاسها الحارة المتهدجة . حاول أن يسيطر على مسار تفكيره .. لكنه لم يفلح .. كان كلما استعاد المشهد فى ذهنه أحس بتجدد شعوره بالمهانة والصدمة .. وكلما حاول أن يرغم عقله على التوقف ، أمعنت الصور فى تتابعها المذل .

هل كان فى استطاعته أن يتصور أن هذا قد يحدث له .. أن تظل ابنته تذوى وتذوى أمام عينيه وتضمر ويجف عودها وينشف ببطء ، وهو يتأملها بعجز متزايد يوما بعد يوم دون أن يستطيع لها شيئا ؟

لقد كفت حتى عن مجرد توصيله إلى الباب فى الصباح .. ولم تعد تقوى على ترديد جملتها العذبة وهى تقف على حافة « البسطة » تلوح له :

ـ مع السلامة يا بابا ياحبيبى .. ما تتأخرش .

لم يكن من الممكن أن يقف مكتوف اليدين ، تاركا طفلته لسطوة المرض وعذابه .. مقامرا بحياتها الصغيرة فيفقدها عندئذ إلى الأبد .. لجأ إلى كل وسيلة ممكنة .. وأراق ماء وجهه حتى حصل على مبلغ ضئيل من المال كسلفة من رئيسه فى العمل .. هرع بالطفلة من عيادة الطبيب إلى الصيدلية القريبة .. كانت الروشتة فى يده والبنت ترقد على كتفه بلا حول ولا قوة .

أمعن الصيدلى نظره فى الحروف المكتوبة وقال :

ـ الحقن دى موجودة . مهبط للحرارة .. والفيتامين موجود . لكن الدوا الأخرانى ده مفيش منه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ يعنى إيه يا دكتور ؟

ـ شاحح من السوق .. فيه بداله مستورد .. غالى شوية لكن ممتاز .

بهت لارتفاع ثمنه ، وأحصى بعقله ما تبقى معه من نقود . واكتشف أنه لم يعد يملك نصف ذلك المبلغ ، بعد أن دفع الفيزيتة « الغالية لطبيب الأطفال . أومأ برأسه للصيدلى معتذرا ، واكتفى بشراء صنف الدواء المصرى ، وعاد يجر قدميه إلى البيت . ولم يقو على مصارحة امرأته بما حدث ، قال لنفسه مواسيا إنه سوف يحاول أن يطلب سلفة كبيرة من المصنع غدا ، ويشترى لها الدواء . وقد يدخلها إلى المصحة للعلاج .. لكن امرأته قرأت كل شئ فى عينيه . وحاصرته بعينيها دون أن تفوه بكلمة ؛ فتهاوى باكيا واعترف لها ـ والحزى يملؤه ـ بكل شىء .

حاول أن يستجدى النوم .. لكنه لشدة إرهاقه ، لم يفلح . هُيِّئ له فى تلك اللحظة أن امرأته تبكى فى صمت . وشعر كأن الحمى تجتاح جسده كله . ولا يدرى كم من الوقت مر ، حين بدأت البنت تهذى ، ثم تكتسحها فجأة نوبة من السعال العنيف فتستيقظ مفزوعة .. وقد تندى جبينها بالعرق .

ضمها إلى صدره بقوة كأنما ليوقف ذلك السعال ويكبته . كادت البنت تختنق من قوة ضمتها إليه وأحس بحرارة جبهتها تلسع عنقه فانتفض . شدتها أمها منه وجستها بكف يدها .. وأربد وجهها وراحت دموعها تنسال :

ـ البنت هتموت منا .. لازم تتصرف بسرعة .. انزل حالا .. هات لها الدوا من أى مكان وبأى ثمن .

نظر فى ساعته .. كانت قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل . اعتصر يديه حائرا . ونظر إلى امرأته نظرة ذات معنى . كانوا فى آخر أيام الشهر ، ولم يكن ما يملكونه حتى أوائل الشهر يكاد يكفيهم . فهمت زوجته ما يعنيه .. فتحت بعض الأدراج ، ثم أخرجت كيس نقودها وسحبت كل ما فيه ودفعته إليه :

ـ خد .. موش هنموت من الجوع .

وحينما استدار ليخرج ، تشبثت ابنته بعنقه فى وهن حطم قلبه . واندفعت تبكى وهى تغالب دفقات السعال المتلاحقة .. انتزع نفسه منها بصعوبة ، وخرج ليفلت من الموقف الذى كان فوق طاقة احتماله .

انحدر مع الشارع الذى كان ينحنى على نفسه ـ بمحاذاة الترعة الممتدة بطول الطريق ـ ومد بصره عبر الجسر الخشبى الممتد فوق المياه .. وقلبه يخفق . لكنه اصطدم بالظلمة السائدة .. كانت الصيدلية مغلقة . تسمر فى مكانه مقهورا ، وأوشك أن يبكى من الإحباط والتعب ، وأحس بدوار عنيف يشمله .. ولم تقو ساقاه على حمله . وقبل أن يتهاوى على أرض الشارع ، انتشلته يد أبيه النحيلة ؛ فتماسك . كانت صورة أخته الصغيرة الملقاة على فراشها تبصق الدم من فمها ، تضغط على وعيه بقسوة ووحشية . وكان معنى فشلهما فى الحصول على الدواء الآن .. وفى تلك اللحظة . هو موت البنت » .

استجمع أطراف عزيمته التى أوشكت أن تنهار مع أول فشل ، وقرر أن يمشى ناحية « المركز » على مبعدة كيلومترين . هناك صيدلية يعرفها .. تفتح أبوابها حتى الصباح . إنها أمله المتبقى . أمله الأخير ، وإلا فالأهون عليه أن يبيت ليلته فى الشارع ولايدخل البيت بدون الدواء .

سار بمحاذاة الترعة التى كانت قد بدأت تجف فى بعض المناطق . واستعاد إلى ذهنه منظر النسوة اللائى يلمحهن فى الصباح الباكر وهو فى طريقه إلى المصنع ، وهن يجلسن القرفصاء على حافة الترعة ، وقد كومن الأوانى والملابس على الأرض وانهمكن فى الغسيل على الشاطئ بينما يخوض أطفالهن الصغار فى الطين ويسبح الكبار منهم فى مياه الترعة الرمادية وهم عرايا .

وقفزت إلى ذهنه وجوههن وقد رآهن ـ منذ أسبوع فقط ـ يجلسْنَ متشحات بالسواد على باب « المستوصف » فوق الأرض الترابية الرطبة . على مقربة من المستنقع المحيط بالمبنى تطن فوقه أسراب من الهاموش والهوام ويسبح البط والأوز فوق مياهه الآسنة بينما تنبعث من مياهه رائحة تزكم الأنوف .

كان يحمل ابنته على كتفه وزوجته تمشى بجواره تكاد تلتصق بكتفه . يرتعد جسدها وهى ترقب الأطفال الذين تقرحت جفونهم من الرمد ومصت البلهارسيا والانكلستوما أجسادهم المهزولة .

دخل مع زوجته التى احتضنت البنت بحرص مذعور إلى حجرة « الطبيب الممارس » نظر الرجل إلى الطفلة وفتح فمها ونظر إلى حلقها . ثم خط ـ بشكل ميكانيكى ـ فى الورقة التى أمامه بضع كلمات .. وناولها للأم .. ونظر إلى التومرجية العجوز بملل ظاهر وقال :

ـ التالى بعده .

خرج من المستوصف . بعد أن صرف زجاجتى دواء شرب من الصيدلية التابعة له ، وقد شمله إحساس غامر بخيبة الأمل فى شفاء ابنته عن طريق هذا العلاج الرخيص . ومر أسبوع على تلك الزيارة دون أن يطرأ أىّ تحسن على صحة البنت ، فأيقن أنه سوف يخسر ابنته ـ كما خسر من قبل أخته الصغيرة ـ إن لم يتحرك على الفور .

نظر فى ساعته .. كانت قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل . أخذ يسرع الخطى وهو يكاد يجرى حتى يلحق بالصيدلية قبل أن تغلق أبوابها .. وتوقف برهة وهو يلهث . ومد بصره فلمح بداية سور مصنع الطوب . كانت مداخنه مشرعة نحو السماء يتصاعد من فوهاتها الواسعة دخان أسود كثيف يصنع غيمة ضبابية كبيرة فوق مساحة شاسعة من الأرض . ونفذت إلى أنفه تلك الرائحة التى يميزها حسه جيدا .. رائحة الهواء الفاسد المسموم الذى ينهل منه أثناء وجوده بالعمل داخل مبانى المصنع المغبرة .

توقف أمام البوابة الحديدية الضخمة ، قرب المدخل ، ولوح بقبضتيه متوعدا . لو كانوا قد وافقوا على منحه القرض الذى طلبه منذ شهر لاستطاع أن يدخل ابنته الآن إلى إحدى المصحات .. لكنهم رفضوا طلبه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ مدة خدمتك لا تسمح بمنحك القرض .

ـ لكن أنا بنتى هتموت .. لازم أعالجها .

ـ عندك المستوصف .. والمستشفى الميرى .

ـ مفيش فايدة .. يلزمنى فلوس بأىّ شكل .. أنا مدة خدمتى قربت على عشر سنين . من حقى آخذ قرض .

ـ اللوائح بتقول غير كده .. واحنا موش ملجأ خيرى .. عايز تستقيل اتفضل .. فى الحالة دى بس ممكن تحصل على مبلغ مكافأة إنهاء الخدمة .

توقف عند إحدى القناطر الخشبية ، وأسند مرفقيه على السور ، وقد تفاقم إحساسه بالإعياء ، وتمنى لو يدخن سيجارة . ولمحت عيناه جثة أحد الحيوانات تطفو فوق الماء . وقد انبعثت منها رائحة تحلل وعفن . عاود السير وهو يتذكر أنه فى ذلك العام بالضبط كانت ابنته ستتم السن الذى تدخل معه المدرسة . كل حوائجها كان قد اشتراها لها . المريلة الزرقاء ، والحذاء والحقيبة ، والأقلام . كان يتطلع إلى هذا اليوم الذى يأخذ فيه بيدها ، ويوصلها إلى باب المدرسة . لكن المرض خيب كل ظنونه . وجاء العام الدراسى ليجدها طريحة الفراش .

رمى ببصره على الطريق . كانت أنوار المركز تلوح من بعيد .. ابتهل إلى الله فى تلك اللحظة ألا يخيب أمله ورجاءه . « قال ابوه وهو يتهاوى على باب الصيدلية منهكا : أنا تعبت يا بنى . موش ممكن حاقدر أرجع البيت ماشى على رجلى تانى .. نظر إلى وجه أبيه المهضيم الذى غزته التجاعيد ، وأطل منه عذاب لا يوصف ، وأمسك نفسه عن البكاء بصعوبة » .

مرت فى جواره فجأة سيارة نقل مسرعة . لوح لها بيديه . لكنها كانت قد مرقت دون أن يأبه له قائدها . لملم قواه وأخذ يحث السير . وفكر فى أن ابنته ربما تكون قد نامت الآن بعد أن أرهقها البكاء لفراقه ، لكنه كان يعرف أن نومها لا يمكن أن يطول فنوبات السعال لا تتركها طويلا . لابد أن يدخلها إلى المصحة فى حلوان . هناك تستطيع أن تجد العناية المركزة ، وتشفى . لكن يجب أن يتحرك قبل أن يفوت الأوان « كانت العنابر الطويلة تفوح منها رائحة المطهرات القوية .. قادته الممرضة إلى حجرة منفردة تغمرها الشمس . أغلق الباب وراءه وتقدم نحو الفراش . كانت أخته ترقد هناك . وجهها فى صفرة الليمون . حاولت أن تبتسم له فبدا عليها الإعياء . كان أبوه يجلس على مقعد بجوارها . عيناه محمرتان من أثر السهاد والبكاء الذى لا ينقطع . جلس على طرف الفراش وأمسك بكفها النحيلة وقال : موش تشدى حيلك بقى وتخفى .

ـ موش باين أنى حاخف أو حاقوم تانى .. أنا عايزة أروح البيت . خدنى معاك ماتسبنيش هنا .

قال : لازم تتمى علاجك الأول وتخفى وبعدين آجى آخدك .. خلاص هانت .

ـ أنا عارفة أنى موش حاخف أبدا . حاسة أنى هموت . أرجوك موش عاوزة أموت لوحدى هنا . أموت فى البيت معاكم .

حاول أن يكتم دموعه ، ويتماسك . لكنه لمح والده فى تلك اللحظة وهو يشيح بوجهه بعيدا ويمسح الدموع التى فاضت من عينيه فى صمت ، فانهار ودفن وجهه فى صدر أخته الناشف الهزيل ليخفى بكاءه » .

أخذت الأنوار تتضح شيئا فشيئا . عاوده بعض الاطمئنان . ومد يده فى جيبه وتحسس الأوراق النقدية كأنما ليحصيها ويتأكد من وجودها . وتذكر وجه زوجته الملتاع وهى تأتيه بهذه النقود ، تجمعها من كل الأدراج وتناولها له . لابد أنها تنتظره الآن والخوف ينهشها وألم الانتظار يمضها .. وعذاب ابنتها يحز فى نفسها . يجب أن يسرع الخطى . لابد أن يلحق بالصيدلية . إنها أمله الوحيد ، زجاجة الدواء المستورد الذى يمكنه وحده أن يوقف الألم ويجعل ابنته تنام مطمئنة .. تعبر مرحلة الخطر وتهدأ وتنام وينام هو أيضا . كم هو بحاجة إلى النوم . النوم لفترة طويلة . ينام ويرتاح .. كم يحن إلى الراحة ، ويمسك نفسه عن الانهيار بصعوبة .

ومد بصره على الطريق ، « لمح من بعيد أنوار الصيدلية ، تشع وتتوهج . لكنه لم يتمكن من التأكد من أنها فاتحة أبوابها بالفعل . جرى .. جرى بكل ما تبقى فى جسده المتعب من قوة » . « كانت ابنته تقف هناك على بسطة السلم تودعه .. عيناها المتألقتان تلمعان ببريق أخاذ .. مرح برى .. « مع السلامة يا بابا يا حبيبى » . وكانت زوجته تحملق بعينيها الذاهلتين فى وجهه وهى تمد إليه يدها بالنقود .. وقالت أخته : « مفيش فايدة .. خدونى معاكم . أنا هموت » .. وتهاوى أبوه على الأرض الترابية منهكا وقال : « أنا تعبت يا بنى » .

وظل يجرى والريح الشتوية تجمد وجهه ، وصوت ابنته لا يزال يرن فى سمعه « آجى معاك يا بابا .. أنت رايح فين دلوقت ؟ » .. وتوقف مرة واحدة عن العدو وقد تملكه التعب . وراح يلهث كفرس فى آخر خطوط السباق ، والعرق يتصبب من جبهته على أهدابه . وأبصر فى تلك اللحظة بأضواء الصيدلية تشتعل وتضئ ما حولها . وتيقن عندئذ من أنها ما زالت تفتح أبوابها . تنفس بارتياح ودعك عينيه غير مصدق . واستند بظهره فى إعياء على جدار أحد البيوت وقد أحس بساقيه تخذلانه ، ثم تهاوى جالسا على الأرض ودفن رأسه بين ركبتيه وانخرط فى البكاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصطفى حجاب

قصة

داخل لحظة غشاؤها أصفر

فوق نقطة هنا ، ما بين الشاطىء وسفوح سلاسل المرتفعات الموازية للجانب الشمالى الغربى من أخدود البحر الأحمر ، « بالغردقة » كان غريبا وسعيدا ... يمشى ثم يتوقف ناظراً فى كل اتجاه يستطلع الشاطىء والبحر والسماء والأفق ، شعر بكينونته تغطى كل هذا الاتساع ... اتساع لم يزل يحتفظ بعبق بداية التكوين ، ولا إنسان على الشاطىء إلا هو ، لولا أن برز صياد صغير السن فجأة من وراء التل القريب وأسند دبشك بندقية صيده على الأرض بين قدميه واضعاً ذقنه على فوهتها هكذا شاخصا ببصره إلى هذا الغريب . تناسى الغريب وجود الصياد وراح يدور حول نفسه نشوان كبلورة المنار فى شبه رقصة . ابتسم الصياد الصغير . نفذت الابتسامة إلى قلب البلورة ، فدار حول نفسه دورتين حتى يرى الابتسامة هذه المرة أكثر اتساعاً ، رفع الصياد عينيه وفوهة البندقية وابتسامته إلى السماء ، وتهاوى طائر خطاف البحر زاعقا فى دمه على الساحل .

نصف قرص الشمس المجهد ومستعمرات حيوان المرجان تصبغ مياه البحر باللون الأحمر وهذا الضوء الأحمر المعلق بأعلى باب المدير اقتحمه دون أن يؤذن له .

.. المدير يطرد ذبابة وهمية كانت تقف فوق طرف أنفه تماماً .

ـ ياسيدى المدير ..

ـ المدير يعاود طرد الذبابة ذاتها .

ـ سيدى المدير .. سيادتك أمرت بنقلى إلى الغردقة .

ـ نعم ، أمرت ..

ـ لماذا ؟

ـ لماذا !

ـ .. أرجو أن أعرف الأسباب .

أسباب !

ـ نعم الأسباب ..

من أذن لك بالدخول ؟

ـ .....

ـ أجب .

ـ أرجو أن أعرف الأسباب .

ـ أخرج !

مال المدير برأسه إلى الأمام وعاود كلمة « أخرج » ... لم يستطع الوقوف أكثر ولم يخرج ولم يدرك من قبل أن المدير يصبغ شعره .

ـ أخرج !

كانت الكلمة هذه المرة مدوية ومنذرة ... شعر أن سقف المكتب يهبط وأن الحوائط تتقدم نحوه ، وقطيع من الفيلة يدوس هواء الغرفة حتى تسيَّل ، ومستنقع من اللزوجة تصل حدوده حتى الزوايا وفتحتى أذنيه ، وزملاؤه يهمسون له : كلمة مدح واحدة وينتهى كل شىء .

على الشاطىء ... عند حافة المياه تنكسر القواقع الجيرية تحت ثقل خطواته ، يستشعر هو لذة التحطيم ، يدوس بحذائه أكثر حتى يسمع صوت الكسر بشكل واضح ، ينحنى ملتقطا محارة ، وبذراعه المفرودة يرسم نصف فرس متراجع إلى الخلف ثم إلى الأمام وتنطلق المحارة متماسة عند نقطة بعيدة من سطح البحر وتنطرد واهنة مسافة أخرى ثم تغوص .

ـ أقصد يا سيدى أن ما ارتكبته لا يقبل الصفح .. أقصد لا يقبل العفو .

ـ هل اعترفت ؟

ـ نعم اعترفت .

- إذن فالمسألة بسيطة .
- هكذا الكبار يا سيدى عندما تقاس بجانبهم الأشياء .
- كنت أظنك غير ذلك .
- وأمثالى كل الزملاء . تلهج ألسنتهم بالثناء صبح مساء .

حاول أن يستفيض لولا أن تورم لسانه ، وملأ فراغ فمه ، وتلقفه الزملاء عند الباب : سمعنا كل شىء هكذا يكون الكلام ... اذكرنا عند ربك ! عندما سقط رفعوه ، حملوه على أكتافهم ، وعندئذ غلف المكان فقاعة هائلة من لحظة غشاؤها أصفر محتوية بذلك الزمان بشكل قاطع ، وتكاثر تحته ومن ورائه وحوله كل الزملاء ، موكب وتختفى وجوههم وراء أقنعة وتعلوا رؤوسهم طراطير من ورق مقوى ، أما طرطوره هو فكان من جلد الحرباء يتلون .. يتلون ... تطلعوا إلى طرطوره فى حسد وبَشُّوا فى وجهه ، هتفوا بحياته رائدا . يتخلص منهم بعنف وقرف ، يقبضون على فخذيه ، يهوى بقبضته على رؤوسهم ، يعلو هتافهم هديرا . أحس باللحظة ، وما تحويه كُلاً ينصدع ، وتنزلق اللحظة هكذا إلى الوراء حيث الزمن الماضى تاركة مكانها الحاضر للحظة أخرى وليدة أحق بالوجود ، صرخته ارتج لها غشاء اللحظة .

فى هذا الزمن الماضى كان أبوه فى فراش الموت عندما همس الطبيب لأمه فى أذنها وخرج ، وسألته أمه : ما معنى يا ولدى أن الحالة تتدهور مع مرور الوقت ؟ ومرت اللحظة ومات أبوه .

واللحظة التى هو بداخلها تمر ، يصرخ ، أظافرهم تنغرس فى فخذيه أكثر ، ومع توالى اللحظات يصرخ ، لفظ حنجرته وظل يصرخ دون صوت إلى أن تباعدت فقاعة اللحظة هناك فى الوراء واستقرت فى الماضى تماماً ، أصابتها سن الشيخوخة وتهدل غشاؤها من فوق أكتافهم ... مد ذراعه حتى أقصاها على قطعة مدلاة من السقف إلى أسنانه ، نفذ من العنق خارجا فوق أشلاء هذه اللحظة الصفراء وانطلق يعدو فوق هشيم اللحظات التى مضت حتى انتهى إلى مكتب المدير وزعق .

- انقلنى إلى الغردقة !

آلاف المناديل السحابية البيضاء تلوح مودعة مركب الشمس فى نهاية رحلتها اليومية والصياد ضاحك السن عائد وصيد من طائر خطاف البحر مدلّى فى خيط من كتفه . ورفع ذراعه إلى أقصاها مودعا وابتعد حتى اختفى ... لا إنسان سواه على الساحل ، خلع ملابسه عريان ومشى عموديا على خط الساحل إلى البحر ، راح يسبح ومن فوقة أسراب طائر خطاف البحر يقودها سِرٌّ غامض إلى موطنها الشمالى .

بورفؤاد : مصطفى حجاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسن الجوخ

قصة

موسى الغريب

تبدأ بلدتنا بمقابر الشيخ علوانى ، وتنتهى بسراية الخواجة سمعان بحدها شمالاً المصرف الصغير ، ويحرسها من الجنوب عرق كبير من نهر النيل ، يشطرها نصفين شارع سوق الخميس ، وبقية شوارعها ملتوية على شكل حركات الثعابين . تخرج منها حوارٍ وأزقة وزرائب خلفية كثيرة ، البلدة خليط من الدور الطينية وأكواخ الغاب والبوص التى تلتف حول نفسها فى تناقض غريب ، أغنى أعيانها لا يملك أكثر من عشرين فداناً ، ناسها أغلبهم فلاحون ، يعيش بينهم الصانع والتاجر والفقير فى ترابط حميم أولادها تمتد جذورهم إلى سابع أرض ؛ نبتوا بين جدران قاعاتها فوق قباب الأفران ، أو على التراب والحصى تحت ظلال الأشجار .

رجل واحد ـ فقير ـ جاء إلى بلدتنا من زمن غير معلوم على وجه التحديد . فى يوم سوق ، يحمل فوق كتفه « خُرجاً » مرتقاً ، باع للناس صناديق المعسّل ، وعلب السجاير والكبريت ، وبذور البصل والطماطم والفجل والجرجير حتى لوازم الخياطين ، فى ذلك اليوم ربح ربحاً وفيراً ، أعجبه الحال وضغطت عليه ، وأغرته الأطماع ، فمكث فى بلدتنا ، يفترش أرض الجفر المجاورة لشارع السوق ، يشترى ويبيع ، ويعامل أهالى البلدة بكل أدب وذوق .

بعد عدّة أشهر بنى فى مكانه ـ دون أن يعترض أحد إشفاقاً بالحال ـ كوخاً صغيراً ، عرّشه الرجل بسعف النخيل ، اتخذه كدكان بسيط ، وراح يشترى بضائعه من البندر ، ويبيع ، بتجشم مشقة السفر يومياً إلى البندر لقربه عن أولاد البلدة نظير ربح معقول .

مرّت الأعوام بكثير مُرّها ، وقليل حلوها ، وهو يصرف شؤونه بحكمة ، واضعاً فى الاعتبار تقلبات الأحوال ومفاجآت الأيام ؛ قبل أن يخطو يحسب بدقة الخطوات ، ويقيس مختلف الأبعاد ، بهذا الحرص ، وبفضل ما اتصف به من صبر ومثابرة تنامى رأس ماله ، وانتعشت أحواله بعد عرق ومعاناة ، شارك أحد تجار الغلال الكبار فازدادت أحواله انتعاشاً ، وفرّج الله عليه .. ورويداً رويداً توثقت العلاقات بينه وبين رجال البلدة ، وضاق الكوخ عليه فبنى فى المكان نفسه ـ بدلاً من الكوخ الوضيع ـ بالطوب الأحمر داراً واسعة جميلة ، تحتها دكان ببابين .. وسرعان ما شمخت داره بين الدور ، تزوج أخت العمدة ، التى فاتها القطار ، وبعد أسبوع واحد كتبت له توكيلاً بالتصرف فيما يخصها من عقارات وأطيان .. فترة عصيبة عاشاها فى كابوس التردد بين عيادات الأطباء والمشعوذين والوصفات البلدية حتى أنجبا ولداً أسمياه « يوسف » إعزازاً لاسم أبيه ـ رحمة الله عليه ـ وصار الرجل من الأعيان فى بلدتنا ؛ أصبح يرتدى جلباباً من الصوف ، يزين جبينه طربوش أنيق أيام الشتاء ، وأيام الصيف يلف جسده الفارع جلباب « سكروته » ناصع البياض ، ويتطوح الطربوش فى يسراه حينما يسير فى خيلاء ، عارى الرأس مثل أولاد البنادر والذوات ، العصا المعقوفة لامعة فى يمناه تضرب وجه الأرض وتتناغم والخطوات ، حذاؤه يلمع فى كل الأوقات ، أضحى يجالس المتعلمين والملاك ، وأراد أن يزداد التحاماً بالناس ، يتداخل فى لحم النسيج ، ويمحو من قاموس البلدة لفظة « الغريب » ؛ مع أعيان البلدة ساهم ـ رغم بخله المعروف ـ فى عدد من المشروعات : السكة الجديدة ، مشروع توسيع السوق ، الوحدة الصحية ، المدرسة الابتدائية ، فى أحزانهم كان أول المواسين ، وبهمة شرّف أفراحهم ، ونقط عرائسهم ، جامل الجميع ، تردد اسمه بين أهالى بلدتنا محاطاً بهالة من الاحترام ، خاصةً بعد أن وثق صلاته بالمأمور ووكيل النيابة ، والمشرف الزراعى ، ومفتش التموين .. والولد « يوسف » يصير شاباً

جميلاً فى خيالات وأحلام الفتيات ، توسّع الرجل ، وشارك أكثر من نصف الفلاحين مواشيهم حتى الأرانب والأغنام ، لكن اسمه ظل يجرى على كل لسان فى البلدة« موسى الغريب » ؛ إذا نطق واحد « موسى ... » وسكت أكمل الآخر بلا تردد : « موسى الغريب » ، تخرج « الغريب » من الأفواه ينتفض ، تلدغه كثعبان ، ولكنه يبتسم فى خبث ابتسامة غامضة ، ولا يُبدى أى امتعاض ؛ فقد حرص أن يكون هاشاً باشاً للجميع .

ذات صباح انحنى « موسى الغريب » فتّح الأقفال ، فرد وسطه بصعوبة ، ورفع باب الدكان فوقع بصره على الولد رمضان بياع البيض ، خارجاً من البلدة قاصداً البندر تتأرجح سلة البيض فى يمينه ـ على غير العادة ـ فقفزتْ إلى مخيلته ذكرى أليمة بشعة ، راحت تناوشه فى إلحاح ، وتدور فى نفسه دوران النار فى فرن مشتعل ؛ العام الماضى ، فى بكور يوم « شم النسيم » جرى وَلَدِى « يوسف » ، وحيدى ، حبة قلبى ، يسابق فى نزقٍ رفاق عمره الشبان ، وصل الشاطىء قبلهم جميعاً ، ضحك عالياً ، وهو يتجرد من ملابسه وراء شجرة صفصاف تبعثرتْ جدائلها على وجه النهر النشوان ، فى لمحة ألقى بنفسه فى أحضان النهر ، تجاذبته الأعماق ـ أمام عينى ـ وقفتُ يومها جامداً كالتمثال ، فقدتُ القدرة على أى فعل ، أطاع حبة قلبى ـ رغماً عنه ـ جبروت الأعماق ، فغطس ، وقبّ ، وراح يغطس ، ويقب ، وبين لحظة وأخرى يرفع ذراعيه ، يستنجد ، يستغيث ، فى لمح البصر قذف الولد رمضان بنفسه فى قلب النهر فهو يعرف السباحة ، عليم بفنون العوم ، أراد ـ فى الظاهر والله أعلم بالباطن ـ أن ينقذ ولدى بأى شكل ، وفى أسرع وقت ، ولكن « يوسف » قد شلّ عقله الذعرُ ، ارتبك ، تخبط ، من حلاوة الروح تشبث به ، شدّه للغرق ، أوشك أن يغرقه معه ، بحركة خاطفة ضربه الكلب بياع البيض بقوة فوق أنفه بقبضة يده . تركه ، ونجا بشكل لم يصدقه عقل .

استنكر البعض على رمضان سلوكه ، واتهموه بالأنانية والقتل والكفر ، بينما وصفه البعض الآخر بالشهامة والرجولة وسرعة البديهة ، لم يفلح كل الرجال والشباب فى إنقاذ يوسف الذى ضاع أمامهم فى غمضة عين ، ولم يخرج إلا فى الليل حينما نصب الغطاسون شباكهم الكبيرة ، ودقّ الطبّالون الطبول ، وقرع الأولاد والبنات بالأيدى والعصى آنية النُحاس وعلب الصفيح ليفزعوا الجنية التى أمسكتْ بيوسف ، وهبطتْ قاع النهر .

خرج ليلتها على أنوار الفوانيس و« الكولبات » ، التى راقصتْ الأشباح والظلال ، منتفخاً ، وجهه أزرق ، وعيناه واسعتان جاحظتان ، عظمة أنفه مكسورة ، ويتساقط من فتحتيه دم أسود غليظ ، وتعلو وجهه ابتسامة استسلام امتزجتْ بالقهر ، تحرّكَ الرجال بجثمانه بضع خطوات فوق ظهر النهر ، وقد دفق الماء من حلقه ، ثم وضعوه ، وغطوه بملابسه وبعض القش ريثما تصرح النيابة بالدفن .

حينما رفع موسى الغريب بصره وجد الولد رمضان قد ابتعد دون أن ينتظر رد الصباح ، الذى رماه عليه ، ضغط الرجل بشدة على ضروسه ، ضرب بقبضته رخامة « البنك » ـ أكثر من مرة ـ دفع كفتى الميزان بظهر يده دون قصد فانقلبت الموازين بكل أحجامها رغماً عنه ، وتبعثرتْ على الأرض وفى رأسه ، وسدت المرارة حلقه ، ولما هدأ قليلاً طوى جرحه بين جوانحه ، قال فى سره : « بلد كلاب ، ليس لها عزيز » تذكر أكابر البلدة الراحلين : العمدة القديم ، شيخ البلد ، الحاج بركات ، الشيخ فراج ، الخواجة سمعان ... ، فترحم على أيامهم ، وداخله شعور بالارتياح ، ولما افتكر بعض مضايقاتهم قال وكأنه يكلم نفسه : « سامحهم الله ، لا تجوز عليهم إلا الرحمة ، تركوا البلد فى أيدى عيال لا يفهمون الأصول » .

بعد أيام قلائل ـ بالتحديد فى مساء اليوم السابق ليوم « شم النسيم » ـ رأى موسى الغريب بعينى رأسه ـ وكالعادة ـ الأولاد والبنات ، وبعض الرجال والنساء ، وهم يجوسون بين الشجيرات فى الحقول بحثاً عن أمخاخ البصل الأخضر ، يخلع كل منهم بصلة يانعة ، يختارها ، يغسلها جيداً بمياه النهر الجارية فتصير جذورها الرفيعة القصيرة مثل الحليب ، ويحطها فى السيّالة فتقبع وفتافيت العيش الناشف بالقاع ، ثم يتسلق الأولاد شجر صفصاف شعر البنت كقرود مدربة ، يقتطعون بعض الأغصان ، وهى بطبيعتها طويلة لينة ، يصنعون منها أطواقاً جميلة ، محكمة الاستدارة ، يحشون بالمناجل بعض سيقان القمح بسنبلاتها اللبنية ، ويتفنن الرجال محاولين إظهار مهاراتهم أمام الأولاد فى هذا اليوم ؛ يتناول الرجل فى خفة عودين من عيدان القمح ، يضع بسرعة أحدهما فى فيه بين أسنانه ، والآخر فى لمح البرق يضعه فى فتحة الشريط ليأخذ مكانه فى النسيج ، وتمتد يده بلهفة تلتقط العود من بين أسنانه ليحتل مكانه فى أقل من ثانية بطلب الشريط ، ويستمر الرجل هكذا بلا ملل دونما تستطيع تركيز نظرك على يديه المتحركتين بسرعة ودربة ، يجدلون من تلك العيدان الناعمة الرقيقة عرائس وشبابيك فى تشكيلات بديعة متنوعة .

راح موسى الغريب يرقب ما يحدث أمامه ، وهو شبه مذهول ، يفور الدم فى يافوخه ، ينهش الغيظ أعصابه ، تتردد أنفاسه حارةً لاهثةً ، يضع يده على قلبه ، وتتقلص ملامح وجهه ، ينزف من الداخل ، يحترق فى صمتٍ ، رماهم بنظرات مستنكرة ، تجاهلوا النظرات ، لم يحسوا به ، أو يقدروا مشاعره ، راحوا يواصلون ـ فى شبه عناد ـ طقوسهم ـ شبه المقدّسة ـ استطاع بصعوبة السيطرة على أعصابه ، أخفى فى صدره أحزانه ، وتوارى عن العيون ، عاقداً العزم ـ بينه وبين نفسه ـ على أمرٍ لم يخطر لأحد على بال ، ولم يكن أبداً فى الحسبان .

عندما عانق قرص الشمس الأحمر منتهى الأفق الشاحب ، وانطلقتْ أسراب الطيور عائدةً إلى أعشاشها ، سحب كل فلاح ماشيته ، وتوجّه نحو البلدة ، يحمل تحت إبطه طوقاً جميلاً من أغصان الصفصاف ، أو عروسةً لامعةً أنيقةً من سيقان القمح ، وقد تدلتْ السنبلات كحلقان جميلة راقصة ، يمتلئ الطريق بخليط من الآدميين والحيوانات والنباتات ، يعودون يصعد بهم الطريق ، ويهبط بفعل أكوام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السباخ أو التراب الناعسة أمام الغيطان بلا نظام ، وطوال الطريق يتبادل الشباب النكات المكشوفة فتتغامز البنات ، وتنفر صدورهن ، يسرى الحذر فى عروقهن ، تلتقى العيون المتفاهمة فى صمتٍ ناطق ، ويتضاحك الجميع فيسود جو من المرح ، وحينما تقترب البلدة تصافح الأنوف أدخنة الكوانين ، تفوح فى الخياشيم روائح الطبيخ فتهتاج الأمعاء ، ويجرى الريق فى الحلوق .

عندما يصلون دورهم تقبل رؤوسهم ذوائب الحطب المرصوص فى حزم متساوية على واجهات الدور ينحنون فيرون دوراً طينية عوراء ؛ تنظر لهم ـ دائماً ـ بعين واحدة ، وسرعان ما تبتلعهم الأبواب الواطئة فى قليل من الضجة ، يربطون البهائم يستوثقون من غلق الأبواب ، بعد لحظات يخطف الرجال والشباب جلاليبهم النظيفة من فوق الحبال فى زوايا القاعات الرطبة ، أو من فوق الأوتاد والمسامير الصدئة المرشوقة فى حيطان وسط الدار ، يحط كل منهم مداسة تحت إبطه ، وينطلق بسرعة نحو المسجد الجامع ، يلحق بهم الأولاد فى خطوات جادة مقلدين الكبار ، يحتضنهم الجامع ، يضمهم جميعاً فى قلبه ، تهدأ نفوسهم ، تسمو أرواحهم ، تنفرج أسارير وجوههم ، يتبادلون الكلمات فى همس خاشع ، يتحاورون بالبسمات ، تشع إشراقات فوق الجباه ، تغتسل الأعماق بالضوء ، يصطف الجميع بساحة المسجد فى صمت مهيب ، يصلون صلاة المغرب ، ثم العشاء ، بينما موسى الغريب قد ترك زوجته بدارها وحيدةً ، تدلّك مفاصلها بزيت الكافور وبعض دهانات أملاً أن تخف آلام الروماتزم ، وتتركها تنام ليلةً دون أن تحس بالمشار ، وهو ينشر العظام ، وراح يجول بطرقات البلدة مصدع الرأس ، مشتت الذهن ، تهتز السيجارة بين إصبعيه ، وتضرب عصاه وجه الأرض فى نشاز ، زاماً بين حاجبيه ، يتلفت فى كل اتجاه ، والناس تنظر إليه فى استغراب .

بعد الصلاة الكل يسعى ، يتفرق ؛ الرجال يرجعون إلى الدور ، وينهمكون فى تعليق أطواق الصفصاف ، وعرائس ، وشبابيك القمح أعلى الأبواب ، وقد توسّط كل طوق سمكة محنطة ، وبضع بصلات ، وفردة قديمة من حذاء صغير ، بجوار حدوة حصان ، بينما اعتاد الشباب والأولاد التسكع عند زكى بياع « البوظا » الذى أراح برميله الخشبى الداكن فوق أرض الشارع بجانب الحائط ، غطاه بلوح خشب أبيض ناصع ، وفوق اللوح فرد قطعة نظيفة من « الدبلان » رصَّ عليها مجموعة من الأكواب مختلفة الأحجام ، وعلى يساره يرقد دلو مملوء بالمياه ، يعلو رأسه « كولب » مُضاء ، ثبته بمسمار فى عظم الجدار ، وبين لحظة وأخرى يضرب وجه البرميل بقاعدة كوز كبير فى يده يصب به للزبون ، ويقول بصوته المشروخ : « البوظا القشطة » ، يتحلق حوله الشباب والأولاد يتفرجون على مشاحنات الزبائن . يظهر فجأة موسى الغريب ، يتقدم ، وبكلتا يديه يزيح فى صمت الشباب والأولاد من حول البرميل ، وهو يتفرس فى وجوههم ، ثم قال بصوت تعمد أن يسمعه الجميع : « زكى .. أين يوسف ؟ . » يصمت زكى لحظة ، ينظر فى عينى الرجل فيجدهما حمراوين كعينى عفريتٍ ، تتسع حدقتاه ، يكرر الرجل السؤال بشكل حاد : « زكى قلت لك ، أين ولدى يوسف ؟ » ردَّ زكى ، وهو يدارى مشروع ابتسامة ماكرة بكم جلبابه الوسيع : « يوسف راح البندر يا عم موسى ، وحالاً سيجىء . » ، يبتسم موسى الغريب نصف ابتسامة غامضة ، يضرب جنب البرميل الرابض بعصاه ، ويتناثر رذاذ بصاقه على الواقفين ، ثم يمضى تاركاً الدهشة تملأ الوجوه .

يتلكأ جماعة من الشباب والصبيان عند زكريا بياع القصب ، يشاهدون المراهنات بين الشبان على تقطيع أكبر عدد من العيدان بضربة يد واحدة ؛ يفرد الشاب يده مثل السيف ، وتتقلص عقل أصابعه ، يميل بجذعه للوراء ، يقطب بين حاجبيه ، يستجمع كل عزمه ، ويهوى بيده على العيدان ، وعقب كل فوز تصدر الصيحات قوية خشنة تخدش الهدوء الوسنان ، وعلى غير توقع يظهر بينهم موسى الغريب ، يحملق فى وجوههم فى صمت مريب ، يرى يد « يوسف » ولده تنزل مرةً على العيدان تجزها كسيف بتّار ، ومرةً يراها تنزل على رقبة الكلب بياع البيض فتقصفها فى طرفة عين ، يتخلى عنه وقاره ، يهلل ويصيح بحماس مثل الصغار ، ولما تركزتْ عليه النظرات ، وتساءلت العيون ، قلّب شفته السفلى بقرفٍ فى إرهاق ، نفّض طرف جلبابه بضربات خفيفة من عصاه ، ومضى يتز جسده عرقاً من كل المسام ، فى الوقت ذاته راح الأطفال يلعبون الاستغماية ، ونطة الإنجليز ، وغيرهما من الألعاب الجماعية فى الأجران ، وتحت أنوار « الكولمان » أو الأشعة المتسربة من خلال النوافذ الساهرة ، وعلى مقربة منهم وقف فتحى بياع العجوة بجوار عربته الخشبية المتآكلة ، واضعاً يده اليمنى على أذنه ، ينادى على بضاعته بصوت نصف نعسان ، والسماء الربيعية من حول الجميع ، قد تمدد فى قيعان الحارات والأزقة ، وعلى ظهور المساطب المفروشة بأشكال هندسية متباينة من ضوء القمر السهران ، ولكنهم ـ جميعاً ـ يحرصون أن يأووا إلى دورهم فى هذه الليلة ـ بالذات ـ مبكرين ، فالغد ليس يوماً عادياً مكروراً ككل الأيام ؛ « فمن تشرق عليه شمس الغد قبل أن يستيقظ مبكراً فسيلازمه الخمول والمرض طوال العام ، ولن يبارك الإلّه له فى رزقه أو عافيته . » هذا ما قالته الأسطورة ، وأكده الأجداد والجدات للأولاد والبنات فى كل الأزمان .

فى جوف دور قيئة يتجمعن النساء والفتيات ، يثرثرن ، يتحركن فى نشاط ، يخبزن أرغفة طرية مشقوقة ، يصنعن الفطير ، يفسّخن الفسيخ ، يفتّحن بطون الأسماك المملحة ، ويقذفن بأحشائها قدام الدور من قبيل التباهى أمام الجيران ، ثم يغرقن الفسيخ والملوحة بمزيج من الزيت والخل والشطة ورذاذ الليمون ، ثم يشتركن والأولاد فى تلوين البيض المسلوق بالتفتة فتتباين ، وتتعدد الألوان ، تغمر الفرحة قلوب الأولاد والبنات ، ويتقافزون فرحين فى باحات الدور هنا وهناك ، تنشرح صدور الآباء والأمهات حينما يرون الفرحة تتماوج على وجوه العيال ، بعد لحظات تترنح رؤوس الصغار ، ويداعب النوم الأجفان فيسرع الكبار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويمسكون بالأولاد والبنات ، يحشون بالششم عيون الأولاد ، ويشقون بمراود الكحل جفون البنات دون اهتمام بصرخاتهم أو استغاثاتهم ، ثم يضع كل واحد بصلته تحت رأسه ـ بالضبط ـ وسرعان ما يروح الجميع ـ تحت تأثير التعب والإرهاق ـ فى سُبات عميق ، فتهجع البلدة ، ويخيم فوق دورها سكون حريرى مريح .

ولما سكنت الأشياء فى قلب الليل ، وعبقت القاعات المظلمة الرطبة برائحة عرق الأجساد ، وروائح أخرى متنة زخمة بات موسى الغريب ليلته أرقاً ، يتقلب ، لم يسترخ على جنب ، يخاصم النوم عينيه ، ينظر إلى زوجته العجوز بغيظ مكتوم ، وقد تكورتْ بجواره على الفراش فى لامبالاة ، يحس آلاماً ثعبانية تتلوى فى عروقه ، حنشاً يمتص دماءه ، يكتم آهاته ، يجز على شفته السفلى فى صمتٍ ، يسبّل جفنيه ، ويعصف به الغيظ إلى الجنون ، يسأل نفسه فى دهشة ألف سؤال وسؤال ، يتذكر فى مرارة رحلة علاجه وعذابه من أجل الإنجاب ، « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ... » أنفق المئات لدى الأطباء فى المركز والمديرية والعاصمة ، أجرى وزوجته عشرات التحليلات تناول وزوجته كل أنواع المقويات والمنشطات ، عملاً بكل الوصفات ، بدءاً من تدليك العصعص بالثوم الطازج ، وتعاطى الفلفل الأسود والكرفس والجزر الأصفر والتفاح وجوز الطِيب حتى أكل اليمام والحمام ، أكثر من عملية حتى أنجبا « يوسف » بعد ما ذاقا ألوان العذاب ، ثم يأخذه النهر ببساطة شديدة ؟ ! .. النهر الذى تعوّد العطاء يخطفه فى لحظات ! ، يموت ـ أمام عينى ـ ، وهو فى ريعان الشباب ، المسألة إذن ليستْ صدفة ، إن أرض هؤلاء الناس ترفض امتداد جذورى ، أرض هؤلاء الأوغاد تأبى أن يمتد فى رحمها جذر واحد لغريب ولو فعل الغريب المستحيل ، ما أصعب أن ينفرط من حزمة القلوب قلبٌ ، ويظل مطرحه خالياً بين أحبابه وناسه ، أدارتْ الزوجة ظهرها له فترجرج ردفاها المترهلان ، تتثاءب ، تحاول النوم فتهاجمها آلام الروماتزم من تحت طيات ثيابها الثقال ، تدير وجهها إليه ، تطل فى عينيه فتجد أكثر من علامة استفهام ، تسأل عشرات الأسئلة فى صمت كئيب .

يتأمل الرجل تقاطيع وجهها فتحتل مخيلته ملامح ولده : شاب قوى جميل ، رجل يعرف حقاً معنى الرجولة ، مواقفه والآخرين تقول خيره على الجميع ، الولد كان شخصية بمعنى الكلمة ، آهٍ .. منذ طفولته والله ، وأنا حاسس أنه ابن موت ، يقبض بذاكرته على ملامحه ، دقائق وجهه المليح ، ويغمّض عينيه ، يروح فى غيبوبة أليمة لذيذة ، ويسرح للبعيد ، يفيق متمتماً : « الولد الذى كان سيفتح دارى من بعدى ضاع ، راح كشربة ماء ، وهأنذا أعيش وحيداً وزوجتى فى دار واسعة ، يهدنى الحزن ، وتطاردنى الآلام ، وحتماً سيأتى يوم تُغلَقُ فيه الدار ، وتعشش فيها العناكب ، وستُقسَمُ أرضى ودارى ـ أيام عمرى وحبات عرق ـ بين الأغراب بالقيراط ، ويذوب ذكرى فى بحر النسيان .. مأساة لا يحسها هؤلاء الأجلاف ، لقد تبلدتْ مشاعرهم ، وراحوا يمارسون مهاتراتهم السخيفة ، فى مساء السنوية الأولى لوفاة ابنى حبيبى ـ أمام عينى ـ فيما يشبه العناد ، ودون مراعاة لأية اعتبارات ، طرح التساؤل نفسه فتساءل متعجباً وبحسرة : « هل مثل يوسف يُنسىَ بهذه السرعة ؟ ! .. ماذا حدث للناس ؟ ! » ، وتستمر تناوشه التساؤلات كذبذبات محبوسة فى شريان مذبوح .. مع أول صيحة لأول ديك نهض ، مدّ يده ، رفع شريط « الوَنّاسة » فملأ الضوء القاعة ، أخذها عن على المسمار ، خرج إلى وسط الدار ، سحب علبة سجائره من الكوة المتربة ، نفّض التراب من فوقها ، فتح العلبة بكل حرص وحنان ، أسند ظهره للجدار ، وعلى ضوء « الوَنّاسة » الخافت المضطرب انتزع ورقة بفرة من الدفتر ، أخذ من العلبة المعدنية مسكة إصبعين دخان ، أنام الورقة على السبابتين ، وبالإبهامين برّم الورقة ، وبطرف لسانه بلل حافتها فاستوتْ فى يده سيجارة ، تعلقتْ بين شفتيه ، ثم أخرج من جيبه كيس قماش صغيراً ، تناول منه قطعة حديد وقطعة سن مشطوفة ، وعقلة بوص يبرز منها فتيل من القطن ، قرّب يده من فمه ، وضرب الحديدة على الصخرة فتطايرتْ بضع شرارات فاشتعل فتيل القطن ، أخذ نفساً عميقاً فاشتعلت السيجارة ، زمّ شفتيه الغليظتين تاركاً ثقباً صغيراً طرد منه الدخان فتماوجتْ حلقاته فى الهواء ، توكأ على العصا ، وبصّ على بهائمه فوجدها نافقةً كلها ، وقد وقف الولد بياع البيض على عتبة الزريبة ضاغطاً بكلتا قدميه فوق رأس كلبه « سبع الليل » ماسكاً بيده سكيناً كبيراً ، فنزل موسى الغريب على رأسه بالعصا حتى فارق الحياة ، أو هكذا تصوّر ، بعدها بلحظات ، وبهدوء شديد أحضر الفرقلة ، وأطال ذيلها وبرمه جيداً ، ربطها فى إحكام فى تكة سرواله ، لفّها حول وسطه ، وخرج مسرعاً تاركاً زوجته ، وقد سرقها نوم مفاجىء .

مع أذان الفجر تصحو الأمهات ، يحلبن ، يخرجن من قيعان الحارات والأزقة والشوارع والباحات إلى النهر زرافات ، وقد سبقهن ـ سراً وفى تكتم شديد ـ بعض الشباب ، يختبئون فى أعالى الفروع بين ذؤابات الشجر ، أو خلف قواديس السواقى القريبة من الشط ، يتفرجون خلسةً على الأجساد ، وربما يمارس أحدهم الفعل متأثراً بما ينعكس على بؤبؤى عينيه ، تقف النساء ، تمتطى إحداهن ظهر النهر ، ثم تقذف ببصلتها الأمواج فتتسع الدوائر وتضيق على وجه المياه ، تخلع ثيابها الثقال ، ويتبدى جسدها فى لون جذور السمار ، الذى يُصنَعُ منه الحصير ، تختضن الماء الدافق برقة وحنان ، تغطس ، تستحم ، ثم تلبس الأحمر والأصفر والأخضر ، وتنتعل القبقاب ، تحط فى عينيها الكحل ، تنظر وجهها فى المرآة ، تملأ الجرة ، تغطى فوهتها بالحلبة الخضراء ، تجمّل رأسها بأغصان الصفصاف فتصير عروساً ، تضع الجرة فوق رأسها مائلةً فى دلال ، ثم تخطو برشاقة على الطريق ، تضرب بذراعيها الطليقتين نسائم الصباح البكر ، تعود وصاحباتها نشيطة جميلة تزغلل العيون .

وحينما يتسرب النهار طفلاً يفرك عينيه محاولاً التملص من قبضة الليل العجوز ، تغرد البلابل ، تشقشق العصافير ، وتتبدى الدوائر المرسومة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالندى حول جذوع أشجار التوت والسنط والجميز ، يوقظ الآباءُ الأبناء ؛ يصحون ، ورموشهم معجونة بالنشم والعماس ، يفركون عيونهم ، وهم يشرئبون بأعناقهم مستطلعين ، بسرعة يسحب كل واحد بصلته من تحت رأسه ، وينطلق راكضاً نحو النهر مثل الحصان ، يرمى ببصلته وجه النهر الصبوح ، فتعلو رؤوس البصل ، وتهبط والأمواج ، ينزع عن جسده أسماله ، يلتحم والأمواج ، يغطس ، يستحم ، يحك جسده بالطمى ، ثم يصابون « الفنيك » الرخيص ، ويغمر الجسد بالماء الدفاق ، لحظات ، ويخرج بعضهم مرتدين أجل مالديهم من الثياب ، بينما يظل بعضهم يلعب ، يسبح ، ويعاود الاستحمام مرات ومرات ، الأولاد الذين يخرجون يحرون لاهثين ناحية جنينة الخواجة سمعان ، يغافلون الحارس ، ويسرق كل واحد وردةً ، ثم يقطعون المسافة من الجنينة إلى البلدة يتقافزون ويمزحون فى شقاوة بريئة ، يحاول كل واحد خطف وردة صاحبه ويطؤها تحت قدميه الحافيتين ، فتملأ الوردة الموطوءة الجو بأريجها الفواح ، وتموت فى الحال ، ويتضاحك الأولاد ويكركرون بضحكاتهم فى صفاء .

تستقبلهم شوارع وحارات البلدة مكنوسةً ، ومرشوشةً بالماء العاطر ، ورغاوى الصابون ، وأمام كل دار يتصاعد الدخان من ركوة محاطة بأقراص مصنوعة من روث البهائم المخلوط بالقش أو التبن ، وفى قلب الركوة ينام واقفاً قدرُ الفول المدمس .. يتوائب الأولاد فى رشاقة وتنافس من فوق الركوات صائحين مهللين متضاحكين .

بعد لحظات قصار سمعت البلدة صوت فرقعات ، تدوى ، تشرّج الهواء ، ورأوا موسى الغريب يتطوح ، ويطوح بيده فرقلة طويلة الذيل كالأفعوان ، يميل بجذعه للوراء ، بكل عزمه وصهد غيظه يهوى بفرقلته على ظهور الأولاد والشباب والرجال ، وهم يجرون أمامه عراةً ، ويجرى فى كل اتجاه ، أشعث الشعر ، حافى القدمين ، عارياً كما ولدته أمه ، يتطاير الشرر من عينيه ، وتتناثر من فيه مئات اللعنات ، يملأ شدقيه بالبصاق ، ويبصق فى كل اتجاه .. يقف الشباب والأولاد والأطفال ويقذفونه بالحجارة والطوب ، يتوقف لحظةً وينظر زائغ النظرات ، يسقط عليه وابل من الحجارة والطوب ، يختل توازنه فيسقط على الأرض ، تصاب ركبتيه ، يُجرَحُ ذقنه ، ويملأ فمه بالتراب ، ينهض متعثراً ، يسير بضع خطوات مترنحاً ، يركض على غير هدى ، وخلفه الأطفال والشباب ، وقد امتلأت حجورهم بالحجارة والطوب ، واجهته الرجال ، وضاقتْ عليه السُبل ، صار سمكةً فى إناء ليس به إلا القليل من الماء ، ولما اقترب منه الولد رمضان بتاع البيض ، استجمع الرجل كل قواه وحقده ، ودفع به إلى النهر ، ولكن الولد رمضان كان أسرع منه جذبه بحركة خاطفة معه ، وراحا ـ معاً ـ يغطسان ويقبان .

القاهرة : حسن الجوخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة القيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أفكاره تتشابك ثم تتفرق وتتطاير ، يجر جسمه بين شجيرات حديقته الممتقعة . كانت متراصة كقضبان حديدية سميكة ، تخشخش أوراقها الجافة تحت أقدامه الثقيلة ، الشمس تنام فوق رؤوس أشجارها ، ممرات الحديقة كثيرة ومظلمة ، كانت تقف فى منتصف الممر الرئيسى ، منحنيّة الظهر ، طاف حولها فى خشوع ، ينوء بها بلح أخضر يربض فى قبتها ، تطل برأسها مضطربة على الشارع الرئيسى ، فى جذعها حبل مربوط ، تحسسه بعينين شاردتين عبر سور الحديقة ، هرب كلبه بعد أن مزق الحبل ولكن الطوق الجلدى مازال يلتف حول رقبته . أنفه مفلطح ، جبل للسمرة كطمى النيل ، شعره غزير مجعد أكثر ما يكون مسترسلاً ، يغطى جسمه ووجهه بطريقة مميزة .

لقد اغتصبه والدى عنوة فى غياب أمه وهو مازال رضيعاً ؛ كان ينبح كثيراً فيلق إليه بعضاً من الخبز الجاف . يغمض عينيه نصف إغماض حتى يقترب منه فيهجم عليه وسرعان ما يرتد الحبل القصير إلى نحره فيؤلمه كثيراً . يظل والدى يلعنه ويكيل له الضربات فى وجهه بعصاه الغليظة ، لا أدرى أين هو الآن ، ربما تاه فى الطريق مع الكلاب الضالة وتحول إلى كلب مسعور تتقاذفه الحجارة « فى كل مكان » لقد فعل بنفسه شراً عظيماً ، لكنه قطعاً سيعود بعد أن يثوب إلى رشده ، لا أظنه يستطيع العودة بعد هذه الشهور ، كلا إنه يتمتع بحاسة « شم نفاذة » . وهل سأعرفه ؟ نعم . نعم . إن به ندبة من آثار جرح عميق فى وجهه من صُنْع أبى ، لن تضيع مهما كبرت سنه . كلا لن يعود .

تطلع الصبى نحو بيته . كانت نوافذه مغلقة ، مرق بسرعة من باب الحديقة بعد أن جاءته فكرة ، كانت تراوده أحياناً كثيرة ، الأشجار المصلوبة على الطريق عادية الأوراق ، متعانقة ، تنام مستسلمة للغبار الذى يغطيها . سمع نباح كلب شد انتباهه ، تمتم .

ربما عاد والدى بكلبى ، . [تبخرت الفكرة من رأسه بمجرد أن خرس نباح الكلب . قال لنفسه وهو يتطلع ناحية شجرة عتيقة .

لو أتى كلبى فسأقسم غذائى بينى وبينه دون أن يرانى والدى ، وأفك وثاقه فى غيبته . إنه مشغول بعمله دائما . كلا ليس هناك غير احتمال واحد ، لقد مات كلبى .

أدار ظهره عائداً إلى بيته ، تسمرت قدماه ، فكر قليلاً ودفع بجسمه ناحية الشجرة العتيقة ، قدماه ترتدان إلى الخلف ، نبت العرق من جبهته

العريضة ، سمع نباح كلب كأنه يحتضر ، دق قلبه بعنف ، خيل إليه أنه يحلم ، عاد نباح الكلب مرة أخرى من خلف الشجرة ، طار إليه ، مرق الكلب من تحت جذعها المتشعب ، يلتف حول رقبته طوق جلدى غائص فيها ، تشرب من دمه ، ينبح بوهن ، يلوى رقبته بصعوبة قارضاً طوقه بأسنانه الماضية ، كان الألم يمزقه ، والدم حول رقبته ، الذباب يتسابق ناهلاً من دمائه المسالة ، يتصارع بطنين مسموع ، فتح فاهه مبهوراً ، همس قائلاً .

إنـــه كلبـــى .....

هب نحوه على الفور ، انحنى عليه ، لف الكلب ذيله دورة لم تكتمل توقف بعد أن أبرز الصبى سكيناً أخرجه من جيبه كان نصله حاداً ، انتفخت أذناه وتصلبت ، برقت عيناه ، شحذ قواه المنهارة ، أدار رقبته نحو يد الصبى الممدودة نحو الطوق ، كاد يلتهمها ، فر السكين منها ، هرول بعيداً عنه ، ارتكز بمؤخرته فوق التراب ، أنشب مخالبه فى قلب الطوق ، أخذت تروح وتجىء بعنف ، نبع الدم حول الطوق ، أحدثت مخالبه شرخاً عظيماً فى الطوق ، اتسعت حدقتاه ، كان النسيم يداعب أوراق الأشجار .

المنصورة : على على عوض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد أحمد عبد العال

قصة الهزيمة

- ١ -

أقربهم إليه استبعد أن يكون قد انتحر ، وإن كان قد صارحه من قبل بأن هذه الفكرة كثيراً ما تصطاده من عتمة هذا البحر حينما الموج يجتاح السفن التى تأمل أن تحلم. أقربهم إليه قال : لقد كان يبدو حزيناً ، شارد النظرة والعينين فى طريق لا يعود .

ردوا عليه : ألم يكن يدعى أنه شاعر ؟ تلك هى عادات الشعراء .

أقربهم إليه نظر إليهم ودّ أن يتكلم ، أن يقول : نعم .. هذه هى عادات الشعراء حين يحبون ولا ينالون ، يتمنون ولا يقدرون ، يبكون وينفجرون فى الضحك ، والأهم أنهم لا ينامون ورغم ذلك يحلمون . ود أن يتكلم ، أن يقول ، لكنه آثر الصمت ـ آثر ألا يقول ، وكانوا قد تركوه ، وكانوا قد ذهبوا فى الشوارع وابتلعهم الأسفلت .

- ٢ -

شهد بعضهم بأنهم رأوه راكباً دراجته وكان مسرعا ، وكان نهر مالح من العرق يفيض على ضفاف وجهه ، وكادت سيارة أن تصدمه لولا انتباه سائقها الذى ترجل منها مسرعا وسبه ثم قال ماذا به هذا المجنون ؟! ألم يجد إلا سيارتى ليموت تحتها ، وتأتينى مصيبة من ورائه ! . وقال بعضهم : إنه شوهد يشترى جريدة المساء ، وقرأ الصفحة الأخيرة منها (وهى صفحة الرياضة) أثناء تناوله العشاء فى مطعم الفول الشهير فى المدينة . وأنه ـ هذه المرة ـ لم يخرج السوس من الطبق ولم يبصق اللقمة عندما أحس بالرمل تحت أسنانه ، وكان يبكى حتى إن دموعه أغرقت الطبق فلم يعد يحتمل مزيداً من الملح . أقربهم إليه قال : كانت عيناه تنهجيان كلمة وداع . دمعة (واو) . دمعة (دال) . دمعة (ألف) . دمعة (عين) .

- ٣ -

بكت (الفتاة التى كانت عيناها النجلاوان تفيضان بحبه . الفتاة التى كان قلبها يخفق بعشقه . الفتاة التى لم تكن لتنساه . الفتاة التى تعجبت كثيراً عندما عاد من الخارج ليشترى فقط دراجة . الفتاة التى تزوجت ... الفتاة التى تزوجت .. بكت ..

المنيا : محمد أحمد عبد العال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاروق السامر

قصة

الحائط

- ١ -

تقف الفتاة وراء النافذة الخلفية لإحدى غرف القسم الداخلي للطالبات الوافدات . تكتظ الغرفة ، الضيقة ، الباردة ، بأشيائها وأشياء رفيقتها التي تقاسمها الغرفة ، بحيث تجعل من المتعذّر على الفتاتين الشابتين أن تتحركا أو تنتقلا فيها بحرية كبيرة في آن واحد . لكنها تبدو رغم ضيقها وبرودتها واكتظاظ الأشياء فيها ، نظيفة ، وناصعة ، وحسنة التنسيق ، كما يبدو على الفتاتين التوافق والانسجام .

كانت الفتاة الثانية تضع وسادة من قطيفة رقيقة ، مربعة الشكل ، برتقالية اللون ، وراء ظهرها وتستلقي على سريرها استلقاءً مريحاً ، وهي تقرأ في كتاب أو مجلة وتسترق النظر بين لحظة ولحظة بعينيها الخضراوين الواسعتين لرفيقتها التي تقف عند النافذة .

كانت فتاة النافذة تدير لها ظهرها الهزيل الناحل وتواجه أمامها مباشرة ، في العصر الأصفر البارد ، حائطاً عالياً ، شاحب اللون ، هو ظهر عمارة شاهقة ، يمتد عمودياً وأفقياً فيحجب عنها رؤية السماء الغائمة من فوق ، ويمنعها من معرفة هوية الأبنية المجاورة يمين وشمال الحائط . ربما يلذ لهذه الفتاة الحالمة ، في ظروفها الطبيعية ، كما يلذ لغالبية الفتيات الحالمات ، أن يتطاول أمامها حائط سري الأبعاد ، مجهول الهوية تماماً يسمح بالعبور في أوقات فراغها المهلكة ، لتخيلاتها الفتية عن ماهية الجلبة الغامضة والاحتكاكات والارتطامات التي تحدث وراءه . لكن أمر الفتاة لم يكن كذلك . إذ كما كانت رفيقتها المتمددة على سريرها ، متشبثة بكتابها أو مجلتها تشبثاً عنيداً وموصولاً ، كانت هي الأخرى قد تشبثت في هذه النافذة كالطفل البكاء الذي سلبت منه لعبة عزيزة ومثيرة . كانت تبكي منذ الصباح ، حتى تورّم جفناها ، وارتسمت حول عينيها هالتان زرقاوان ، وتهدلت شفتها السفلى بفعل الدموع الثقيلة التي غسلتها عدة مرات فأصبحت أشدّ إثارة وأكثر تعبيراً .

رفيقتها الشقراء المتمددة ، الأكثر جمالاً ، والأدنى مرتبة في السحر ، والتي يبدو عليها الإدراك والحزم ، قد كفّت عن مواساتها نهائياً بعد ضياع آخر جهد معها . كانت تخاف أن يتطور الموقف تطوراً أشد سوءاً ويتحول بكاؤها الصامت إلى تضرعات خائبة ، وصراخ مذعور ، لذلك فضّلت أن تتجاهل الموقف تجاهلاً مقصوداً ، وتتصنع اللامبالاة ، وتراقب من زاوية عينيها الخضراوين وهي مستلقية ، أفعالها وتصرفاتها عن كثب .

فتاة النافذة انحنت كالغصن بجذعها للأمام حد الانكسار متفحصة قاع الحائط ، بحيث اعتصرت بتلك الحركة ، ثديها الضامرين على عارضة النافذة الحديدية التي تتمسك بالبناء من الأسفل ، وتمتد أفقياً فتكوّن قاعدتها الضيقة .

لايبدو على الفتاة أنها تجرّب الانتحار بالطيران عبر النافذة أو تقيس زمن ومسافة ارتطام جثتها في القاع . كان فقط يبدو عليها الفضول القلق . وكان قاع الحائط عبارة عن أخدود طويل ضيق تتجمع فيه نفايات من مختلف الصنوف ، يشترك في تكوينه الحائط العاري نفسه ، وسياج طابق واطئ مشترك ، هو بمثابة سور عازل يمتد باستقامة على طول امتداد البناءين المتقابلين . حائط العمارة العالي رغم الثقوب الكثيرة التي تنجّد سطحه الفسيح ، ورغم فطوره الطويلة المسودّة ، وثلماته الواضحة التي كساها الملح ، يبدو على أهبة الاستعداد لملاقاة خزرات الفتاة وحركتها العدوانية المغيرة .

في الجزء القريب الذي يمكن تمييزه من القاع الأيمن المحاذي لقاع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحائط ، امرأة متوسطة العمر تلف رأسها بإحكام بعصّابة خضراء ، راحت تدور حول نفسها بذراعيها العاريتين رغم البرد ، وثدييها المقمطين الجبارين ، وتكنس بمهارة سنين العمر ، بمكنسة ذات عصا طويلة ، أرضية خلفية مبلطة ، ربما تكون أرضية بيت من البيوت . ارتفع الرأس المعصوب ، المستقرّ ، الواثق تحت شداده الأخضر ، مبهوراً ، مرتجفاً .. وكفّت عن الكنس فجأة حين سمعت الانعلاقين المتواثبين ، ونظرت نحو النافذة العالية حيث تطلّ الفتاة . كانت الفتاة فى تلك اللحظة ، قد حطمت بحركتين ، سريعتين ، غاضبتين ، قلقتين ، علىٰ صفحة الحائط الشاهق ، بيضاتها التى التقطتها دون تمييز من مغارات الطبقة الفلينية الموضوعة عند الصفحة المستوية التى تكوّن القاعدة العريضة للنافذة . تحوى الفلينة المستطيلة الشكل ، ذات اللون الأسمر الماحل ، ثلاثين تجويفاً شبيهة بأعشاش العصافير الفتية أو فناجين القهوة الرقيقة التى تستعمل عادةً فى الأعراس والمآتم ، تنبت فى قواعدها التى تضيق شيئاً فشيئاً ، ثلاثون بيضة داكنة توازى عمر الفتاة التى تقف وراء النافذة وهى تقذف بالبيض كالرمانات اليدوية ، الواحدة فى أعقاب الأخرىٰ باتجاه الحائط فتحولها إلى نثار . الرفيقة التى لا تكف عن القراءة ، الخالية من هموم شبيهة بهمومها ، تلاحظ انحناءة الجسد الأهيف نحو الخارج وحركة يدها اليمنىٰ الرتيبة التى تعود بها فى كل مرة ، إلى الخلف ، إلى ما فوق الكتف ذى العظمة البارزة ، ثم تندفع كالرمح إلى الأمام مع كامل طاقتها بحيث تجعل البيضة التى تنام فى تجويف يدها محصورة بين الأصابع الرخصة ، تنطلق بقوة محطمة إسار الأصابع ، ذاهبة باتجاه واحد لا يتغير ، فتصطدم وتتهشم على الحائط الشاهق فى مساحة محددة ، مستطيلة الشكل ، توازى تماماً مستطيل النافذة حيث تقف الفتاة . وقد كفّت الرفيقة التى تقرأ منذ انطلاق أولىٰ البيضات عن الملاحظة المستمرة ، ومضت تحرك لا شعورية ، قدمها الصغيرة الناعمة الشبيهة بأقدام الملكات فوق الغطاء المزركش ، فارتفعت ركبتها قليلاً وصنعت ،دون أن تدرى ، من ساقها المرمرية وفخذها الذى انحسر عنه الثوب وتكشّف ، مثلثاً شاهق العلو تتحطم وتتهافت قاعدته عند الغطاء المتغضن بفعل تلك الحركة المفاجئة ، وعادت تقرأ من جديد وهى تبتسم وتردد فى الوقت نفسه برعشة خوف خفيفة : « لقد بدأت عملية التحطيم ! » .

فتاة النافذة تبدو متكدرة وقلقة ، وربما يائسة وهى تلتقط البيضة تلو الأخرى من مغاراتها الصغيرة التى تحجبها حتى الحزام وترمى بها بحركة ثابتة لا تتغير نحو الحائط . لقد خفّت حدة تلك الحركة الآلية ، وقوتها ، وانفعالها ، وأصبحت بطيئة ، باردة ، ليس بذيِ معنىٰ ، وتشارف على الانتهاء . عند ملاحظة الفتاة وهى تندفع فى كل مرّة بحركتها قليلاً نحو الخارج ، إنها تكاد تلامس بأطراف أصابعها السمراء الطويلة ذات الخواتم المتعددة ، صفحة الحائط الذى ينسرح بحرية بعيداً نحو القاع حيث تركد أنواع القمامة والنفايات . غير أن الحائط يبعد عن مستطيل نافذتها وجسدها الطالع عبره حتى الخصر ، مسافة لا تقل عن ثلاث يادرات ؛ لذا فإن الفتاة إذا ما رغبت أن تلامسه أيما ملامسة خفيفة ، فسوف تكون قياساً لهذه المسافة مستحيلة تماماً ولن يكتب لحركتها سوى الفشل . تجاويف البيض أو مغاراته الصغيرة تتخلص من مؤونتها الواحدة بعد الأخرى فتكشف عن قواعد ضيقة ، مدوّرة الأشكال شبيهة بأزرار القمصان العاجية . وحين تبقت بيضة واحدة ، التقطتها الفتاة بنشوة لا مثيل لها وهى تشنّج بارتعاشة طويلة حول محيطها الرخو الأملس ، أصابعها الخمس الرشيقة ، ثم تروّت قليلاً ، ودققت عند نقطة التصويب قبل أن تطلق إطلاقتها الأخيرة ، وكان صفار البيض وبياضه قد شكلّ عند الحائط ، خرائط وأشكالاً هندسية ، زلالية التكوين ، وصعبة الفصل ، كانت تتداخل فيما بينها وتختلط ، تزينها بروعة ، القطع الصغيرة المتشظية من نثار القشرة الكلسية للبيضات المنفلقة على الحائط المقيت ، انفلاقاً لا رحمة فيه ، ولا ردّة عنه . وكانت الخيوط الزلالية التى أثقلتها بعض الشىء الجزيئات الكلسية المذيبة والحادة التى التصقت بها وتدلّت فى نهاياتها ، قد بدأت تقطّر من ذلك الخليط المجبول قطرة ، قطرة ، نحو الأجزاء القريبة الأخرى من الحائط ، ونحو قاع النفايات الداكن المنخفض . وحين استطاعت فى آخر لحظة ، تصويب بيضتها بمهارة ، كان العصر قد شارف على الانتهاء ، وعلى الحائط راح يهبط ظلام بارد ، مختلطاً بنداء رفيقتها المستلقية : « سوزان ! سوزان ! هل انتهيت ؟ » فأجابت وهى تستدير استدارة كسولة مجهدة ، وتنظر مباشرة باتجاه سريرها الموازى لسرير الفتاة ، والورقة المطوية الملقاة فوقه : « نعم ، انتهيت ! » .

— ٢ —

تقف نفس الفتاة فى حضرة عصر شاحب بلون الرماد ، وراء نافذة احدى غرف الطابق العلوى من بيت أبيها الذى رحل عنها قبل سنوات عديدة . لم تكن النافذة ضيقة هذه المرّة ، ولم تكن تواجه حائطاً يحجب عنها رؤية أشياء العالم ، كما لم تكن تحطم اللحظة ، بيضات بنفسجية اللون ، تلتقطها من فناجين مدوّرة ، فلينية أو خزفية ، بتلك الحركة القلقة ، الشاقة ، المرتعبة ، وتلطم بها وجه حائط ممتد ومتطاول ، ينمىّ فى داخلها عزلة خانقة ورهيبة ، ويربّى قطيعه مرّة مع وجودها المزدحم بظلمة رحبة جبّارة وغير مفهومة ، تطير فى أرجائها أسراب خفافيش كريهة الوجوه ، وكريهة الطيران والصوت . لا تفكرّ الفتاة التى يبدو أنها تذبل الآن وتيأس أكثر من أى وقت مضى ، باختراق هذا الحائط الزجاجى المنتصب ، باندفاعة طائشة ومحمومة ، أو بدوار متراص وذائب فى الوقت نفسه ، وسقوطها السريع المبعثر فى قاعه ، بحيث تتهشم عظامها الرخوة الخاوية ، وتسيل خيوط دم رفيعة ودفاقة ، ترسم عند زوايا فمها المزموم المنفرج ، وعند ثقبى أنفها الأصيل ، زهرات دموية ساحرة .

الحائط الذى تقف إزاءه الفتاة الآن بنهالك ، والذى يكاد أن يلامس بخفة ونعومة ، طرف أنفها ، أو جبينها الأسمر العريض ، يشكّل النافذة الزجاجية الشبيهة بواجهات المحلات التجارية ، والتى تمتد ، مصقولة ، شفافة ، لامعة ، من أعلى جدار الغرفة الشرقى إلى نهايته السفلى ، ومن أقصى يمينه إلى أقصى شماله عند الركنين القائمين الزلقين .

النافذة ؛ راسخة ، ثابتة ، لا تفتح أو تغلق بالمرّة ، يتسرب عبرها بحرية بشعة وغير مقيدة ، ضوء الشمس الباهر ، أو عتمة الغروب الخفيفة ، يقطعهما طولياً ، لوح لمّاع من خشب الساج لمنع النافذة من التفكك أو التهشم أو الانفجار ، كما تؤطرها أربعة ألواح أخرى ، أعرض قليلاً ، ومشابهة للّوح الأول ، تنهافت عند أذيالها الكثير من خيوط الشمس اللاهبة ، وموجات الظلام ، وظلال الأشجار العالية التى تحاول الاندفاع نحو الداخل فتلطخ أشياء الغرفة بلطخات فاقعة .

من فوق لوح الساج العريض الذى يقع فوق رأس الفتاة تماماً ، والذى يتواصل بانشداد والتحام باهرين وغير مرئيين مع بقية الألواح الساجية الثلاثة التى تشكل مجتمعة إطار النافذة ؛ تهبط حتى سطح اللوح الأسفل ، بنفس خفة الظل أو الشعاع ، قطعتان مستطيلتان متساويتان من قماش التور الأبيض الشفاف ، تكونان بمثابة ستارة وهمية للنافذة المغلقة . لا تحجب هذه الستارة الشفافة شيئاً من أشياء الغرفة ؛ إنها قادرة فقط على أن تعكّر صفو النظرة الفضولية المتلصصة من الخارج ، من طابق أعلى أو عدسة منظار مقرّب .

وبفعل الضوء القوى الحاد ، المنبعث من مصباح على هيئة فرس ضامر ، يبدو فى ذروة هيجانه ، ذى صهيل عال وأذرع مقطوعة ، والمثبت وسط أحد جدران الغرفة ، كانت ألواح الساج العريضة الأربعة ، واللوح الآخر الأضيق نسبياً ، تلمع لمعاناً متواصلاً ، وتبرق بريقاً أخاذاً عبر ستارة التور المشبك الشفاف . كان يبدو أنها قد طليت حديثاً بالدهان ، وكان شعر الفتاة الأسمر المشدود إلى الخلف بشريط من الحرير ، وكذلك ملابسها السوداء الداكنة ، قد بدت جميعها مغبرة تماماً ، جرّاء لمعان الخشب ، والضوء الباهر المتموج الذى ينبع من فم الفرس المفتوح على سعته مختلطاً بصهيله الراعد .

ومن وراء هذا الحائط ، والستارة التى تهبط حتى منتصف ساق الفتاة ، تستطيع الفتاة أن تشرف بنظرتها الفاحصة ، على القمم العريضة لأشجار النارنج المنخفضة ، المغروسة فى حافات الحديقة الواسعة ، والتى تمتد حتى مقدم جدار السياج الخارجى الواطئ ، الذى يقطع امتداد هذه الأشجار المتفرقة ، المتباعدة ، بصورة مفاجئة ، وكذلك الزقاق الفرعى الضيق ، الخاوى هذه اللحظة ، بأسفلته الأسود ورصيفيه المرتفعين ، يلى ذلك مداخل وواجهات وسطوح البيوت التى تقابل نافذة الفتاة والتى تهجع مباشرة وراء فسحة الرصيف ، والمنسقة بحدائقها الأمامية وألوانها وتشكيلاتها ، تنسيقاً يسلب العقول ويشده الأفئدة .

الفتاة الواقفة لا تميز شيئاً من كل ذلك ، لا تميز سوى العتمة الخفيفة التى بدأت تهبط على الكتف الرخو للغروب الرمادى الشاحب ، فتزيد دموعها انهياراً فوق انهيار ، وأحزانها شلالاً فوق شلّال . كانت تبدو ، ذاهلة ، خرساء ، مفجوعة ، غير مصدقة ، وهى تقبض بأصابع طويلة مرتعشة ، لصق فخذها الأيسر المستدير ، عبر تنورتها السوداء ، بورقة مدعوكة دعكاً مريراً ويائساً وتردد فى الوقت ذاته بمرارة وبشكل موصول : « لقد ذهب هو الآخر ! لقد ذهب هو الآخر ! » .

استدارت الفتاة فجأة كأنها تذكرت شيئاً قد نسيته تماماً ، وربما تخيلت أنها قد سمعت صوتاً يأتى من بعيد ، وواجهت بنظرة صارمة ، سريرها ، ودولاب ملابسها ، ومرآة زينتها ، والحقيبة الجلدية الصغيرة المهيأة ، والمزروعة فى ركن الغرفة ، فنادت عليها جدتها من وراء الباب المغلق : « سوزان ! سوزان ! هل انتهيت ؟ » فردّت الفتاة بصوت بطىء ، ميت ، ومخنوق « نعم ، انتهيت ! » .

العراق ـ البصرة : فاروق السامر

سمير عبد ربه

قصة

الصندوق

(١)

كان الليل عذبا ورقيقا وضوء القمر يعكس أشعته فوق سطح النهر .. سيارات كثيرة كانت مليئة بالمتشوقين لنسمة هواء نقية .. مشبعة بالحزن كانت .. تحدوها الرغبة فى الغرق .. توقفت فجأة عند منتصف لكوبرى .. بين يديها المرتعشتين كانت تحتضن صندوقاً مطرزاً بأوراق لخريف مربوطا بإحكام بقطعة من القماش ذات ألوان ثلاثة :

أحمر ... أبيض ... أسود

رحت أدون وجهها فى مفكرتى فكان بلون البحر حينا ولون الشجر حينا آخر وثمة مزيج مدهش من الفرحة والألم كان يتساقط خلسة من بينها المتوقدتين .

ارتجفت عيناها كالستائر لماهب النسيم وقطار الليل كان عائدا محملاً لغبار والمتعبين .

« كان ياما كان بلبل صغير يحلق فى الفضاء دون كلل .. يغنى فى الأرض دون كلل .. وضعوه فى القفص .. أخرجوه من القفص .. ظل يحلق ويغنى دون كلل .. يغنى ويحلق دون كلل .. كبر البلبل فأصابه الملل .. فر البلبل بعيداً ثم تاه .. لكن قلبه قد تمزق من كثرة العلل »

ها أنت تعودين ومعك حزنك ! ؟

انتفضت كالقطة وهى تحتضن الصندوق .. استدارت بوجهها وهى بد : ساعات طويلة بطول النهر كنت أقضيها بعد أن ينام الأطفال نابلين كالعشاق أتأمل الشقوق فى قدميك .. أتأمل آلاف الأميال عبر موارع والحارات الضيقة .. ساعات طويلة لم أكن ألمح سوى السياط والدموع تتسرب من زوايا الشقوق .. أرهقتنى تلك الساعات الطويلة وأصابنى ذلك التأمل العميق بنوع غريب من العبث فسئمتك ومللت الشوارع والحارات .. كرهت السياط والدموع ثم .. ثم هربت بعيدا وتهت بعيدا فى شوارع النفط المضاءة ..

صمتت قليلا .. تنهدت ثم استطردت وهى تشير إلى أسفل :

أما زلت تعشق النهر ؟

قلت وأصابعى تتخلل خصلات شعرها الغجرى الأسود :

وهل نستطيع ألا نفعل !

كانت دموعها بلون النهر .. قلقة ومنهزمة وبرأسها تزدحم الأشياء وتتعانق فى غير محبة .. رحت أراوغها بعينين مجهدتين .. اندفعت من خلف ظهورنا سيارة ظلت تطلق نفيرا زاعقا فارتجفت النجوم .. كنت أداعبها فى فمها الصغير كحبه الرمان قائلا كمن يتوسل :

وهل نستطيع ألا نفعل ؟

هزت رأسها وهى تحبس دموعها غير أنها تساقطت غزيره من عينيها المفتوحتين عن آخرهما حتى لامست مياه النهر فامتزجا معا وتعانقا .. لون البحر ولون الشجر فى وجهها صارا متعانقين .. اغتسلت روحها ولم أجد سبيلاً إلى فهم ابتسامتها وهى تقول :

ليتنا نستطيع !

(٢)

يدّوى فى أذنى صفير القطار العائد وأحلم بسفينة كبيرة تتوغل بى بعيداً عبر بلاد لم تطأها قدماى بعد ..

تحدونى الرغبة فى تلبية النداء ومعايشة الحلم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣)

ثلاثة ألوان مظروزة بالحزن وأوراق الخريف أشارت إلى الأحمر قلت :

شتاء يناير القارس .. قهر .. سياط .

أشارت إلى الأبيض .

قلت : طراز فريد من العشق تحار فى تفسيره العقول .

تباطأت فى اتجاه الأسود

قلنا معا : عبث .. خيانة .. جنون .

تَشَاغلتُ بالطريق

تشاغَلْتُ بالنهر

تلاشَتْ فى الطريق

تلاَشَيْتُ فى الصندوق

- ماهذا الصندوق ذو الألوان الثلاثة ؟

- هو ماتشاء

- ماذا يحوى بداخله ؟

كانت تتفادى اصطداماً دون أدنى ارتعاشه

- بداخله من العشق الكثير ومن العبث الكثير .. بداخله عورتى وعورتك ويناير المؤلم الذى يعقبه فبراير الحزين .. لكننى أحب كل شىء بداخله حتى الجنون .

- وحتى الدموع ؟

قالت فى هدوء : وحتى الدموع

سحابة كبيرة بديعه كأنها لوحات « فان جوخ » كانت تتزامى أمامنا من نافذة السيارة ..

سحابة كبيرة بديعة مكسوة بالحزن والعبودية والوطن ... فى دهشة كنا ننظر إليها ...

شعرت فجأة بالاجهاد ولم أعد راغباً فى متابعتها ..

تحسست شفتيها الساحرتين ..

أغمضت عينى هامساً : وهل نستطيع ألا نفعل ؟

(٤)

سفينة تتثاءب وقطار ملعون مطارد يردد فى جنون : أحبك .. أحترق فيك .. ضمينى إلى صدرك الحنون أدارى عورتك وتدارين عورتى .. أحبك .. احترق بك .. هيا أقلعى عن السفر فإن شوارعنا أكثر إضاءة وخضراء قلوبنا مازالت ..

كنا قد وصلنا بالسيارة إلى زقاق ضيق مسدود ..

أغلقت باب السيارة مودعاً .. مالت برأسها نحو النافذة .. كانت كلماتها تخترق ظهرى العارى غداً مساء ستقلع الطائرة وسوف أبكى .. سيكون بكاء موحشاً كلما اختفت ملامح العبث والجنون لأنه دائماً لابد أن نبكى .. لابد أن نبكى .

- والصندوق ؟

- سوف ألقى به فى النهر ، ولا تخف فهو مربوط بإحكام . وفى يوم ما سيكون هناك عاشق ومقامر يقوم بنزهة على الشاطىء خوفاً من شىء ما ، وبينما يتأمل الشقوق فى قدميه سيجده ويحتضنه من جديد .

- هل سيحب ما بداخله ؟

- كل شىء .. كل شىء .. حتى الجنون

- وحتى الدموع ؟

انطلقت السيارة مرددة : وحتى الدموع .

(٥)

- ثلاثة ألوان مظروزة بالحزن وأوراق الخريف ترتطم بماء النهر فتحدث دويًا يتلاشى بجانبه صفير كل القطارات والسفن

يروعنى أزيز طائرة المساء ..

أتثاءب وحدى ..

أظل محدقاً فى الفضاء

دائماً ..

مبتسماً ...

رأس غارب ـ البحر الأحمر : سمير محمود عبدربه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترجمة : سوريال عبد الملك

من الأدب الهندى الحديث :

قصة النباتات الجائعة

بقلم : ساتياجيت راى

عندما دُقّ جرس الباب مرة أخرى .. صدر منّى صوت لا إرادىّ يدل على الضيق . كانت تلك هى المرة الرابعة التى يُدق فيها جرس الباب فى فترة ما بعد الظهر ، كيف يستطيع الإنسان إذن أن ينجز أى عمل ؟ ! و (كارتيك) أيضاً كان قد اختفى من البيت منذ وقت طويل زاعماً أنه ذاهب إلى السوق ، كان علىّ أن أتوقف عن الكتابة ، وعندما نهضت وفتحت الباب لم أكن أتوقع على الإطلاق أن أرى أمامى (كانتى بابو) .

- يا للمفاجأة ! تعال ! أدخل
- هل ما تزال تذكرنى ؟
- حقيقة .. كدت ألا أتعرف عليك !

وأخذته إلى الداخل . خلال هذه السنوات العشر كم تغيّر مظهره من يمكنه أن يصدق الآن أن هذا الرجل هو نفسه الذى كان عام ١٩٥٠ يقفز فى أرجاء غابة آسام بعَدَسَتِه المكَبِّرة ! كان يقترب من الخمسين عندما قابلته هناك فى الغابة ، لكنّ شعره كان خالياً تماماً من أية شعرة بيضاء ، حيويته وإقباله على الحياة فى تلك السّن كانا يضعان أىّ شاب فى موقف الدهشة والخجل .

قال وهو لا يزال واقفاً :

- ألاحظ أنك لا تزال مهتماً بنبات الأوركيد .

كان لدىّ شجيرة من هذا النبات فى إناء موضوع على إفريز النافذة ، نفس الشجيرة التى أهداها لى (كانتى بابو) بنفسه منذ زمن طويل ، وفى الحقيقة كنت قد فقدت اهتمامى بمثل هذا النبات .. لكن (كانتى) أيقظ فضولى مرة أخرى ، وبخاصة أنى فقدت اهتمامى أيضاً بمعظم ما كان لدىّ من هوايات ، ولم يعد يشغلنى ويمتص كلّ فكرى وطاقتى إلا الكتابة ، لقد تغيّر الزمن ! أصبح ممكناً أن أعيش على الدخل الذى تدرّه كتبى الثلاثة ، ولا أزال احتفظ بوظيفتى فى الحكومة ، لكنى أتمنى أن يجىء وقت أصبح فيه قادراً على التفرغ التام للكتابة .. مع استراحات قليلة أستغلّها فى السفر والسياحة .

عندما جلس (كانتى بابو) لاحظت فجأة أنه يرتجف .

- هل تشعر بالبرد ؟ دعنى إذن أغلق النافذة ، إن الشتاء هذا العام فى كلكتا ....

قاطعنى قائلاً :

- لا ، لا ، إنى أتعرض لهذه الرعشة أحياناً ، وكما تعلم التقدم فى السّن يؤثر فى الأعصاب .

كان هناك أشياء كثيرة أودّ أن أسأله عنها ، وكان (كارتيك) قد عاد من الخارج فطلبت منه أن يعد لنا الشاى ، قال كانتى بابو :

- لن أمكث معك طويلاً ، تصادف أن رأيت إحدى رواياتك مع الباعة .. فذهبت إلى الناشر الذى أعطانى عنوانك ، وعلىّ أن أخبرك بأنى جئت إلى هنا لغرض ما !
- أية خدمة يمكننى أن أؤديها لك ؟ ولكن قل لى .. متى عدت ؟ وأين كنت ؟ وأين تعيش الآن ؟ إن هناك الكثير الذى أود أن أعرفه ..
- عدت منذ عامين ، كنت فى أمريكا ، وأعيش الآن فى (باراسات)
- بارا سات ؟
- اشتريت بيتاً هناك
- بيتاً بحديقة ؟
- نعم
- وفى الحديقة غرفة زجاجية لتربية النبات ؟

كان فى حديقة بيته القديم غرفة زجاجية رائعة لنباتاته النادرة ، يا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للمجموعة الخيالية من النباتات الغريبة التى كان يملكها بابو حينذاك ! ! نحو ستين نوعاً من نبات الأوركيد وحده ، كان الإنسان يستطيع بسهولة أن يقضى يوماً بكامله فى استعراض زهور تلك النباتات ..

تفحَّصنى قليلاً فى صمت قبل أن يجيب :

- نعم ، هناك غرفة زجاجية للنباتات
- إذن فأنت لا تزال مهتماً بالنبات ؟
- نعم

وراح يحدق فى الحائط الشمالى للغرفة ، نظرت فى نفس الاتجاه ، كان هناك جلد كامل لنمر بنجالىّ ضخم معلقاً على الحائط .. بما فيه جلد الرأس .

سألت كانتى .

- أما تزال تميّزه ؟
- إنه هو نفسه .. أليس كذلك ؟
- إنه هو ، انظر إلى ذلك الثقب المجاور للأذن !
- لقد كنتَ صياداً ماهراً ، هل لا تزال كذلك ؟
- لست أدرى ، لم أختبر نفسى منذ وقت طويل ، لقد هجرت الصيد منذ نحو سبع سنوات
- ولكن .. لماذا ؟
- لقد اصطدت بما فيه الكفاية .. لم أعد أرغب فى قتل الحيوانات .
- هل عدتَ نباتياً لا تأكل اللحوم ؟
- لا
- إذن ما السبب ؟ هل الصيد لا يعنى إلا القتل ؟ إنك تصطاد نمراً أو تمساحاً .. أو جاموسة برّية .. فتحصل على الجلد .. أو تغنَم الرأس .. أو ترصّع القرون بالأحجار الكريمة وتزيّن بها جدران بيتك ! إن هناك كثيرين معجبون بك !
- وهناك من يقشعر عندما يرى تذكارات الصيد هذه !
- بالنسبة لك هذا الجلد المعلق يذكرك بشبابك المغامر ، ثم ... ماذا يحدث عندما تأكل عنزتك أو دجاجتك ؟ إنك لا تقتلها فقط .. بل تمضغها فى فمك ثم تهضمها فى معدتك ، هل هذا فى رأيك أفضل من القتل ؟

لم يكن لدىَّ إجابة ما ، وجاءنا (كارتيك) بالشاى ظل كانتى بابو صامتاً لحظات .. وقبل أن يمد يده إلى كوب الشاى ارتجف مرة أخرى . ثم ارتشف أول رشفة وقال :

- إن قانون الطبيعة الأساسى يقضى بأنه على الكائن الحى أن يأكل كائناً حيّاً آخر .. ثم يؤكل بواسطة كائن حى ثالث ، انظر إلى تلك السحليّة التى تنتظر هناك فى صبر !

كان هناك فوق نتيجة الحائط مباشرة سحلية ثابتة النظرات على فراشة نظرنا سويّاً إلى السحلية ، كانت ملتصقة بالحائط دون أية حركة ، ثم بدأت تتقدم بحركات بطيئة حذرة ، ثم بانقضاضة واحدة أمسكت بالفراشة ، علّق كانتى بابو قائلاً :

- حسناً فعلتْ ، هكذا حصلتْ على عشائها ، الطعام ! الطعام هو الاهتمام الأول فى الحياة ، الأسود تأكل البشر ، والبشر يأكلون الماعز ، وماذا تأكل الماعز ؟ إذا بدأت تتأمل فى هذا فسيبدو لك الأمر هجيّاً وبدائياً ، لكن هذا هو القانون الذى ليس منه مهرب ، إن الخليقة سوف تتوقف لو توقفت هذه العملية .

خاطرت بالقول :

- بالتأكيد سوف يكون أفضل أن أصبح نباتيّاً
- من يقول هذا ؟ هل تظن أن النباتات والخضروات ليست من الكائنات الحيّة ؟
- بالطبع هى كائنات حيَّة ، إنى دائماً أدرك هذا ، لكنّ النباتات ليس لها نفس النوع من الحياة .. أليس كذلك ؟ لا يمكن أن تكون النباتات والحيوانات أحياء مثلنا .
- هل تعتقد أنها مختلفة تماماً ؟
- أليست كذلك ؟ انظر إلى اختلافاتها عن البشر إن الأشجار لا تستطيع أن تمشى .. ولا تستطيع أن تعبر عن مشاعرها ، ليس لديها وسيلة تخبرنا بها بأنها تشعر ، ألا توافقنى ؟

نظر كانتى بابو إلىَّ كَمَنْ يوشك أن يقول شيئاً لكنه لم يفعل انتهى من شرب الشاى وظل بعض الوقت مطرقاً ساكناً ، ثم رفع بصره إلى .. قلقه وتحديقه المسحور فىّ جعلنى أشعر بالخوف من خطر غامض ، لَكَمْ تغيَّر منظره وأخيراً بدأ يتكلم ببطء شديد :

- باريمال ! إنى أسكن بعيداً عن هنا بواحد وعشرين ميلاً ، ورغم بلوغى الثامنة والخمسين تحملت السير إلى شارع (كوليدج) لكى أعرف عنوانك من ناشر كتبك والآن . ها أنا هنا ، أرجو أن تثق فى أنى لم أكن لأبذل كل هذا الجهد دون سبب هام ، هل تثق فيما أقول ؟ أم أن هذه الروايات سخيفة أفقدتك فطنتك ؟ ربما تفكر الآن فى أن تجعلنى نموذجاً مشرقاً تستطيع أن تستخدمه فى قصة ! !

أحسست بالخجل لم يكن (كانتى بابو) مخطئاً تماماً ، فإنى فى الواقع كنت أتسلى بالتفكير فى استخدامه كشخصية فى رواية .

- إذا لم تكن قادراً على ربط كتاباتك بالحياة يا باريمال .. فإن كتبك ستظل أشياء سطحية وتافهة ، يجب ألا تنسى أنه مهما كان خيالك جامحاً فإنه لن يكون أغرب من الحقيقة . وعلى أية حال فإنى لم آت إلى هنا لألقى موعظة ، لكنى أتيت لأطلب معونتك .

دهشت ، أية معونة يريدها منى ؟

- أما تزال تحتفظ ببندقيتك ؟ أم تخلصت منها ؟

حيرنى سؤاله .. فيم يفكر ؟

- لا أزال أحتفظ بها ، لكنها لابد قد صدئت لماذا تسأل ؟
- هل يمكن أن تأتى غداً إلى بيتى ومعك البندقية ؟

دققتُ النظر إلى وجهه ، لم يبدُ عليه أنه يمزح ، أضاف .

- وخراطيش الطلقات بالطبع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم أعرف ماذا أقول ، هل أصابه مسّ ؟ لكن حديثه لم يكن يشي بذلك .. كان دائماً غريب الأطوار ، وإلا لما غامر بحياته فى الأدغال باحثاً عن نباتات غريبة قلت :

- لست أفهم لماذا أذهب إلى بيتك ومعى البندقية ، هل هناك حيوانات متوحشة ؟ أم هناك لصوص فى المنطقة ؟

- عندما تأتى سأحكى لك كل شيء قد لا تحتاج إلى البندقية ، وحتى إذا احتجت إليها .. فإنى أعد بألا أشركك فى أى تصرف يعاقب عليه القانون .

ونهض (كانتى بابو) لينصرف ، وواضعاً يده على كتفى أضاف .

- لقد أتيت إليك يا باريمال لأنى عرفتك مثلى محباً للمغامرة ، لم يكن لدىَّ الكثير لأقوم به فى المجتمع البشرى ، والآن تقلصت علاقتى أكثر بهذا المجتمع ، ومن بين أصدقائى القليلين ومعارفى لست أعرف من لديه مواهبك .

- إن هِزَّة المخاطرة التى تعودتُ الشعور بها فى عروقى .. تبدو الآن كأنها تعود ، صف لى كيف أذهب إلى بيتك ، ومتى ؟ وأين ...

قاطعنى قائلاً :

- سوف أخبرك بكل شيء ، اتخذْ طريق (جيسّور) حتى تصل إلى محطة (باراسات) ، وهناك سوف يدلّك أى شخص على بحيرة (مادهو مورالى) ، إنها تبعد عن المحطة بأربعة أميال ، وبالقرب من البحيرة ستجد فى الخلاء بيتاً يملكه أحد الزراع الذين يزرعون نبات النِّيلة ، والبيت الذى يلى هذا البيت هو بيتى ، هل لديك سيارة ؟

- لا ، لكنّ لى صديقاً لديه سيارة

- من هذا الصديق ؟

- أَبْهِيجِيتْ ، كان زميلى فى الكلية

- أى نوع من الناس هو ؟ هل أعرفه ؟

- على الأرجح لا ، إنه شاب ظريف ، أعنى أنه يمكن أن يكون عند حسن ظنك .

- حسناً ، إذن تعالياً فى أى وقت ، لست فى حاجة إلى القول بأن الأمر هام وعاجل ، حاول أن يكون حضوركما قبل غروب الشمس بوقت كافٍ .

ليس لدىَّ تليفون فى منزلى ، سرتُ إلى ناصية الشارع واتصلتُ بأبهيجيت من مخزن الأدوية الحكومى ، قلت له :

- تعال فوراً ، لدىَّ أمر هام جداً لابد أن أخبرك به .

- أعرف ، تريدنى أن أستمع إلى قصتك الجديدة ، لكنى أخشى أن يغلبنى النوم عندك مرة أخرى .

- .ليس الأمر كذلك ، إنه شيء مختلف تماماً .

- ما هو ؟ لماذا لا تتكلم ؟

- هناك كلب كبير قوى .. والرجل جالس فى بيتى .

كان مستحيلاً أن أثير أبهيجيت إلا إذا أغريته بكلب ، إن فى بيته حظيرة بها أحد عشر نوعاً من الكلاب تنتمى إلى خمس قارات ، ثلاث منها حاصلة على جوائز منذ خمس سنوات فقط لم يكن أبهيجيت مجنوناً هكذا باقتناء الكلاب ، أما الآن فلم يعد يفكر أو يتكلم عن شيء سواها ، وفيما عدا حبِّه للكلاب فإنه يتمتع بصفة ممتازة .. هى ثقته الكاملة فى أفكارى وقدرتى على الخلق الأدبى .. عندما لم يقبل أى ناشر أن ينشر روايتى الأولى تحمل أبهيجيت تكاليف نشرها وهو يردد .

- أنا لا أفهم هذه الأشياء ، لكنك كتبتها ، ولذلك لا يمكن أن تكون كلها كلاماً فارغاً ، إن هؤلاء الناشرين بالتأكيد حمقى .

ولقد بيع من روايتى الأولى عدد لا بأس به من النسخ ، مما جلب لى بعض الشهرة ، بالإضافة إلى ثقة أبهيجيت فيما أكتب ، وعندما اكتشف أن حكاية الكلب ليست صحيحة تلقيت منه ما أستحقُّ من اللوم ، لكنى لم أهتم بذلك لأنه فى النهاية وافق على اقتراحى قائلاً :

- دعنا نذهب ، نحن لم نتنزَّه منذ فترة طويلة ، كانت آخر نزهة لنا هى رحلة الصيد الحمقاء فى مستنقعات (سوناربور) ولكن من هو الرجل ؟ وما حكايته ؟ لماذا لا تعطينى تفاصيل أكثر ؟

- إنه لم يعطنى تفصيلات أكثر من هذا ، وأنا أفضل أن يكون هناك بعض الغموض ، إن هذا يعطينا فرصة لتدريب الخيال .

- على الأقل احكِ لى شيئاً عن الرجل

- اسمه (كانتى تشاران تشاترجى بابو) هل يعنى هذا الاسم شيئاً عندك ؟ فى وقت ما كان أستاذاً لعلم النبات بكلية الكنيسة الاسكتلنديّة ، ثم ترك التدريس ليطوف بالعالم ويجمع عيّنات من النباتات النادرة ، وقد أجرى كثيراً من الأبحاث فى تخصصه ونشر بعضها ، وهو يملك مجموعة رائعة من النباتات .. وخاصة نبات (الأوركيد) .

- كيف قابلته ؟

- التقينا لأول مرة فى غابة (كازيرانجا) بولاية آسام ، كنتُ قد ذهبت إلى هناك آملاً أن أصطاد نمراً ، وكان هو يبحث عن الـ (نِيبِنْثْ)

- يبحث عن ماذا ؟

- الـ (نيبنث) ، هذا هو اسمه فى علم النبات ، أما أنا فأستطيع أن أسميه نبات (الجرَّة) لأن شكله العام يشبه الجرّة ، وأستطيع أيضاً أن أسميه (الصيَّاد) ، إنه ينمو فى غابات آسام ويعيش على اصطياد الحشرات ، أنا لم أره بنفسى ، لكن كانتى بابو قال لى هذا .

- اكل حشرات ؟ ! نبات ويأكل الحشرت ؟

- أنا أعرف أنك لم تقرأ شيئاً فى علم النبات .

- نعم

حسناً ، إذن عليك ألا تكذّب ما أقول ، وبإمكانك أن ترى صور هذا النبات فى المراجع .

- حسناً ، استمر ، ثم ماذا ؟

- ليس لدىَّ أكثر من هذا ، فى ذلك اليوم اصطدتُ نمرى من الغابة وعدت ، وظل هو هناك ، كنت أحسّ بالرعب من أن ثعباناً قد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يلدغه أو .. قد يهاجمه حيوان مفترس ، ولم نلتق بعد ذلك سوى مرتين بعد أن عاد إلى كلكتا ، لكنى كنت أفكر فيه كثيراً ، ذلك لأننى ظللت فترة بعد ذلك متعلقاً بنبات الأوركيد ، وقد أحضر لى معه بعض أنواع منه من أميريكا .

- إذن فهو قد سافر إلى أميريكا ؟ !

- نعم ، كان قد نُشر له بحث فى مجلة علمية أجنبيّة ، وبسبب هذا البحث أصبح مشهوراً .. ودُعى إلى مؤتمر هناك لعلماء النبات ، كان ذلك حوالى عام ١٩٥٢ ، ومنذ عودته من ذلك المؤتمر لم أره إلا اليوم .

- وماذا كان يعمل كل هذه السنين ؟

- حتى الآن لست أعرف ، أتمنى أن أعرف غدا

- هذا الرجل ليس مخبولاً .. أليس كذلك ؟

- ليس أكثر منك على أية حال ، أنت بكلابك لستَ أفضل منه بنباتاته .

وانطلقنا بالسيارة نحو محطة (باراسات) ، كان معنا مخلوق ثالث هو كلب أبهيجيت الذى يدعوه (بادشاه) ، كانت غلطتى ، كنت أستطيع بشكل ما أن أمنع أبهيجيت من اصطحاب أحد كلابه فى تلك الرحلة القصيرة .

كان (بادشاه) كلباً من كلاب المطاردة ، من تلك الكلاب القوية الضخمة الحمراء الداكنة التى تباع فى مدينة (رامبور) ، احتل الكلب المقعد الخلفى بأكمله .. وأطل بوجهه من النافذة ، كان يبدو مبهوراً بالامتداد الواسع لحقول الأرز الخضراء ، وكثيراً ، كان يرمق كلاب القرى التى نمر بها وهو يزفر زفرات مشوبة بالازدراء لتلك الكلاب التى تمشى على أقدامها متصعلكة هنا وهناك ، وعندما أُلمح إلى أن وجود (بادشاه) معنا لم يكن له ضرورة .. رد أبهيجيت الإهانة قائلا :

- لقد أحضرته معنا لأنى لا أثق كثيراً فى تصويبك بالبندقية ، إنك لم تحمل بندقية منذ سنوات ، فإذا تعرضنا لخطر ما فسوف يكون (بادشاه) أكثر فائدة منك ، أنت تعرف أن حاسة الشم لديه غير عادية .. وتعرف أيضاً كم هو شجاع ! !

ولم نجد صعوبة فى العثور على بيت (كانتى بابو) ، وصلنا إلى هناك فى حوالى الثانية والنصف بعد الظهر ، وبعد أن عبرنا البوابة وجدنا طريقاً ممهداً للعربات عبر الحديقة إلى البيت ، وخلف البيت كانت هناك فى الحديقة شجرة ذات أغصان هائلة وجافة ، تتقدمها مظلة من الصفيح تشبه هياكل المصانع ..

كانت المظلة مائلة إلى الطول بحذاء الطريق الممهد الذى يمتد أيضاً فى الحديقة إلى ما وراء البيت ... وبداخل المظلة كان هناك عدد من الصناديق الزجاجية اللامعة موضوعة فى صف واحد .

رحّب بنا (كانتى بابو) .. لكنه تجهم قليلاً لمرأى بادشاه) ، سألنا .

- هل هذا الكلب مدرَّب ؟

أجابه أبهيجيت .

- إنه يطيعنى .. ولكن .. إذا اقتربتْ منه كلاب غير مدرَّبة .. فلست أستطيع أن أحكى لك عما سيفعله ، هل لديك هنا كلاب ؟

- لا ، ولكنى أرجوك أن تقيده فى هذه النافذة داخل غرفة الجلوس .

نظر أبهيجيت إلىَّ نظرة جانبيَّة وغمز لى بعينه ، ومع ذلك فقد نفَّذ ما طلب منه ، فى البداية سجَّل (بادشاه) اعتراضاً رقيقاً على تقييده فى قضبان النافذة .. لكنه بعد ذلك بدا كأنه قبل الوضع واستكان .

جلسنا فى الشرفة المكشوفة الواسعة على مقاعد من الخيزران ، وحكى لنا (كانتى بابو) أن خادمه (برايا ج) قد أصيب بجرح فى يده اليمنى ، ولذلك فقد قام بنفسه بإعداد الشاى لنا من قبل . وحفظه فى (زمزمَّية) لا تتسرب منها الحرارة ، وقال إنه بإمكاننا أن نطلب الشاى كلما أردنا .

لم أستطيع أن أتخيل أى خطر مجهول يمكن أن يكون متربِّصاً بنا فى مثل ذلك المكان الآمن ، ولأن الهدوء كان مخيماً إلا من تغريد الطيور .. فقد اتهمت نفسى بالغباء إذ جئت حاملاً بندقيتى ، وعند ذلك أنزلت البندقية من على كتفى وأسندتها إلى الحائط .

كان (أبهيجيت) واحداً من رجال الحَضَر الذين لا يحبّون الجلوس فى هدوء .. أولئك الذين لا يتأثرون بجمال الريف .. ولا بأغانى الطيور حتى التى لم يروها من قبل فى المدينة ولا يعرفون أسماءها ، ولذلك فقد ظل يتململ فوق مقعده ثم تكلم فجأة :

- سمعت من (باريمال) أن نمراً كاد يقتلك فى غابة آسام عندما كنت تبحث عن النباتات الغريبة ! !

كان من عادات (أبهى) وَلَعُه بالمبالغة لإضفاء شىء من الدراما على حديثه ، وكنت أخشى أن يسىء بذلك إلى (كانتى بابو) ، لكن (كانتى) ابتسم فقط وقال .

- بالنسبة لك فإن الخطر فى الغابة يتمثل فقط فى النمر .. أليس كذلك ؟ ومعظم الناس أيضاً يفكرون كذلك ، لكننى لم أقابل هناك نمراً ولا أسداً ، ذات مرة فقط عضَّتنى دودة فى الغابة ، لكن ذلك شىء بالطبع لا يستحق الذكر .

قال (أبهى) :

- وحصلتَ على النبات ؟

- أى نبات ؟

- النَّبات الصياد .. أو النبات الخزَّان .. أو كيفما كان الاسم الذى تطلقه عليه .

- أوه ! ! أنت تعنى الـ (نيبنث) ؟ نعم وجدته ، ولا أزال أحتفظ به ، سوف أريك إياه ، لكنى فقدت اهتمامى بكل النباتات ماعدا آكلة اللحوم ، حتى نباتات الأوركيد تخلصت من معظمها .

قال هذا ونهض فغاب عنا داخل البيت ، نظر كل منّا إلى الآخر ، نباتات تأكل اللحوم ؟ ! تذكرت بشكل غامض صفحة من مرجع علم النبات فى الكلية ... وصوراً قليلة رأيتها فى ذلك المرجع منذ خمسة عشر عاماً ....

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعاد (كانتى) بقارورة مملوءة بالحشرات التى تعيش عادة بين الحشائش .. كان من بينها خنافس وحشرات أخرى بأحجام مختارة ، وكانت سدادة القارورة مُثَقَّبة ثقوباً تشبه الثقوب التى فى غطاء الملاَّحة ، وقال (كانتى) كأنه يذيع نبأً خطيراً :

- لكى لا نضيع الوقت ... هيّا بنا

وتقدَّمَنا نحو مظلة الصفيح ، كان بكل صندوق زجاجى داخل المظلة نبات من نوع غريب لم أره من قبل ، قال كانتى .

- هذه النباتات ليست موجودة فى بلادنا .. ماعدا الـ (نيبنث) ، أحد هذه النباتات من نيبال ، وهذا من أفريقيا ، والنباتات الأخرى جئت بها من أميريكا الوسطى .

أراد (أبهى) أن يعرف كيف ظلت هذه النباتات حيَّة فى تربة بلادنا ، فأجابه بابو :

- ليس لهذه النباتات أية علاقة بالتربة .
- كيف ؟
- هى لا تحصل على غذائها من التربة ، هى مثل الكائنات الآدميّة تماماً ... تحصل على طعامها من خارج التربة ، ويمكنها ببساطة أن تبقى على قيد الحياة فى أى مكان من العالم بالاعتماد على نفسها ، وهى تنمو نمواً هائلاً طالما حصلت على غذائها الصحيح .

وتوقف (كانتى بابو) بالقرب من أحد الصناديق الزجاجية ، كان بداخل الصندوق نبات غريب ذو أوراق خضراء .. طول الورقة نحو بوصتين ذات حواف بيضاء مسنَّنة أشبه ما تكون بالأسنان ، والصندوق ذو باب مستدير بنفس حجم فوهة القارورة التى يحملها (كانتى) ...

بحركات سريعة جداً .. فتح كانتى باب الصندوق .. ونزع غطاء القارورة .. ودفع بفوهتها فى باب الصندوق فسَدَّته تماماً ... حدث هذا كله فى لحظات قليلة خاطفة ، وعلى الفور خرجت حشرة من القارورة إلى الفضاء الداخلى للصندوق ، رفَّت الحشرة قليلاً ثم استقرت فوق إحدى الأوراق ، وفى نفس اللحظة انطوت الورقة انطواءً ذاتياً من الوسط وأخفت الحشرة فى أخدود ضيّق ، ثم اشرأبت أسنان الحواف وتقاربت حتى تداخلت فى بعضها بإحكام .. بحيث لم يعد للحشرة فرصة للهرب من ذلك الأسْر .

لم أر فى حياتى فخاً محكماً مثل ذلك الفخ ، عند ذلك بدت لى الطبيعة غريبة ومخيفة إلى أقصى الحدود ، سأل (أبهى) بصوت مضطرب :

- هل هناك يقين بأن الحشرة سوف تستقر دائماً على ورقة النبات ؟
- أجاب (كانتى بابو) .
- بالتأكيد ، فهذه النباتات تبعث برائحة تجذب إليها الحشرات وهذا النوع من النبات يسمى (مصيدة الغذاء الطائر) ، وقد جىء به من أميريكا الوسطى ، وهو مدوّن فى كل مراجع علم النبات .

راقبت الحشرة مسحوراً ، فى البداية قاومتْ الالتفاف بها مقاومة قليلة ، لكنها الآن أصبحت فاترة الهمة ، وتزايد ضغط الورقة فوقها بحيث لم تعد الورقة أقل افتراساً من السحلية ، قال (أبهى) وهو يغتصب ابتسامة .

- لن تكون فكرة سيئة أن يحتفظ الإنسان بنبات مثل هذا فى بيته ، إنها طريقة سهلة للتخلص من الحشرات والهوام ، لن نحتاج بعد ذلك إلى مسحوق الـ (دى . دى . تى) لقتل الصراصير .

قال (كانتى بابو) :

- لا ، إن هذا النبات لن يقوم بعمل الـ (دى . دى . تى) لأنه لا يقوى على هضم الصراصير ، والسبب فى ذلك هو أن أوراقه صغيرة جداً .

وخطا كانتى نحو الصندوق الزجاجى الثانى فتبعناه ، كان بداخل الصندوق نبات ذو أوراق طويلة تشبه أوراق السَّوْسَن ، ومن طرف كل ورقة يتدلى شىء يشبه الكيس ، وقد تعرفت على النبات بسرعة لأنى كنت قد رأيت صوراً له منذ سنوات فى المراجع ، وبدأ (كانتى بابو) يشرح لنا .

- هذا هو نبات الـ (نيبنث) ، أو النبات (الخَطَّاف) ، وهو نبات ذو شهية أكبر ، فى البداية عندما حصلت عليه .. وجدت بقايا طائر صغير داخل أحد هذه الأكياس .

صرخ (أبهى) وهو يرتعد .

- أيتها السماوات الطيبة !! وعلامَ يعيش هذا النبات الآن ؟ !

وتغيَّرت حالة (أبهى) إلى رعب عندما قال كانتى :

- صراصير .. فراشات .. زواحف ، ذات مرة أمسكتُ بفأر فى المصيدة .. وحاولت أن أطعم به النبات فلم يتقبله .. وبدا عليه أنه لا يعى ما أريد ، وعلى أية حال فإن هذا النبات شره جداً .. ويمكن أن يُهلك نفسه لأنه لا يدرك الحد الطبيعى للشبع .

وأخذنا نتحرك من قفص زجاجىّ إلى آخر مع الذهول المتزايد ، من الصور التى رأيتها قديماً فى المراجع تعرفت على بعض أنواع من نباتات (كانتى بابو) ، لكن معظمها كان غريباً علىّ تماماً ولا يُصدَّق أنه حقيقة ، كان هناك نحو عشرين نوعاً مختلفاً من النباتات آكلة اللحوم ، من هذه الأنواع ما لا يوجد لدى أىّ هاوٍ أو عالم آخر فى العالم كما قال (كانتى) ، وكان أكثرها ترويعاً هو ذلك النوع المسمى (حشيشة الندى) ، كانت هناك قطرات ماء متلألئة بين نسيج أوراقها الذى يشبه الوبر ، أخذ (كانتى) قطعة لحم صغيرة فى حجم بذرة الحبَّهان .. وربطها فى طرف خيط ، وعندما دلّى الخيط حتى لامس الورقة .. استطعنا بالعين المجرَّدة أن نرى الشعر الوبرىّ الذى يغطى الورقة وهو يشبّ من مكانه فى ثورة نهمة نحو قطعة اللحم ، سحب (كانتى) الخيط .. وأخذ يشرح لنا كيف أنه لو دلّى الخيط أكثر من ذلك لكانت الورقة قد خطفت قطعة اللحم .. تماماً مثلما تفعل مصيدة الذباب ، وبعد أن تعتصر كل ما بقطعة اللحم من غذاء فإنها تقذف بالبقايا بعيداً ، وأضاف كانتى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- بلا أى اختلاف عن الطريقة التى نتناول بها الطعام أنا وأنت ، ما قولك فى هذا ؟

وخرجنا من الحظيرة الصاج إلى الحديقة ، كانت ظلال الشجرة الهائلة الجافة قد استطالت فوق الحشائش فالساعة بلغت الرابعة ، استطرد كانتى بابو قائلاً :

- معظم هذه النباتات كُتب عنها ، لكن أغرب نوع فى مجموعتى لن يُدَوَّن فى أى مكان من العالم ما لم أكتب أنا عنه ، ذلك النوع هو الذى يجب أن يراه كلّ منكما الآن ، وعند ذلك ستعرفان لماذا طلبت حضوركما اليوم ، تعال يا باريمال .. تعال يا أبيهجيت .

وتبعناه نحو المظلة الصاج الأخرى التى تشبه المصنع ، كان بابها الحديدى المغلق نافذتان بكل جانب ، دفع كانتى باب إحدى هذه النوافذ ففتحها ثم راح يحدق عبرها فى الداخل ، طلب منا أن نقترب وننظر ، اقتربنا ، انحنينا فوق النافذة ...

كان فى جدار المظلة الغربى كوَّتان عاليتان قريبتان من السقف ، وعبر زجاج الكوّتين تسلل بعض الضوء فأضاء المكان إضاءة محدودة ، استطعنا أن نرى ما بداخل المظلة .. لكنه لم يكن يشبه أى نبات على الإطلاق ، بل يشبه حيواناً مغطى بأسلاك متعددة السُّمك والطول ، ببطء .. استطعنا أن نميِّز جذع الشجرة .. كان ارتفاعه نحو عشرة أقدام ، ومن تحت قمة الجذع بنحو قدم واحد التفَّت الأسلاك النباتيّة بالساق مثل حيَّات دسمة استطعتُ أن أعدّ منها سبعاً ، كان الساق يبدو شاحباً وناعماً .. ومصاباً بعديد من بقع حمراء داكنة ، والأسلاك النباتية الثعبانية ليِّنة وميِّتة .. لكنَّ رجفة عاتية مرتْ فى أوصالى بمجرد رؤيتها ، وعندما تعودت عيوننا على ذلك الضوء الخافت لاحظنا شيئاً آخر ، كانت أرضية المكان مفروشة بالرِّيش .

لا أدرى كم وقفنا هكذا فى سكون ذاهل .. إلى أن تكلم كانتى :

- الشجرة الآن نائمة ، وهى فى مثل هذا الوقت غالباً تستيقظ .

سأل (أبهى) بنبرة متشككّة :

- إنها ليست شجرة حقيقية ... أليس كذلك ؟

- مادامت تنبت من الأرض .. فبأى اسم آخر يمكن أن نسمِّيَها ؟ ومع أننى يجب أن أعترف بأن سلوكها لا يشبه كثيراً تصرّف الأشجار .. فليس هناك اسم خاص بها فى القاموس .

- ماذا تسميها أنتَ إذن ؟ !

- (سِبْتوبَسْ) ، ويمكنك أن تسمِّيها بلغة البنجال (سِبْتاباش) ، و(سبتا) تعنى الرقم سبعة .. و(باش) تعنى عقدة ، ويمكنك أيضاً أن تسمِّيها (ناج باش) ، ولعلك تعلم أن (ناج) فى لغة البنجالى تعنى ثعبان !!

وعندما عدنا فى اتجاه البيت سألته :

- من أين جئت بهذه العيِّنة من الأشجار ؟

- من غابة كثيفة بالقرب من (نيكاراجوا) فى أميريكا الوسطى .

- هل بحثتَ عنها كثيراً هناك ؟

- كنت قد علمت أنها تنمو فى تلك المنطقة ، لعلك لم تسمع عن البروفيسور (دولكان) !! كان واحداً من الرواد العظام فى علم النبات .. وفقد حياته وهو يبحث عن النباتات النادرة فى أميريكا الوسطى ، لم يعثر أحد على جسده حتى الآن ، كما لم يعرف أحد بالتحديد كيف مات ، لكنَّ آخر ما دوَّنه فى مفكرته اليومية هو تعريف بهذا النبات ، ولذلك انتهزت أول فرصة للسفر إلى نيكاراجوا ، وقبل أن أصلها .. وابتداءً من جواتيمالا فصاعداً بدأت أسمع السكان المحليين يتحدثون عن هذا النبات ، كانوا يطلقون عليه اسم (شجرة الشيطان) ، بعد ذلك عثرت على عدد قليل من هذه النباتات .. ورأيتها بعينىَّ تأكل النسانيس والقردة ، وبعد جولات بحث طويلة ... وجدت منه شجيرات صغيرة بالقدر الكافى الذى أغرانى بأن آخذه معى ، انظركم بلغ من النموّ فى عامين اثنين !! وماذا يأكل الآن ؟

- أى شىء أقدمه له ، أحياناً أصطاد له الفئران بالمصيدة ، وقد طلبت من خادمى (برايا ج) أن يبحث عن الكلاب والقطط التى تدهسها السيارات فى الشوارع ويحضرها لإطعام النبات ، وقد جاء فعلاً بعديد من تلك الحيوانات فابتلعها النبات وهضمها ، وكثيراً ما أطعمته لحماً مثل الذى نأكله أنا وأنت .. دجاج وماعز ، لكن شهيّته فى الفترة الأخيرة تعاظمت ، لم أعد استطيع تلبية طلباته أكثر من هذا ، إنه عندما يستيقظ فى مثل هذا الوقت من النهار يكون فى حالة هياج وقلق ، بالأمس كادت أن تقع كارثة ، كان (برايا ج) قد دخل إلى غرفة النبات ليقدم له الدجاج ، وهو يتلقى طعامه بنفس أسلوب الفيل ، فى البداية .. وعند قمة الساق .. يُفتح غطاء بواسطة سلك نباتى واحد .. سلك واحد يضطرب بالحركة والحياة فى نفس لحظة تقديم الطعام .. وينسحب من حول الساق .. يرتفع إلى قمة النبات .. يدفع الغطاء فيفتحه ... تظهر الفتحة .. يتلقى السلك الطعام ويضعه فى الفتحة ، فيهدأ النبات ، أما إذا عاد يحرّك أسلاكه مرة أخرى فهذا يعنى أنه مازال جائعاً ....

حتى الأمس كان يكتفى بعنزة صغيرة كل يوم أو بدجاجتين ، ثم حدث تغير خطير ، بعد أن قدم له (برايا ج) الدجاجة الثانية وخرج ، سمع صوت خشخشة الأسلاك فعاد ليرى ماذا حدث ، كنتُ فى حجرتى أدوّن مذكراتى العلمية اليومية ، سمعتُ صرخة مفاجئة .. اندفعت إلى هناك ليفاجئنى المنظر المروِّع ، كان واحد من الأسلاك الثعبانيّة ممسكاً بيد (برايا ج) اليمنى بمثل قبضة المنجلة ، و(برايا ج) يجرّ يده بكل قوته ليخلصها .. وإذا بسلك آخر أكثر شراهة يمتد ليمسك ببرايا ج من الجانب الآخر ، ودون أن أضيع لحظة واحدة ضربت السلك الآخر بعصاى ضربة عنيفة .. ثم جررت برايا ج بقوة لم أعهدها فى نفسى من قبل ، وبالكاد استطعت أن أنقذه !!

إن أكثر ما يخيفنى أن الـ (سِبْتُوبَسْ) اقتطع قطعة من لحم ذراع برايا ج ، وبعينىَّ هاتين رأيت الأسلاك تتعاون لتضعها داخل فمها عند قمة الساق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعند ذلك الحدّ من الحديث كنا قد وصلنا إلى الشرفة ، جلس كانتى وأخرج من جيبه منديلاً جفف به جبهته من العرق ثم استطرد :

- لكنى حتى الآن لم أتأكد تماماً من أن الـ (سبتوبس) يمكن أن ينجذب إلى لحم البشر ، قد يكون ما حدث بالأمس نوعاً من الجشع أو الفجور ، لكنى لم أعد أجد خياراً سوى أن أقتله ، ولقد حاولت بالأمس أن أسمّم طعامه ، لكنى اكتشفت أنه فى غاية الخبث ، لمس الطعام بأحد أسلاكه ثم طوح به بعيداً ، الوسيلة الوحيدة الباقية هى ضربه بالرصاص ، والآن يا باريمال .. لقد عرفت لماذا طلبتُ منك أن تأتى ومعك البندقية .

فكرتُ قليلاً ثم سألت .

- هل أنت واثق من أن الرصاصة يمكن أن تقتله ؟ !

- لست أدرى ، لكنى واثق تماماً من أنه يملك عقلاً ، ولدىّ دليل كاف على أنه يفكر ، لقد اقتربتُ منه مرات عديدة لكنه لم يهاجمنى !! إنه يعرفنى كما يعرف الكلب صاحبه ، ربما يكون هناك سبب خاص لعدوانيته تجاه براياج ، لأن براياج يحاول أحياناً أن يغيظه ، يشوّقه إلى الطعام ثم لا يقدمه له ، أو يقرب الطعام جداً من الأسلاك ثم يبتعد بالطعام مستمتعاً بما يجتاح النبات من هياج ، لابد أن لهذا النبات عقلاً !! ولابد أن يكون موقع هذا العقل فى المكان الأمثل .. أعنى فى الرأس ، فى ذلك المكان الأعلى الذى يبدأ عنده نموّ الأسلاك ، ذلك هو المكان الذى عليك أن تصوّب إليه الطلقة .

وعلى الفور .. لطم (أبهى) جبهته بكفه وقال لى :

- إن هذا سهل جداً ، يمكنك يا باريمال أن تحدد الهدف فى دقيقة واحدة ، هيا ، أمسك بندقيتك .

ورفع (كانتى' بابو) يده معارضاً .

- هل يقتل الإنسان ضحيته وهى نائمة ؟ ! باريمال ؟ ! ماذا يقول قانون الصّيد فى هذا ؟

- إن قتل حيوان نائم ضد كل القوانين والشرائع ، خاصة عندما لا تكون الضحية قادرة على الهرب ، إنها عند ذلك يجب ألاّ تكون هدفاً للقتل !!

أحضر كانتى « الزمزمية » وقدم لنا الشاى ، وبعد ذلك بخمس عشرة دقيقة استيقظ الـ (سبتوبس) ، لبعض الوقت كان (بادشاه) قلقاً فى غرفة الجلوس ، لكننا بدأنا نسمع من هناك صوت تمرُّغ وعواء جعلنى أندفع نحو الكلب وتبعنى (أبهى) ، كان (بادشاه) يحاول بجنون أن يتخلص من السلسلة التى تقيده فى حديد النافذة ، حاول (أبهى) أن يردعه بالصوت والإشارة دون جدوى ، وبدأنا ننتبه إلى أن رائحة حادة غريبة تملأ الجو ... تصاحبها أصوات تشبه أصوات أعواد القمح تحت النورج .. ويبدو أنها تترامى إلينا من مظلة الـ (سبتوبس) .

من الصعب وصف تلك الرائحة ، ذات مرة فى طفولتى .. فُرضتْ علىّ عملية استئصال اللوزتين ، هذه الرائحة أعادت إلىّ ذكريات الكلوروفورم الذى غيّبونى به عن الوعى ، اندفع كانتى قائلاً :

- لقد جاء الوقت !! .

- ما هذه الرائحة ؟

- الـ (سبتوبس) .. يصدر هذه الرائحة ليجتلب الفريسة .

وقبل أن ينتهى من هذه الجملة كان (بادشاه) قد قفز قفزة مجنونة النهّور فكسر الرباط وألقى بكانتى أرضاً وهو مندفع كالمسعور نحو مصدر الرائحة ، صاح أبهيجيت وهو يجرى خلف الكلب .

- كارثة !! كارثة !!

عندما وصلت إلى المظلة بندقيتى بعد ثوان قليلة .. رأيت (بادشاه) يقفز عبر النافذة إلى داخل المظلة ويختفى رغم محاولات (أبهى) المستميتة لكى يمنعه ، وعندما فتح كانتى الباب الحديدى سمعنا (بادشاه) ينبح نباح الموت ، اندفعنا إلى الداخل ، كان الكلب فى عناق إجبارى مشئوم مع سلك واحد .. ثم تحرك السلك الثانى .. فالثالث ، زعق فينا كانتى .

- لا يتقدم أحدكما ولا خطوة !! أطلق النار يا باريمال !!

فى لحظات انتبهت من التصويب الدقيق .. وبدأت استعد .. لكن (أبهى) أوقفنى عن الضرب ، كنت أعرف كم يعنى الكلب بالنسبة له ، وإذا بأبهى يتقدم نحو الـ (سبتوبس) غير مبال بصرخات كانتى ، وبقوة خارقة لوى أبهى واحدا من الأسلاك التى تمسك ببادشاه ، وعند ذلك بدأ المنظر المروّع الذى لا يرقى إليه الكابوس ، غيّرت الأسلاك الثلاثة هدفها والتفّت بأبهى ، وجد الكلب مهرباً منها فأفلت ، وفى نفس اللحظة تمايلت حول الساق أربعة أسلاك أخرى ثم امتدت نحو أبهيجيت .. ألسنة جائعة متلهفة على الدم .

صرخ فىّ كانتى .

- أطلق الرصاص ، صوّب نحو الرأس تماماً .

ركزتُ عينىّ ، لاحظت أن غطاء القمة ينفتح ببطء .. بينما الأسلاك الثعبانية تحمل أبهيجيت فى اتجاه الفتحة ، كان وجه أبهى قد ابيضّ وجحظت عيناه بصورة مفزعة ..

فى لحظة التجربة القاسية ـ وقد حدث لى هذا من قبل ـ صارت أعصابى هادئة ومنضبطة كأنما بفعل السحر ، بيدين ثابتتين رفعت البندقية .. وبلا أدنى خطأ أطلقت النار .. تماماً صوب النقطة التى بين بقعتين مستديرتين حدّدهما لى كانتى .

لا أزال أذكر الدم الذى تدفق كالنافورة ، وأذكر الأسلاك التى بدأت تتمايل تمايلات رخوة عرجاء .. حتى تراخت قبضتها على أبهيجيت ولم تعد تقوى على الإمساك به ، وعند ذلك حدث شىء لم أكن أتوقعه .. تكاثفت الرائحة الحادة من حولى تكاثفاً هجمياً أفقدنى الوعى .

واليوم .. مرت أربعة شهور على تلك الحادثة ، وأمكننى أخيراً أن أعود إلى روايتى الناقصة .

لم يكن باستطاعتنا أن ننقذ بادشاه من الإصابات التى لحقت به ، وقد حصل أبهيجيت على كلب صيد آخر قوى ، ثم حصل على كلب آخر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من التِّبِتْ ، وهو الآن يستعد للسفر إلى (رامبور) ليحصل على كلب مدرب من كلابها ومن نفس فصيلة بادشاه .

لقد كان الحظ حليفاً لأبهيجيت .. فلم تكسر الأسلاك الثعبانية سوى ضلعين من أضلاعه ، ولم يبق فى الحبس إلا شهرين .. أصبح بعدهما قادراً على السير .

وبالأمس ، جاء (بابو كانتى) لزيارتى ، قال إنه يفكر فى التخلص من كل مالديه من نباتات آكلة للحوم .. وأضاف :

أعتقد أنى سأقوم بعد ذلك ببعض الأبحاث على الخضروات المحلية .. مثل القرع والفول والباذنجان ، إنك قد فعلت الكثير من أجلى ، فإذا شئت تعال وخذ بعضاً من نباتاتى ، الـ (نيبنث) مثلاً ، على الأقل سيصبح بيتك خالياً من الحشرات .

ـ شكراً ، إلقِ بها كلها أينما شئتَ ولكنْ بعيداً عنى ،

وانطلق صوت السحلية الرتيب :

ـ دِيتّو .. ديتو

كان الصوت آتيا من خلف نفس نتيجة الحائط التى تصدرها محلاًّت (الملك وشركاه) .

القاهرة : سوريال عبد الملك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه القصة :

نشرت ضمن مجموعة قصصية بعنوان (أحسن ثلاث عشرة قصة) ، كتبت كل منها بلغة مختلفة من لغات الهند ، ولغة هذه القصة « البنجالى » هى اللغة الأم فى ولاية البنجال.التى عاصمتها « كلكتا » ، وقد ترجمها إلى الانجليزية الأديب الهندى : ميناكشى موكرجى Meena Kshi Mukherjee

هذا الكاتب :

هو المخرج السينمائى الهندى العالمى . فى الرابعة والستين من عمره . فنان شامل يكتب أيضا السيناريو والحوار ، والقصة القصيرة . والرواية ، والشعر ، ويؤلف الموسيقى ، وله فى الرسم انتاج زاخر بالرؤى الفلسفية والواقعية والحلم بسعادة الإنسان

(المترجم)

مسرحية

قرية جدنا

مسرحية في فصل واحد

عبد اللطيف درويش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شخصيات المسرحية

فريد	فى الثلاثين
هانى	فى الثامنة والعشرين
مديحة	فى الثانية والعشرين
الرجل	فى الخمسين
الأب	فى الخامسة والستين
سلوى	فى العشرين

المشهد الأول

«معرض حسنين الكتانى لبيع الأثاث . المعرض مزدحم بالأثاث ..
فى المقدمة يوجد مكتب صغير .. وبجواره بعض الكراسى ..
هانى مشغول بالتسجيل فى دفتر المبيعات .. يسمع صوت العواصف والرعد .
فريد يخرج إلى عرض الشارع .. ثم يعود مسرعا ..
الوقت مساء ... »

فريد : الجو غائم .. والسحب تملأ السماء ..
(يسمع صوت الرعد)
هانى : ما رأيك أن نغلق المعرض ونذهب ؟
فريد : (ساخرا) نغلق فى السابعة .. لابد أنك جننت .
هانى : جننت ؟ (يتوقف عن التسجيل) قلت جننت ؟
فريد : طبعاً .. ميعاد الغلق يجب أن يبقى ثابتاً .. التاسعة .

(من آن لآخر يتردد صوت مطرقة قوية يأتى من الداخل)

هانى : معى ذلك أننا سننتظر ساعتين فى هذا الجو السيئ .
فريد : ولو .. (يضحك)
هانى : ما الذى يضحكك ؟
فريد : مرة ضربنى أبوك علقة محترمة .. ضربنى بخشبة على ظهرى .. كما يضرب فلاح حماره .. (يضحكان) .. أتدرى لماذا ! ..
هانى : لا ..
فريد : لأننى أغلقت المعرض فى التاسعة إلا ربعاً .. كاد أن يكسر لى ضلعاً مقابل ربع الساعة ..
هانى : كانت مواعيد الغلق والفتح مقدسة بالنسبة إليه .

(يتردد صوت المطرقة بالداخل)

مازال عامل الكهرباء يعمل (ينظر للساعة) متى ينتهى ؟

هانى : أنت يا أخانا ..

(يظهر عامل الكهرباء)

فريد : ألم تنته بعد ؟ ..

العامل : لا .. التوصيلة الجديدة تمر بمنطقة خرسانة ..

(يتردد صوت العاصفة)

فريد : الجو سيئ للغاية ..

العامل : يبدو أنها ستمطر ..

فريد : حاول أن تنتهى بسرعة ..

العامل : الأسلاك كلها مكشوفة .. سأبذل كلّ جهدى ..

(يدخل)

فريد : .... كم بلغت مبيعاتنا اليوم ؟

هانى : أعتقد ٣٥٧٥ جنيهاً .

فريد : فقط ؟!

هانى : نعم .. (يخرج النقود .. ويعدها)

فريد : إنه ليوم سيئ .. سيئ جداً ..

هانى : الناس لايخرجون للشراء عادة فى مثل هذا الطقس الردئ .. لو كان أبوك حياً .. لما تناول عشاءه الليلة ..

(يضحكان)

فريد : لم يرحم نفسه .. ولم يرحمنا معه ..

هانى : وفى النهاية سقط من طوله .. أليس كذلك ؟

فريد : شغل باله بكل شىء ..

هانى : فى الأيام الأخيرة ازدادت شهيته للأعمال بشكل مروع .. لم يكن ينام أو يهدأ لحظة واحدة وكأن العالم سينتهى بانتهائه .

فريد : لم يكتف بالورش والمبانى .. بل كان يشغله فى الأيام الأخيرة فكرة إقامة مشروع زراعى .. (ساخراً) كان يود أن يغزو الصحراء .. تصور ؟! .. يوم أن عرض على هذه الفكرة نظرت إليه بضيق فقال لى الأرض ذهب يا تمبل .

هانى : نصحته مرة .. وقلت له لماذا لا تستريح . فنظر إلىّ نظرة غريبة ووجدت يده تمتد إلى لوح خشب بجواره .. لحظتها أسرعت بالفرار .. وفى المساء قال لى لا يحق لرجل حى أن يستريح .. الراحة هى الموت يا تمبل .

فريد : كلمته المشهورة ..

هانى : ثم قال .. الموت يأتى فى النهاية .. فلم نموت ونحن أحياء .. لحظتها نظرت إليه ثم انفجرت فى الضحك ..

فريد : ضحكت أمامه ؟!

هانى : لسوء حظى .. لم أتمالك نفسى . عندئذ نهض واقفاً وزمجر .. أتسخر منى يا ولد .. أنا حقاً لم أحسن تربيتك يا وغد .. لحظتها اصفر وجهى .. وقلت عليه العوض . (يهمس) أعتقد أننى تبولت على نفسى ..

(يضحكان)

المرحومة أمك هى التى أنقذتنى فى الوقت المناسب

فريد : وأخيراً مات .. (يهز رأسه)

هانى : لو كان حياً اليوم .. وعلم بما فعلته مع تلك المرأة الجميلة التى اشترت غرفة النوم أمس .. لكان قد علقنى من رجلى فى الورشة .. ونشر رقبتى بالمنشار ..

فريد : المنشار ؟!

هانى : امرأة جميلة .. جميلة جداً .. زوجها مسافر إلى الخارج . صرخت فى وجهى وقالت الفراغ يقتلنى كل يوم .. لماذا لايكف عن السفر .. المال ليس هو كل شىء ..

(فريد يفتح الخزانة .. يخرج بعض المستندات)

فريد : ماذا فعلت معها أيها الشيطان ؟..

هانى : عندما دخلت غرفة نومها لأفك الأثاث القديم .. راحت تسترخى على السرير .. ثم تنهدت وقالت .. كم أكره هذا السرير القديم .. إنه لا يريحنى .. بينى وبينك كان سريراً جميلاً .. وجدت أمامى امرأة رائعة .. اقتربت منها .. ولحظتها اقتربت فى رأسى صورة أبيك .. المرحوم حسنين ..

فريد : (يضحك) ألم تلمح الخشبة فى يده ؟..

هانى : أصبت برعشة قوية .. هزتنى تماماً .. كان صدى كلماته يتردد فى أذنى كمطرقة .. إياك أن تنجذب لزبونة ما .. أنت صانع وتاجر .. عندما تدخل بيوت الناس . غض النظر .. وتذكر الله دائماً .. (يهز رأسه) .. ولكن إغراء هذه المرأة كان أقوى .. كل شىء فيها كان يناديني ..

فريد : أنت وغد .. (يضحك) وبالطبع تركت الأثاث دون أن تركبه ..

هانى : حقاً .. لقد نسيت كل شىء .. بعد أن نغلق المحل سأذهب إليها .. اتفقنا على ذلك .. وأنت أين ستذهب الليلة ؟.

فريد : فيلا المعمورة .. ليس هناك غيرها ..

(يقترب عامل الكهرباء منهما)

العامل : للأسف لن أستطيع تركيب التوصيلة الليلة .. لقد تعبت .. لنؤجل تكملتها للصباح .. الأسلاك مازالت مكشوفة .. من الأفضل أن تفصلوا التيار ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هانى : ستأتى فى ميعادك ؟..

العامل : اطمئن .. عندما نحضر فى الصباح ستجدنى فى انتظارك ..

فريد : حسناً ..

(يخـــرج العـامل)

(يشتد صوت الرعد .. والعاصفة)

انظر .. انظر .. هناك رجل يلف ويدور أمام الباب .. إنه يقرأ اللافتة ..

(يلمح رجلا عجوزاً .. يرتدى ملابس بلدية .. يقترب منهما .. ولكنه يتردد)

الرجل : (يتمعن النظر إليهما) أليس هذا هو معرض المرحوم حسنين ؟

فريد : تماماً .. هو معرضه .. تفضل المعرض تحت أمرك .

الرجل : (يهز رأسه مغموماً) . لا حول ولا قوة إلا بالله ..

(يلمح صورة حسنين .. يتجه صوبها .. ينفجر فى البكاء)

الله يرحمك يا حسنين ..

فريد : كلنا لها يا سيدى

هانى : هذا هو حال الدنيا ..

الرجل : آه يا حسنين ... (يبكى)

فريد : (يربت على كتفه) شكراً يا حاج على مشاعرك الطيبة ..

(يسحبه بعيداً عن الصورة) كل أثاث المعرض تحت أمرك ..

هانى : أعتقد أنك ستجهز ابنك .. (الرجل يهز رأسه) إذن هى ابنتك .. (ينفجر الرجل فى البكاء أكثر)

فريد : تفضل .. استرح يا حاج .. إذا ماذا تشرب ؟.

هانى : شاى .. قهوة .. ينسون ...

الرجل : لا .. لا ..

فريد : عيب .. عيب يا حاج .. لابد أن تشرب شيئاً ..

الرجل : إذا كان لابد .. فقهوة سادة ..

هانى : قهوة سادة .. لا .. لا .. أنا أفضل شاياً ساخناً .. أو ينسوناً ... الجو بارد ...

(الرجل يهز رأسه .. يبكى)

(فريد ينادى على عامل المقهى المجاورة .. يخرج .. ثم يعود بسرعة ..)

الرجل : تلقيت الخبر كالصاعقة .. (يبكى)

هانى : والآن يا حاج .. قل لنا طلباتك ..

الرجل : كم تألمت لرحيل المرحوم ..

فريد : شكراً يا حاج .. هيه .. أربع غرف .. أليس كذلك ؟.

هانى : فعلا .. أربع .. أفضل من ثلاث ..

الرجل :

(يهز رأسه حزيناً .. ينهض ويتجه إلى الصورة .. يخرج منديلا .. يبكى) ..

فريد : أنا أنصحك .. نحن نعلم عادات الفلاحين جيداً .. حقاً أنت حر تشترى ثلاث أم أربع .

(الرجل يدور وسط المعرض .. يتلمس الأثاث)

لعلمك يا حاج .. صناعتنا ممتازة .. وأنت أدرى بها ..

الرجل : طبعاً يا ابنى طبعاً .. المرحوم كان كله بركة ..

هانى : كل قطعة فى هذا المعرض لاتخلو من لمسة المرحوم .. مسمار .. مسحة .. طلاء .. تصميم .. ذوق المرحوم كان رفيعاً ..

الرجل : واضح يا ابنى واضح .. (يهز رأسه) كان يجيد كل شىء .. وكان يعرف الله جيداً .. مؤكد سيذهب إلى الجنة ..

هانى : والآن يا حاج .. قل لنا ماذا يروقك هنا من هذا الأثاث الذى صنعه المرحوم ؟

الرجل : (يهز رأسه) خسارة وألف خسارة يا حسنين ..

فريد : ثق تماماً بأننا سنريحك ..

الرجل : رحلت مبكراً .. (يبكى) ..

هانى : اطمئن .. اطمئن تماماً يا حاج سنكرمك .. سوف نمنحك خصماً كبيراً ..

الرجل : خصم ؟

هانى : (يسحبه) تفضل هنا يا حاج ..

(ومازال الرجل شارداً وحزيناً)

فريد : هذا الطقم خشب أرو .. وهذا خشب زان .. أما هذا فخشب بلوط (يهمس فى أذنه) الخامات ممتازة .. ولعلمك نحن نتحدى بأسعارنا أسعار كل المعارض الأخرى ..

هانى : انطق يا حاج .. تكلم ..

الرجل : لا إله إلا الله .. (يبكى) ..

فريد : أرجوك كف عن البكاء أيها الرجل الطيب .

هانى : الوقت يمضى بنا .. وميعاد الغلق سيحل .. أمامنا أقل من ساعة ..

(الرجل يهز رأسه)

فريد : والآن قل لنا ما رأيك ؟..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(ينهض الرجل .. يحاول الاتجاه إلى صورة حسنين ..

ولكن فريد يعترضه) أنا أعتقد أن هذا الصالون الضخم يناسبك .. أنتم فى الريف تعشقون الأثاث الضخم .

فريد : (يتجه صوب الصورة .. حيث يمر بناحية جهاز صغير) آه .. لا مؤاخذة يا حاج .. هذه الأطقم الصغيرة صنعناها من أجل الشقق هنا فى المدينة .. الشقق أصبحت الآن ضيقة جداً .. والأطفال المساكين ليس بمقدورهم أن يتحركوا وسطها أبداً .. الأطفال عندكم ما شاء الله صحة وعافية .. الحياة الحقيقية فى الريف .. الحياة السعيدة .. (ينظر إليه) أربع ان شاء الله .. (الرجل يهز رأسه)

(يدخل عامل المقهى) ..

هانى : اشرب الشاى يا حاج .. تعال .. (يسحبه نجاه المكتب) اجلس .. نصيحة لوجه الله .. خذ أربع غرف ..

فريد : (يهمس فى أذنه) الأسعار ترتفع كل يوم ..

هانى : توكل على الله .. لا داعى للتردد .. اشرب الشاى ..

الرجل : ليرحمه الله .. (يهز رأسه) (يأخذ رشفة ثم يترك الكوب ويأخذ نفساً عميقاً) كم شربنا الشاى معاً .. وكم ضحكنا وكم لعبنا .. كان المرحوم صديق الطفولة .. نشأنا فى القرية سوياً .. وكانت دارنا بجوار دار جدكما .. ولد قبلى بشهر ونصف .. قالت أمى ذلك .. (ينظر إليهما) هل تذكران قرية جدكما ؟

فريد : قرية جدنا ..

الرجل : القرية التى ولد فيها المرحوم ..

هانى : آه .. قرية جدنا .. طبعاً .. طبعاً .. إنها قرية عظيمة ..

الرجل : مسقط رأسه ..

فريد : ومن ينسى قرية جده .. مسقط رأس والدنا .

الرجل : أيام لا تنسى أبدا .. (صمت) .. كنا فقراء .. (يهز رأسه)

هانى : فقراء ؟! .. (مستنكرا)

الرجل : نعم يا ابنى .. وكنا نعمل أجراء لجمع اللطع .

فريد : المرحوم كان يجمع اللطع ؟! ..

الرجل : والدود أيضا .. كذلك كنا نجمع القطن والطماطم والبطاطس .. ونحمل السباخ على أكتافنا وظهورنا كالحمير تماما .. آه .. حقا كم أرهقنا فى صبانا .. تعبنا كثيرا .. ولكننا فى المساء كنا نتجمع حول كومة السباخ وسط الحزن .. لحظتها كنا ننسى ألمنا وارهاقنا تماما .. وأيضا فقرنا .. كنا نضحك ونلعب .. وأحيانا كنا نغنى ونرقص .

هانى : (ضائقا .. يهمس لأخيه) المهم الأثاث .. (يتجه نحو الرجل) أيام مضت ياحاج . (ضائقا .. ينظر لساعته) أمامنا نصف ساعة لنغلق المعرض ..

(يسلط الضوء على الرجل وابنته)

(يدخل المعرض رجل عجوز وابنته)

هانى : تفضل ياأستاذ . أهلا وسهلا ..

الأب : لنأخذ فكرة عن أثاثكم .

هانى : المعرض تحت أمركما .. (يذهب إلى فريد)

سلوى : هه .. مارأيك فى هذه الغرفة ؟ .

الأب : سنشترى الصالون فقط .

سلوى : وأنا فعلا أقصد الصالون .. (تشير) هذا الصالون جميل .. يروقنى تماما ..

الأب : لنر كل ما فى المعرض .

(يدخلان إلى الداخل)

(يسلط الضوء على الرجل وهانى وفريد)

فريد : والآن ياحاج .

الرجل : (يقاطعه) اعذرانى .. أنا لم أعلم بهذا الخبر السيئ إلا أمس الأول .

هانى : (غاضبا ثائراً) أى خبر سيئ ؟ ..

الرجل : خبر المرحوم .. (يرفع الجريدة) قرأت بالصحيفة خبر الأربعين ..

(يشير لهما إلى الخبر وقد أحاطه بالمداد الأحمر)

هانى : أوه .. اسمع أيها الرجل ..

الرجل : (يقاطعه) لحظتها بكيت كثيرا جدا .. أيضا بكت زوجتى وكل أبنائى .. كل أهل القرية بكوا .. الحزن ساد ميت كئابة من أجله .. بالأمس أقمت له فاتحة فى دارى .. وهبّ كل أهل القرية يعزوننى فيه .. كان بمثابة أخ لى .. (يهز رأسه حزنا) كلهم كانوا يبكون وقالوا .. بطل من قريتنا رحل (يبكى) خسارة وألف خسارة ياحسنين ..

فريد : (يقف ثائراً . ولكنه يتمالك أعصابه)

كل الناس ستموت ..

هكذا كان يقول المرحوم .

الرجل : للأسف مازالت قرية جدكما بعيدة يا ابنى .. بعيدة جدا .. لا أدرى أين أخفى وجهى .. كم أخجل من نفسى .. التليفونات معطلة والمواصلات سيئة والطريق الزراعى لم يرصف .. والناس تزداد كل يوم .. والدودة تهاجم المحاصيل بشراسة .. كذلك بنك التنمية يقرض الفلاحين بفائدة عالية جدا ومجلس القرية كل يوم يعقد اجتماعا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويطلب منا فلوسا .. والجمعية التعاونية فيها لا يغلق أبدا .. وجيش من الموظفين أكثر من النمل يركبون موتوسيكلات تثير الغبار فى الجو .. لماذا كل ذلك لا أدرى ، أيام زمان كان مفتش زراعة واحد فى المركز كله .. والمصيبة الآن أن المحاصيل لا تعطى إنتاجا وفيرا .

(يقترب الرجل وابنته من فريد وهانى)

الأب : أشكركم .. أثاثكم جميل فعلا ..

هانى : ونحن تحت أمرك ياسيدى ..

الأب : مؤكد سنشترى من عندكم ..

(ينصرفان)

الرجل : (يعود اليها) الصدفة وحدها هى التى جمعتنى مع المرحوم فى محطة مصر ..

هانى : فى محطة مصر .. متى حدث ذلك ؟

الرجل : منذ عام ونصف تقريبا .. (يهز رأسه) آه . (يتألم) كان المرحوم قد رسب فى شهادة الابتدائية بالأزهر .. فضربه جدكما ضربا مبرحا .. خرج من القرية ليلتها ومن وقتها لم يعد .. تاه منى كل هذه المدة .. عرفنى هو أولا .. فاندفع نحوى يحتضننى بقوة وحرارة .. لحظتها شعرت بأننى عثرت على كنز .

فريد : كنز ؟ (مندهشا)

الرجل : نعم .. كنز ضاع منى منذ أيام الصبا .. جلسنا فى بوفيه المحطة لمدة ثلاث ساعات .. حكى لى كل شئ عن حياته .. (يرفع رأسه فى مواجهتهما) كان مشواره صعبا للغاية .. ولكن المرحوم كافح كفاح الأبطال .. (يخفض رأسه) .. من غريب متشرد مطرود من قرية أبيه إلى مليونير .. (يهز رأسه) .

هانى : (ثائرا) قلت متشرد ؟!

الرجل : نعم يا ابنى ..

فريد : (مستنكرا) متشرد ومطرود ؟!

الرجل : قال ذلك .. كل نقطة عرق من جسده كونت قرشا .. أرهق نفسه .. (يبكى) ليرحمك الله ياحسنين يا بطل .. (ينظران لبعضهما بضيق) .

هانى : انس ياحاج انس .

الرجل : بعد الخير المشئوم .. كان على أن أبيع الجاموسة .. بعتها بألف ونصف .

هانى : عظيم .. عظيم .. المهم أنك بعتها .. لتزوج ابنتك ..

الرجل : لا .. (يهز رأسه) كان خلفها عجلا صغيرا جميلا .. كان يكبر كل يوم ويزداد وزنه .. تركت لبنها له كله .

فريد : للعجل ؟

الرجل : بشرق لو علمت بيوم الوفاة لكنت أحضرته وذبحته تحت النعش .

هانى : قلت انك بعت الجاموسة بألف ونصف ..

الرجل : (يخرج حافظة نقوده) ها هى النقود .. حقكم ألف ومائتان وخمسون جنيها والباقى يمثل حقى ..

فريد : حقنا وحقك .. أنا لا أفهم شيئا .

هانى : ولا أنا ..

فريد : ما هو الموضوع بالضبط ؟

الرجل : **أثناء لقائى بالمرحوم فى محطة مصر فجأة ..**

(يهز رأسه حزينا) .. كان لابد أن أخبره بالحقيقة ..

فريد : أية حقيقة ؟ ..

الرجل : كانت جاموستى قد فطست ..

هانى : جاموستك فطست ؟ ..

الرجل : نعم .. فطست وأكلتها الكلاب . (يبكى) الله يوسع عليك تربتك ياحسنين .

هانى : تكلم ياحاج تكلم ..

الرجل : أخرج على الفور من جيبه رزمة فلوس .. ألف جنيه بربطة البنك وأقسم أن آخذها لأشترى جاموسة بدلا من التى نفقت وأكلتها الكلاب .. (يبكى) .

فريد : وأخذت منه الألف جنيه بالطبع .

الرجل : امتنعت فى البداية ولكنه صمم . (حزينا) .

هانى : (مندهشا) غريبة .. لكنه لم يخبرنا بهذا الموضوع .

فريد : (يأخذ النقود ويعدها) مؤكد أنه ذكر ذلك لأحدنا ولكننا مررنا بظروف صعبة للغاية .. أنت أدرى بصدمة المرحوم ..

الرجل : طبعا يا ابنى طبعا .. ربنا يصبركم ..

هانى : (يدور حوله متفرسا) اشترى والدنا لك جاموسة فقط ؟

الرجل : نعم يا ابنى .

هانى : ألم يشتر شيئا آخر ؟ ..

الرجل : أى شئ آخر هذا ؟ ..

هانى : أقصد بقرة .. أرضا زراعية .. بساتين ..

الرجل : لا لا ..

فريد : سلفة مثلا ..

هانى : رزمة .. رزمتين .. كنت كأخ له .

فريد : وكان المرحوم سرعان ما ينقذ أصدقاءه عندما يتعرضون لأزمات ..

هانى : الجاموسة هى التى فطست فقط ؟ .

الرجل : (مندهشا) أنا لا أفهمكما .. (يهب واقفا) .

هانى : اجلس ياعمنا .. اجلس .. أرجوك اسرد لنا كل شئ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرجل : لا شئ غير الجاموسة ..

فريد : حاول أعصر ذهنك .. ماذا قال لك أيضا ..

هانى : أمضينا ثلاث ساعات سويا .. تكلمنا فى أشياء كثيرة .. تكلم ياعمنا .. اذكر كل شئ ..

الرجل : (يحاول أن يتذكر) قال .. قال .. آه تذكرت ..

هانى : عظيم .. عظيم جدا .. ماذا قال لك والدنا بالضبط ؟

الرجل : قال أنا مرهق .. مرهق جدا .. تعبت كثيرا . الفقراء لكى يصعدوا سلم الثراء .. لابد أن تنزف دماؤهم .. لابد من حياة جادة وصعبة .

هانى : ألم تطلب مبلغا آخر ..

الرجل : (يهز رأسه) لا لا ..

الرجل : والآن اسمحا لى أن أتوضأ وأصلى .. فاتتنى صلاة العصر والمغرب .. (يهز رأسه) .. كم أرهقت اليوم .. آه .. (يتثاءب) لم أنم ليلة أمس .. كنا نبكى المرحوم ..

هانى : دورة المياه بالداخل .. (يشير له) .

فريد : تفضل من هنا ..

الرجل : شكرا (يتأوه) آه .. آه .. (يدخل)

(هانى وفريد وحدهما . هانى يتأكد أن الرجل قد اختفى) ..

فريد : ألف ومئتان وخمسون جنيها ..

هانى : أكاد أجن .. كيف لم يخبرنا بهم والدك ؟ ..

فريد : لا أدرى ..

هانى : كانت له ذاكرة حديدية .. وكان يدون كل شئ ..

فريد : ربما دفعهم له كمساعدة ..

هانى : ألف جنيه مساعدة .. أنت مجنون ..

فريد : انظر .. انظر .. يبدو أن هذه سيارة أختك مديحة ..

هانى : (ينظر للخارج) فعلا هى .. (يهمس لأخيه) لا تذكر هذا الموضوع أمامها .

فريد : طبعا .

(تدخل مديحة .. شابة جميلة فارعة الطول)

مديحة : مساء الخير ..

هانى : مساء النور .. كنا سنغلق المعرض حالا .. (ينظر لساعته) .

مديحه : كنت مشغولة ..

فريد : انتظرناك منذ الظهيرة .. آه (يتذكر) الطقس سيئ للغاية .

مديحه : المهم هل توصلت لحل ؟

فريد : حل ؟ .. (ساخراً) أى حل ؟ .

هانى : يا أختاه ..

مديحة : (تقاطعه) كفا ـ أنت وهو ـ عن المراوغة .. يجب أن تعلما بأننى لن أقبل فيلا العجمى .. (تصرخ) .. أنا مصرة على فيلا المعمورة .. (تبكى) ..

فريد : (ساخرا) لم يعد ينقصنا كل يوم إلا بكائك وصراخك .

فريد : لماذا أنت طامعة فينا .. !!

هانى : المرحوم سجل باسمك عمارة الرمل .. ماذا تريدين أكثر من ذلك ؟ ..

أكملت تعليمك الجامعى .. فرحنا بك يوم أن تخرجت طبيبة .

فريد : وقلنا إنها سترفع اسم العائلة ..

هانى : كان أبوك كلما جلس مع أحد أصدقائه أو حتى مع رواد المعرض العابرين .. يأخذ نفسا طويلا ثم يقول إن ابنتى طبيبة .. تخرجت من كلية الطب .. أما نحن فلم يذكرنا إلا بعدك .. يذكرنا بامتعاض .

فريد : وفى كثير من الأحيان لايذكرنا .

مديحه : كنتما تلعبان ..

هانى : إلحق يا فريد .. تقول أننا كنا نلعب . لا ياحبيبتى لا .. قولى الحقيقة .

أذكريها يوما دون خجل .

فريد : كنا نكوّن هذه الثروة .

مديحه : كنتما تزوغان من الدراسة .. قال لى أبى يوما إنه حزين ..

هانى : حزين لماذا ؟ ..

فريد : لأن ثروته ارتفعت حتى السماء .. أصبح مليونيرا ..

مديحه : قال لى كنت أود لها أن يكملا تعليمها الجامعى .. وبعدها يعملان كما يحلو لها .. العلم مهم جدا .. يصقل العقل ..

آه .. كم حزن لفشلكما فى الدراسة ..

(يسمع شخير الرجل)

فريد : (يهمس هانى) صاحب الجاموسة يبدو أنه نام ..

هانى : كان مرهقا ..

مديحه : (تصرخ) أريد حقى .. أريد فيلا المعمورة ..

فريد : أنت مجنونة ..

هانى : انسيها .. انسيها ..

مديحة : (تصرخ) أنساها .. أنت وغد ..

فريد : ارفعى صوتك وأسمعى الجميع هنا مايودون سماعه .. إنهم ينتظرون ذلك بالفعل .. ينتظرونه كل لحظة وكل دقيقة ..

مديحة : ينتظرون ماذا ؟ ..

فريد : الفضائح .. الفضائح فقط ..

هانى : وأن نتصارع .. ونختلف .. (يصرخ) أن نفشل فى النهاية .. وخادمة أصحاب المعارض الأخرى .. يحلمون بانهيار كل شئ بعد موت أبيك .. ينتظرون سقوطنا .. وأنت بدل أن تشدى من أزرنا .. جئت تصرخين فى وجهنا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مديحة : هراء .. كذب .. ما علاقة الآخرين بمسألة الميراث .. (تصرخ) ما علاقتهم بنا ؟

هانى : السوق يا أختنا غابة متوحشة وقذرة ..

فريد : لو كان المرحوم سمع كلامنا منذ سنوات قليلة .. لارتفعت ثروتنا وأصبحنا من أصحاب الملايين الكثيرة .. (يهز رأسه) لكن المرحوم كان يتبع سياسة الخطوة خطوة .. بينما كل تجار السوق يقفزون .

مديحة : كلام فارغ .. هذه مجرد حيلة قذرة منكما .. (تصرخ) أنا مصممة على فيلا المعمورة .. والذى أوصى بها لى .

هانى : وصية رجل يهذى لا تصح ولا تنفع أبدا ..

مديحة : لم يكن يهذى ..

هانى : كنت تبتزين شعور رجل مريض ببكائك الدائم بجواره .

فريد : ولحظتها استدعانى وقال من الأفضل أن تعطيا أختكما فيلا المعمورة ..

مديحه : ووافقتما ..

هانى : كان لابد أن نوافق رجلا مريضا .. يلفظ أنفاسه الأخيرة بصعوبة بالغة .. كيف لنا أن نغضب رجلا يموت .. مع علمنا أنه يهذى ..

فريد : وقال ذلك فقط ليخلص من إزعاجك له .. رجل يؤهل نفسه للقاء الله وأنت تطنين حوله كذبابة متوحشة تلدغه من آن لآخر .. وأثناء أزمته الأخيرة لم ترحميه .. فقط كنت تبحثين عن مصلحتك ..

مديحة : أنتما تكذبان .

فريد : (ساخرا) هل نسيت يا أختاه وقت أن عملت جاسوسة علينا .

مديحة : أنا .. (تصرخ وتضرب الأرض برجليها) .

هانى : نعم .. كنت تبلغيه بكل شئ عن تصرفاتنا الصبيانية .. حتى النقاش البسيط الذى كان يحدث بيننا .. أو أى خلاف .. كنت تنقلينه إليه حرفيا .. وإذا غضب من أحدنا كنت بسرعة تحضرين له الخشبة .. ها ها .. نسيت الخشبة .. الخشبة التى كنت تحتفظين بها خلف باب غرفتك .

مديحة : لماذا أنت مصر على أن تذكر فترة الطفولة بخبلها .. هه .. كل الأطفال يفعلون مثل هذه الأشياء لكنهم عندما يكبرون ينسونها فورا ..

هانى : تقول فترة الطفولة .. سمعتها يا فريد ..

فريد : ويوم أن طردنا من المنزل .. ونمنا فى الورشة .. نمنا على المسامير .. (يهز رأسه) أتدرين السبب طبعا .. ستتسين كالعادة .. كنت فى الثانوية العامة ..

مديحة : وماذا فعلت ؟

فريد : قلت له إن أخوى ينفقان كثيرا جدا .. ويبعثران الأموال ..

(يصرخ) كنا فى نظرك لصين .. أليس كذلك ؟ ..

مديحة : لم يحدث ذلك أبدا ..

هانى : بل حدث يا دكتورة .. وراح هو الآخر يصدقك وسألنا أكثر من مرة .. من أين لكما لتنفقا هكذا .. لم نكن نسرقه أبدا .. كان البقشيش والإكراميات .. كنا شابين يعيشان فى مدينة .. وكل ما كان يريده هو أن يربينا وفق أيامه الأولى فى القرية .. أن يحرمنا من كل شئ .. كان ينظر إلينا كألواح الخشب التى تنتظر المنشار والشاكوش والمسامير ليشكلها بمعرفته .

فريد : (يهز رأسه) تحملنا كثيرا ... على كل نحن نسامحه ..

مديحة : (تصرخ) أنتما جاحدان ..

هانى : لم نصرخ فى وجهه يوما ما .. التزمنا فقط بالصمت ..

فريد : والصبر ..

هانى : الوحيدة التى كانت تتمتع بكل شئ هو أنت .. أنت يا مديحة .. وأنت الليلة تطلبين فيلا المعمورة .. (يوجهها بحدة) لا .. وألف لا ..

مديحة : (غاضبة) أعلم أنه لا جدوى من النقاش معكما .. سأطعن فى كل شئ ..

(تحاول الانصراف .. يعترضها فريد)

فريد : انتظرى .. انتظرى ..

مديحة : لا لا ..

مديحة : لن تكفا عن خداعى أبدا .. ومناوراتكما لن تتوقف .. سأذهب إلى المحامى .. سأذهب إلى خالى .. إلى أى مكان ..

(تنصرف .. ينظران إليها بضيق .. يسمع صوت سيارتها تسير)

فريد : عاشت مدللة ..

هانى : والشقاء كان من حظنا فقط .. كنا بجوار أبيك كمن ينفذ حكما بالأشغال الشاقة .. لم ننعتق إلا بموته ..

فريد : أنا شخصيا لا أستريح إلا فى فيلا المعمورة .. (ساخرا) ثم إن قيمتها توازى عشرة أضعاف فيلا العجمى ..

(يسمع صوت التليفون يدق)

آلو .. آلو .. آه .. هانى تليفون لك .

هانى : آلو .. آه أهلا .. طبعا سأحضر .. الجو سيئ .. لا لا .. أنا قادم خلال دقائق .. مسافة الطريق .. شكرا .. **(يضع السماعة)** هاها ..

فريد : هيه ..

هانى : نعم .. هاها .. (يضحك) ..

فريد : أنظر .. لقد عاد الرجل وابنته ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(يقترب الرجل ومعه ابنته) ..

الأب : لقد تعودنا أن نشترى ما يلزمنا من أثاث من معرضكم .. منذ مدة طويلة ..

سلوى : هذا الصالون يروقنى جدا .. (**تشير إلى الصالون**) ..

هانى : كل ما فى المعرض تحت أمركما ..

سلوى : كم ثمنه ؟ ..

الأب : (يهمس لابنته) اصبرى .. اصبرى ..

سلوى : إنه صالون هائل .. لقد راقنى تماما .. (تجلس عليه ثم تنهض) .. كم هو مريح وجميل أيضا .. مه .. كم ثمنه ؟ ..

فريد : فقط أربعة آلاف ومائة جنيه ..

الأب : أربعة آلاف .. لا يعقل أبدا .. يبدو أن أسعاركم قد أصابها الجنون ..

هانى : (يضحك) أسعارنا فقط .. لا ياسيدى لا .. أنا معك أنها ارتفعت ولكن ليست كبقية المعارض الأخرى ..

سلوى : كم هو جميل ورائع .. (**تتحسسه وهى مسرورة جدا**)

فريد : صناعتنا ممتازة .. ومضمونة لمدة عشرين عاما ..

الأب : فى العام الماضى اشترينا صالونا مشابها له بألفين ونصف .. ماذا جرى فى الدنيا .. (ساخرا) .. والآن تقول أربعة آلاف ومائة جنيه .. لا لا .. هذا كثير .

فريد : أنت تعلم ياسيدى أننا نشترى الخامات من الخارج .. وأنت أدرى بأن قيمة الدولار ترتفع يوما بعد يوم .. كل يوم يقفز قفزة ..

الأب : (ساخرا) الدولار .. أصبحت حياتنا مرتبطة به .. من البيضة حتى الصالون .. (يقهقهون) .. أخفض يا ابنى السعر .. أخفض لكى نشترى ..

هانى : طالما أنت زبون المحل .. أربعة آلاف فقط .

الآنسة : هذا معقول .. معقول جدا يا بابا .. (فى جانب) .

الأب : معقول ؟! .. (ساخرا) ..

الآنسة : إنه مريح وجميل .. وأنا معجبة به جدا ..

الأب : اسكتى انت .. (يهمس لها) .. اتفقنا على ألا تتكلمى .. كفى عن هذه الرعونة .. سأشترى ما يحلو لك .. ولكن ليس بهذه الأسعار بالطبع .. افهمينى ..

الآنسة : يا بابا أرجوك ..

الأب : قلت لك اسكتى لمدة عشر دقائق فقط .

(**يقترب منهما**)

لا لا .. لن أدفع إلا ثلاثة آلاف ونصف الألف .

فريد : سنمنحك خصما .. أى ثلاثة آلاف وسبعمائة ..

هانى : وهذا آخر كلام .. (ينظر لساعته) .. لقد حان وقت الغلق . .

(**فريد يرتدى البالطو**)

الأب : أمرى لله .. (يخرج دفتر الشيكات .. ويكتب شيكا بالمبلغ ..) هاهو المبلغ .. (يقدم لهما الشيك)

هانى : من فضلك أكتب لنا العنوان هنا .. (يقدم له ورقة وقلما) ..

الأب : (يكتب العنوان) سأنتظركما باكر فى الثانية عشرة .

فريد : وستجد السيارة فى نفس الموعد ..

الأب : شكرا لكما .. (ينصرف ومعه ابنته) .

هانى : (بعدا أن يبتعدا يهمس لأخيه) صفقة رائعة .. (يرتدى ملابسه بسرعة) لقد تأخرت كثيرا .. لأذهب إلى صديقتى الجديدة بسرعة .. هاها .. امرأة جميلة جدا .. وأنت أين ستذهب الليلة ..

فريد : (يخرج الأموال من الخزانة ويضعها فى الحقيبة) فيلا المعمورة طبعا ..

(ينصرفان بسرعة .. يطفئان الأنوار ويغلقان المعرض دون أن يفصلا التيار) ..

.. يسمع صوت سيارتهما تسير .. يختفيان .. تنطلق صرخة مدوية .. يخرج عامل المقهى إلى عرض الشارع ..

العامل : أتت هذه الصرخة من الداخل ـ لقد انصرفا .. (يهز رأسه غاضبا) ..

ستـــار

الإسكندرية : عبداللطيف دربالة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التقاطع .. عند نقطة فاصلة !!

محمد أحمد العزب

(مفتتح)

وكان يقولُ ..
أَحْمِلُ صخرتى ..
وأُمارِسُ العصيانَ ..
والتفكيرَ فى الممنوعِ ..
والعشقَ الذى ينحلّ تكتيلاً فراغياً !
وكان يقولُ :
أَعْرِفُ مَنْ تآمر ضدّ أسئلة الغصونِ ..
وضَد أن لا يولد الإعصار منظوماً تراثياً !

(الدخول فى العَدَدِ الفاعِلْ)

يجىء الصيفُ ..
يحمل خبزَهُ الفَوْضَى ..
ويحذف صيغةَ الموت الذى يأتى ركيكاً لا إرادياً !
ويمضى الصيفُ ..
والأشجارُ واقفةٌ ..
تُعبِّئُ ريشَها بالأخضر الآتى ..
وترسم منه تشكيلاً مدارياً !

وحين يعود فَصْلُ الموت قبل الموتِ ..
يسْكُنُنَا جنونُ الآن والمابَعْدِ ..
يُسكتنا التعامد فى سُهُوبِ المَحْوِ إيراءً عِيانياً !

(حين يكونُ لَيْس)

يحاول فى دروس (العصرِ) ..
ـ : كيف الحبُّ ؟
(يجهل كيف يمكن أن يكون الحبُّ)
ـ : كيف الشِّعرُ ؟
(يجهل كيف يمكن أن يصير الشعر) ..
ـ : كيف نُصَنِّفُ (التِّقْنِىَّ) إبداعا حضارياً ؟
ويبصق فى جهات الأرضِ ..
ممتلئاً حشيشاً رائعاً ..
ويدوخُ فوق سواعد الكُتُبِ المُتُونِ ..
وينحنى فى القهوةِ المليونِ إيقاعا ضبابياً !

(عن مواسمها يُقال)

وحين أُتَتْ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(أُحَاذِر أن أسمِّيَهَا) ..
أفاقَ الوردُ والبارودُ ..
كانت تمنح الوَرْدَ ابتسامتَها ..
وكانت تمنحُ البارودَ دهشتها ..
وكانت ..
(حين يلتقيان تحت سقوفها الخضراء) ..
توقظ فيهما جدلاً حياتياً !
وكانت ..
(يَعْلَمُ البارودُ)
تقدر أن تخون الحبَّ فيهِ ..
وتُوسِعَ الأشياء نَفْياً ..
والمَدَى قتلاً جماعياً !

(لَا بُدِّيَّةُ الضِّدِّ)

يرى أطفالَهُ يمشون فى غير اتجاه الضِّدِّ ..
يحملهم على أهدابه شجراً مسائياً !
يواصلهم لحدِّ القطْعِ ..
يترك فى معاطفهم رموزَ الكشف والتغيير ..
يرفض أن يهادن فيهم الرَّهَبُوتَ إيماءً جِنازِياً !
يخالسهم ويكتب فى دفاترهم ..
كلاما عن بلاد العشقِ ..
عن أطفالها العشّاقِ ..
عن نهدين معجزتينِ ..
تحت ضفائر الصفصافِ ..
فوق حدائق المَانْجُو ..
أثاراً فتنةَ الأشكالِ فى اللاَّ شَكْلِ ..
آنياً .. وغائِياً !

(الوُقُوفُ فِى القَتْلِ)

وكانوا
يحملون السيف والأعناقَ فى الطرقاتِ ..
منشوراً ظلامياً !
وكان ..
يحبُّ الحُبَّ المُسَافَر فى تفاريق العصورِ ..
مدًى غنائياً ..
وكانوا يحملون الحِبْرَ والكُتُبَ النَّواشِيحَ الغِيَابَ غداً خرافياً !!
وكان يخاطب التاريخ فى الساحاتِ ..
يبْنيهمْ قِلاَعاً فى وجوه الفَقْدِ ..
يرفض أن يصيروا فى حوار الفِعْل تعْتيماً حوارياً !
يقال :
بأنهم خرجوا على الإجماع (بعض الوقتِ) ..
كادُوا يُقْلعون إلى ضفاف الشمس ..
ثم ارتدّ فيهم جوْهرُ الأشياء تخْييلاً ورائياً !
وقيل :
وكان بَعْدَ القتْل (صَبْراً فى الشوارعِ) ..
كان يضحكُ للرماح ..
وكان يرقص مِلْءَ دمدمة الرياحِ ..
وكان يَجْبُلُ حُلْمَهُ القمرىَّ تكويناً جمالياً !

القاهرة : محمد أحمد العزب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحلة الليل

محمد محمود عبد الرازق

يرجع التوق إلى السفر فى مجموعة : «رحلة الليل»[1] إلى قصة «الثابت والمتحرك» التى نشرت عام ١٩٧١ . كنّا قد أسلمنا العقد السادس للتاريخ ، وأسلمنا أمرنا لله . لكن هزائم العقد السادس المريرة كانت تزحف على السابع لتصبغه بألوانها القاتمة المتقيحة . أليس هو وليده ؟ .. ابنه البكر ؟ .. إذن ، فلتجثم الهزيمة على صدورنا ، وتطوق أعناقنا ، وتكتم أنفاسنا . فالعناكب المفترسة القابضة على مقدراتنا مازالت هى .. هى ... ومازالت تفكر بنفس العقلية .. لنمنى بنفس النتائج . بعد الهزيمة النكراء تعللوا بأن العدو أتانا من الغرب ، وكنا نتوقع أن يأتينا من الشرق . وفى بداية السبعينات تعللوا بالضباب . لامفر . ومن يرد الخلاص فليفر بجلده .. لا بوطنه . يقول مكسيم جوركى : «الذهاب إلى بلاد بعيدة هروب .. والذهاب إلى حياة جديدة ثورة» . لكن وجودنا أصبح كعدمه ، ولاحيلة لنا غير السفر ، علنا ـ ونحن خارج الحدود ـ نستطيع أن ننظر إلى أرض الواقع ـ متحررين من الخوف ـ لنستشرف طريق الخلاص الجماعى . هكذا ظن البعض . أما الجماهير الغفيرة التواقة إلى الهجرة ، فقد حصرت الأيام السوداء أمانيها فى البحث عن الأمن الفردى من الجوع والخوف .

قصة «غرفة فى نهاية الممر» (١٩٦٩) تقدم رؤية كابوسية لهذا الواقع .. الراوى شخص مسحوق يعيش فى فندق . يتطلع من نافذة غرفته إلى نوافذ المنازل المقابلة فيشاهد الحياة الأسرية السوية ، بصراخها ، وضحكها ، وبكاء أطفالها ، وملاعقها ، وأطباقها . يعود إلى السرير ويفتح الحقائب ليعيش مع خطابات حبيبته وأبيه . حبيبته تحلم ببيت واسع وأطفال يلعبون . أبوه يحلم بالدواء فقد اشتد عليه الكرب . يعود ذات مساء فيجد غرف الفندق مفتوحة الأبواب وأشياءها مبعثرة . يعدو مع العادين إلى الإدارة . تقول الإدارة : «إنك قد تراها تزحف بجوارك رافعة كيس السم فلا تعبأ بها .. ربما نظنها حشرة مسالمة من تلك الحشرات التى خلقها الله لحكمة لا نعلمها .. ولكن انتبه .. احترس .. كن يقظاً . فتحنا الغرف لنضمن سلامتكم انتبه ..» (ص ٧٤) يصعدون إلى غرفهم : بعضهم يؤثر السلامة بالحيطة والحذر ، وبعضهم غير مصدق . عند الظهر يستلقى كعادته على السرير لكن عيناه لاتنظران إلى الخارج . سرعان ماترتدان إلى الداخل لتتسللا حوائط الغرف من الأرض إلى السقف . إنه لايصدق أنهم أمسكو بواحدة . ومع ذلك نراه يقفز فجأة ويتفحص السرير . وتتوالى الشائعات عن عدد العقارب التى أمسكوا بها . وفى الليل تسمع صرخة فظيعة متحشرجة ، فيعثرون أشياء الصارخ ولايجدون شيئاً . وتتوالى الصرخات مع توالى الأيام . ويكشف لنا الراوى عن حقيقة أسبابها حينما يتحدث عن نفسه . هاهو يطفىء النور فيدوى الصمت . وتجوب أذناه الغرفة ملتقطة صوت اللاشىء ، جاذبة إياه أمام وجهه : «أكافح بحواسى كلها فيزداد اقتراباً . أسمعه وأراه فى الظلام بشغاً كريهاً . أتحسس لزوجته وأسمعه داخل رأسى .. يفح .. ينفث السم من جسمه الذى ليس محدداً ويفح .. أضىء النور فجأة من خوف .. لا شىء .. لا شىء لكنه قرب الفجر يأتى .. يحاصرنى فى السرير .. أنكمش .. أنكمش حتى أتكور .. لا أستطيع أن أضغط جسمى أكثر من ذلك . أفتح فمى وأصرخ ..» (ص ٧٨) ويعود فى المساء فيجد اللافتات المحذرة تملأ الحيطان . كلمة العقارب ليست مكتوبة بل مصورة بخط أحمر على هيئة عقرب . يرى الخطوط الحمراء تكبر .. يضحك من الوهم فتكبر .. يعدو على السلم ـ فى الصباح ـ بأقصى سرعته فتتبعه . تتجمع أمام باب الفندق : «أنتظر صابرا أن تترك الباب وتعود .. أفكر أن أسحقها ثم أتراجع . أخيراً أجد مكاناً صغيراً لجزء من قدمى أرتكز عليه وأقفز خارجاً من الباب» (ص ٧٩) .

المكان الثالث ـ بعد الشارع والأتوبيس ـ الذى

(*) صدرت ضمن سلسلة مختارات فصول العدد (٣) أغسطس ١٩٨٦ .

يلجأ إليه عبدالله للدلالة على الاختناق والانفصام هو المكاتب المصلحية . رأينا هذه المكاتب فى «النهار .. والليل» من خلال رؤية كابوسية . نشاهدها فى «رحلة الليل» ونضيف إليها «تشابه» ـ من خلال تتبع للواقع بطريقة الكابوس . أهم سماته التراكم والغرابة الكافكاوية . رغم كونه واقعاً معتاداً نبتلعه فى مرارة . ونتعايش معه . كما ابتلعه وتعايش معه الشخص المحورى فى القصتين . بخلاف قصة «النهار .. والليل» . وها نحن نراه منذ أول كلمة بقصة : «رحلة الليل» يلهث صاعداً هابطاً سلم العمارة التى تشغل المنطقة التعليمية أدوارها العليا .

دون أن يبدى تبرماً ما : «لم يكن خائفاً ولامضطرباً كأصحاب الحاجات المزعجين . بل كان يبتسم رغم الإرهاق الشديد . إنه لا يتوقع مفاجآت من هذه الغرف المغلقة والمفتوحة . دخلها كلّها مرات ويعرف ما فيها وأساليبهم فى معاملة الناس . هنا وقع أوراقاً وهناك ختمها . وفى غرفة ثالثة تشاجر فى البداية ثم تذرع بالصبر واستمع إلى نصائح أفادته كثيراً . تعودت عليه الوجوه حتى ظن البعض أنه موظف معهم خصوصاً حين كان يتوقف بين الأشواط المتتابعة وينضم إلى المجموعة المرحة أمام البوفيه يشرب الشاى ويضحك ويشترك فى الحديث ويؤجل مثلهم دفع الحساب حتى آخر اليوم أو اليوم التالى» . وفى لحظات الضيق القليلة خلال الشهور الطويلة كان يقترب من باب المدير محاولا التفاهم مع الساعى والسكرتيرة : «لكنه لم يكن يدخل أبدا . فماذا يقول ؟ هل كل من لايجد موظفاً على مكتبه يشكو للمدير ؟ هل تريد أن توقع الأوراق ناقصة ؟ وهكذا تصفو نفسه ويجرى مع الناس الذين يلتقى بعضهم بالخط فينهى إجراءاته بسرعة . أما الباقون فيجرون معه . ولم يسمع أن واحداً من هؤلاء أو غيرهم أقحم المدير فى تلك المسائل الروتينية . إنه فى النهاية هو المسئول . فقد كان ـ لقلة نبرته ـ يأتى فى أوقات متقطعة غير مناسبة . أما الآن فهو يصحب الموظفين فى مجيئهم وعودتهم . وينهى بعض الاجراءات ببطء شديد . ولكنه بالقياس إلى الشهور الماضية يتقدم» (ص ٧ ، ٨) .

ونواجه بهذا الجو المكتبى الكئيب مرة أخرى فى قصة : «تشابه» . إننا ـ مع هذه القصة ـ نعيش خارج مصر . لكن موبقات العالم الجنوبى واحدة . فى المصالح نجد أيضاً التشاؤب والتكاسل والتعقيد المكتبى يقف الراوى وصاحبه ـ الذى يخطو خطواته الأولى فى بلاد الغربة ـ أمام الموظف المختص . يأخذ الموظف الأوراق ويعد لها ملفاً «بكسل شديد» ويكتب عليها رقماً . ينبه صاحبه بالعربية لحفظ الرقم ولون الملف . والرجل يتابعها «متثائبا» دون أن يفهم شيئاً : «إنك إذا أردت شيئاً من هذا الموظف أو غيره فلن يسمعك إذا لم تذكر له رقم الملف ، ليس مهماً أن تقول له اسمك . بل الأفضل ألا تفعل هذا اختصاراً للوقت . اذكر الرقم فقط . فإذا بدأ يبحث عنه يمكنك أن تساعده بقولك : لونه أزرق» (ص ٣٣) لقد تحولوا فى الغربة إلى مجرد أرقام ، والملف ـ فى أغلب الأحيان ـ عرضة للفقد ، لأنه لايستقر فى مكان واحد . وإذا ما فقد الملف لم يعد الرقم يجدى . وجودك ذاته معلق بوجود هذا الملف : «إلا إذا كنت لن تحتاج إلى شىء : لن يحدث خطأ فى مرتبك مثلا .. لن تسافر .. انظر إلى هؤلاء الناس الذين يلهثون حولنا صاعدين هابطين . إن هذه الساعة هى وقت الإفطار . لكن هؤلاء جميعاً يفضلون أن يقضوها هنا بحثاً عن مصالحهم كما ترى .. خذ حالى مثلا : إنى أقدم طلباً فى البداية لأقول لهم إننى أريد لزوجتى أن تسافر . فيذهب الطلب مع الملف إلى موظف آخر إذا كان من حقها أن تسافر ، ثم يعود إلى رجل آخر يشبه مدير الحسابات عندنا ليحسب النقود ويقرر إن كانوا هم الذين سيدفعونها أو أننى سأتحمل جزءاً منها ، وبعد ذلك يكتب موظف ثالث خطاباً إلى شركة الطيران ، وهناك موظف آخر يكتب لإدارة الجوازات ..» (ص ٣٤) . إن الصدفة وحدها هى التى انتشلته من هذه البركة الآسنة فى «رحلة الليل» . دق أحد الأبواب ودخل ليسلم ويثرثر كعادته . لم يكن الموظف موجوداً فهم بالخروج . لكنه فوجىء بفتاة تسأله عما يمكن أن تفعل له . وفحصت أوراقه «باهتمام هادىء» وأنهتها خلال أسبوع .

• • •

ترى من تكون هذه الفتاة ؟ هل هى قدره ، أم أنها أحلام تحققت ؟ .. أم أحلام تتأبى على الواقع ؟ أم أن العمل كله مجرد أضغاث أحلام ؟

نميل إلى صبّ هذا العمل فى القالب الحلمى . ونرى أن هذا الحلم يحمل بين جنبيه صوت النذير ففى اللحظة التى تحلق فيها الطائرة بعيداً عن أرض الوطن ، تنقطع كل الأسباب التى تربطنا به ، لنعيش فى التيه . لكن الشخص المحورى المتوحد فى هذه المجموعة لايسمع صوت النذير . إذ نراه فى قصتى : «تشابه» و«ملك الشطرنج» يرحل بعيداً ، ثم يعود ـ كما أكدت النبوءة ـ فى قصة : «الكاميرا» لينشد نشيد البجعة فى وطنه ..

لقد رحل إلى العالم الجنوبى ، وليس الشمالى كما رحل صديقه فى : «الثابت والمتحرك» . فالرحلة لا تنهج نهجاً مرسوماً . إنها ضربات قدر فى عصر الشتات . والكاتب لايسمى البلد الذى رحل إليه حتى لا يتهم بالهجاء ، كما اتهم محمد المنسى قنديل عندما كتب قصة : «الفتاة ذات الوجه الصبوح»[٣] . ولا تهمنا التسمية ، وإنما التشتيت . ومع ذلك فيمكننا التعرف على ملامح هذا البلد من خلال : «تشابه» و«ملك الشطرنج» . فى الأولى نجد الأشجار الصحراوية الميتة تحيط بأرض المطار . والجو حار خانق ، فنحن فى موسم الجفاف ، وبعد قليل يسقط المطر ، «وتصبح كل هذه الأرض خضراء .. جنة» . لكنها جنة متوحشة موحشة ، ففى «ملك الشطرنج» تواجهنا أشجار ضخمة لا يعرف أحد متى غرست ، ولا كيف تركت بينها هذه المسافات المتساوية ، فأقيمت داخلها البيوت المحاطة من كل جانب بسد منيع من جذوع تلك الأشجار المجوفة التى تسعى بينها الثعابين والعقارب فى الظلام . وليس المناخ الذى لم يعتادوه ، هو وحده الذى يناصبهم العداء . إن الأجانب هنا فى جزيرة وحدهم وسط بحر متلاطم من الكراهية . فهم يتحدثون أيضًا ككل دول العالم الجنوبى ـ عن ترشيد الانفاق وتوفير العملة الأجنبية ، ويحملون الأجانب ـ فى ثرثراتهم بالجرائد والتليفزيون ـ النصيب الأوفى من مشاكلهم . وبالإضافة إلى الجو الذى تخلقه التعقيدات الادارية ، نجد أن القنصلية المصرية هى قطعة من أرض الوطن حقاً ، كما تقضى بذلك قواعد القانون الدولى . فهى تزيد من تلك التعقيدات بالنسبة لمواطنيها حفاظاً على تقاليدنا المرعية ، وأهمها سوء التخطيط . فالقنصلية تبعد عنهم بمسافة سبعمائة كيلومتر ، وشركة مصر للطيران بمسافة سبعمائة أخرى ولكن فى الاتجاه المقابل . كما أن إذاعات القاهرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا تكاد تبين ، والجرائد المصرية لا توجد فى غير القنصليات .

المتنفس الوحيد لهم هو الزيارات الأسرية . فى قصة : « تشابه » نراهم يعودون طيبا مصرياً يعمل فى المستشفى العام . كان الرجل قد شق تقريباً . وكانت غرفته تتحول حتى وقت متأخر من الليل إلى حلقات نقاش صاخبة : « لم يسمح للإنسان والأطفال بدخولها . فكان الرجال يثيرون قضايا لا تنتهى حول المسائل الصعبة ، كالدلالة الواضحة لسوء معاملة الموظفين الصغار لهم . وفى هذه الأيام خاصة . وانخفاض قيمة العملة . وضرورة الهرب من هذا المكان قبل أن يفوت الوقت » (ص : ٣٧) وفى قصيدة : « ملك الشطرنج » يقضون « أرخص ليال » فى منزل أحدهم . بين صراخ الأطفال وهمس النساء المتكومات قريبا من الرجال حتى المسامرات المسلية قد حرموا منها . وها هو صاحب البيت يقطع الطريق على الجميع ككل مرة إذ يربت على بطنه . ثم يصيح بثقة زائدة وكأنه يخطب فيهم : « لا يمكن . لا يستطيعون . لكن لو سافر الناس جميعا . فالمصريون باقون . هل من المعقول أن يستغنوا عنا ؟ لا يمكن » (ص : ٥٣) وفى تلك اللحظة يكون ابنه قد وضع الشطرنج تحت لمبة النيون الصفراء التى يتوهمون أنها تبعد عنهم البعوض والحشرات . فتتحرك المقاعد لتصنع الدائرة ويبدأ اللعب . ومع ذلك فما أن تغيب الشمس حتى تتحرك الأسر إلى سياراتها الصغيرة صامتة . وإذا بهم هنا : « ليس هناك مكان آخر . هنا تأتى الخطابات . وتعرف أخبار المسافرين والقادمين وأخبار مصر . هنا يلعب الأطفال ويتشاجرون ويبكون . وهذا الشطرنج . لم تعد تفاجئهم الصيحات المنتظرة التى يطلقها صاحب البيت خلف المغلوب . ولا المغلوب الذى يترك مكانه مطأطىء الرأس ضاحكا بخجل وسط تعليقات الجالسين الساخرة . ولا الألقاب الضاحكة التى يلصقها صاحب البيت بكل منهم .

لقد تحول المكان وأهله إلى نقطة خامدة بين الحياة والموت . بين الوجود والعدم . إنهم مثل دمى الشطرنج يتحركون بفعل فاعل . لا بإراداتهم الحرة . وأصبح الشطرنج هو كل شىء فى حياة صاحب البيت . ورغم أنه لم يتعلمه إلا منذ فترة قصيرة . إذ أنه استطاع به أن يوجد صلة ما بينه وبين هذه البيئة الغريبة . بينه ملعوبا به ، وبينه لاعبا يسيطر بإرادته على الدمى ، وينجح فى تحريكها إلى الوجهة التى تحقق له الربح . وإذا كان هذا الربح يرمز إلى مكاسب الغربة ، فهو لا شك ثمن بخس . ولكنه يظل الرمز الوحيد لتشبثه بالبقاء على هذه الأرض . ولأنه رمز هش فإنه سرعان ما يتكسر ويهوى عند أول احتكاك له بالحياة الطازجة . تلميذ بالاعدادية قدم من القاهرة ليقضى أجازته مع أبيه ، فيهزمه شر هزيمة ثلاثة أدوار فى دقائق معدودات . كانت مفاجأة أذهلت الجميع . قام الولد بعدها وهو يتصور أن الرجل قد زهد فى اللعب . لكنه وضع يده على كتفه فجلس ليلعب دورا أخيراً بناء على طلبه وكأنه يتمسك بآخر خيط من خيوط الأمل . وكانت « ليلة عظيمة » لم يسبق لواحد منهم أن شهد مثلها رفع الأولاد قريبهم على الأعناق . وأسرع الرجال فانضموا للموكب . ووقفوا أمام البيت المجاور يوقظون أهله مهنئين . ثم واصلوا السير . وكان صاحب البيت واقفا لا يزال يحدق فى اللوحة والأصوات المرحة تصل إليه من بعيد ضرب المنضدة برجله فوقعت وتبعثرت كل القطع . تنبه انه ليس وحده . التفت فرأى وجوه النساء الضاحكة وأسنانهن البيضاء . وحين فوجئن بنظراته الغاضبة غالين الضحك . ولكن كل الأيام كانت تهزم بقوة . (ص : ٦٠)

* * *

أحيانا يتحايلون على قتل الوقت بالحج إلى المطار فى قصة : « تشابه » يتجمعون يوم الأحد بصالة المطار الصغيرة . ينتظرون الطائرة وكأنهم ينتظرون « جودو » . فالطائرة قد لا تأتى أبدا . وأثناء الانتظار يترثرون لرثرة شاكية متثائبة . ونظراتهم الكسولة تتابع أطفالهم . كانوا ينتظرون ولا ينتظرون . لكن مفاجآت غير متوقعة كانت تحدث دائماً . الذين أكدوا قبل السفر أنهم لن يعودا يعودون . حاملين الجرائد والمجلات الحديثة . فيتداولونها حتى تتمزق . كما كانوا يفاجأون بوجوه جديدة فيدهشون . ثم تعتريهم الفرحة لوقوع صيد آخر فى الفخ . يبررون بوجوده قرارهم : « لأننا رغم كثرة الشكوى نكتشف فى هذه اللحظة أننا حين اخترنا أن نظل هنا . فإنما كنا ننفذ القرار الصحيح » (ص : ٢٩) . وتسير القصة مع هذا الوهم . إذ يشاهد الراوى صديقه المخرج المسرحى المعروف يهبط من الطائرة فلا يكاد يصدق عينيه : « حتى أنت ؟ .. وأين ؟ .. هنا ؟ » ويتذكر نضاله المجيد عندما كان يصر على عرض « المسرحيات البسيطة » فى المدن المعاصرة المظلمة أيام الحرب : « لقد عرفنا فى تلك الأيام نجماً مثل هؤلاء الجنود الذين كانوا يقومون بأعمال خارقة مستحيلة لا يفسرها ولا يجعلها قابلة للتصديق غير حب الوطن » (ص : ٣٦) ويصحبه معه فى كل مكان . ويعرفه بجميع الأصدقاء . وتكون صدمته كبيرة . وخيبة أمله مريرة ـ لا شك فى هذا ـ عندما يعرف أنه ليس هو .

إن هذا المخرج المسرحى فى نظرنا ـ هو ماضى الراوى الذى كان يظن أنه جزء لا يتجزأ من كيانه .. شخصيته . وأنه قد حمله معه إلى هذه البلاد . فإذا الماضى ينكره لأنه قد قطع كل صلة به . فى اللحظة التى وطأت فيها قدماه أرض هذه البلاد .. بل فى اللحظة التى حلقت فيها طائرته فى سماء الغربة كما رأينا بقصة : « رحلة الليل » . وهذا الاحساس يعانيه كل من يترك بلاده مقهورا . فى رواية : « زهرة فوق تلال الشيب »[٤] نجد صفوت عبد المجيد ينهى فصلها الأول الذى يعنينا هنا بقوله : « وتحت سلم الطائرة وقفت لحظة متأملا .. ثم وضعت قدمى على الدرجة الأولى ورفعت قدمى الثانية عن أرض المطار .. ونفضت عن قدمى تراب القاهرة » . هل هو الذى نفض عنه تراب القاهرة . أم أن تراب القاهرة هو الذى نفضه عنه ؟ !

كان يعيش فى هذه البلاد بلا ماض . ومن ثم بلا مستقبل الذى يؤكد هذه النظرة أن أحدا لم يتعرف على المخرج المسرحى كما تعرف عليه هو . فى المطار أقبل الناس يرحبون بالأسرة الجديدة . ولما عرفهم به لم يبد على واحد منهم أنه سمع عنه من قبل . وعندما اصطحبه فى الصباح ليقدم أوراقه جرب أن يقدمه إلى المصريين فأغاظه أن أحدًا منهم لم يهتم . وبدأ على وجه المخرج المسرحى الضيق . فكف الصديق عن محاولاته . الشخص الوحيد الذى عرفه هو الطبيب المريض . كان يراه لأول مرة فرفع نصف جسمه عن السرير : « أنت ؟ هكذا قلت لنفسى الآن . لقد رأيتك فى السويس ـ أيام الحرب . ولكن .. ما الذى جاء بك إلى هنا ؟ » (ص : ٣٨) ومن هنا نعرف أن شخصية الطبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شخصية لها ماض أيضاً . فالمخرج المسرحى لا يظهر لغير المناضلين . أما الذين ليس لهم ماض . أو الذين لا تؤرقهم هذه المشكلة . فإنهم لا يعرفونه . لقد أصبحوا جميعاً مجموعة من القوالب المتشابهة . أو عساكر الشطرنج . فلا شىء هنا يميز المرء عن أخيه : « كنا نجلس فى الليالى الحارة نحيط بنا الصحراء من كل الجهات نتثاءب ونعيد الحديث عن المواقف القديمة . الى ميزتنا قبل أن نتشابه هنا فى كل شىء : عندنا سيارات . ونشكو ضياع حقوقنا . ونحول جزءا من المرتب إذا بقى منه شىء » . كان هناك تفرد يعتز به كل منهم . أيا كان نوع هذا التفرد . حتى لو كان قضاء الصيف كله على البحر . أو العمل مع أفراد الكورس « فى مسرحية مأساة الحلاج » .

إننا نعود مرة أخرى إلى الإطار الحلمى كما فى قصة : « رحلة الليل » . ونجعلنا « نتشابه » نسحب الحلم على قرينها : « ملك الشطرنج » رغم صيغها الواقعية . فلا توجد هنا مصادفات مغرقة فى الخيال كما فى « تشابه » . والقصتان تنتهيان نهاية واحدة . وعندما يصل الكاتب إلى « بؤرة الضوء » يعبر عنها باجتياز « المسافة المظلمة » فى « ملك الشطرنج » . « واجتازوا المسافة المظلمة ووقفوا أمام البيت المجاور يوقظون أهله بهتافاتهم . ثم واصلوا السير » (ص : ٥٩) وبالخروج من « الدائرة المظلمة » فى « تشابه » . . « ومشى خطوات ثابته خارج الدائرة المظلمة ثم عاد : ـ أنت تعلم أن الأسماء والوجوه تتشابه أحيانا تشابها تاماً . . لا تزعج نفسك اذن . . إننى لست هو . . مجرد تشابه » (ص : ٣٩) .

• • •

آن للطائر أن يعود إلى عشه . وقد عشنا معه فى : « ملك الشطرنج » أرخص ليال . ونعيش معه فى : « الكاميرا » أبخس ثمن . ذلك الثمن الذى ألمح إليه فى « ملك الشطرنج » يعود إلينا هنا واضحاً محدداً . ولقد دفع المقابل من « ضلوعه » إذا ما سمح لنا باستلهام قصة : « الصندوق » لصلاح عبد السيد . . هذه القصة الفذة التى بلورت ثمار الرحلة المرة . فالأولاد قد أصبحوا يعايرون صغيره لأنه لا يعرف العربية . وتلك إشارة موحية . وإذا كان وجهه قد تغير . فقد تغير أيضاً وجه الوطن . بعد انتشار المشاريع الوهمية . وسعى اللصوص إلى سرقة دماء المستثمرين الصغار المجمدة على هيئة أرصدة . وانتشار المبانى الشاهقة . أما السبب الذى خاص من أجله رحلة العذاب . فهو الحصول على شقة واسعة . بدلا من شقته المظلمة الخانقة : « حين دخل هذه الشقة مع زوجته لأول مرة منذ أسبوع واحد كتب قبل أن ينهى اليوم خطابا يعتذر فيه عن السفر . كانت الشقة هى الهدف . وقد تحقق الآن فلا بد أن يخرجوا جميعاً من سجن الغربة القاتل . هذا السجن الذى أقام بينهم وبين الناس هنا وهناك حوائط عالية . وهو الآن يدرك صواب القرار الذى اتخذه مع أن هذه المشكلة كانت غائبة عنه حين كتب الخطاب . فلأى سبب ينشأ الأولاد بعيدين عن الوطن ؟ أى شىء يمكن أن يعوض هذا ؟ وكم من الوقت سيمر قبل أن يستقيم لسانهما الذى اعوج بسرعة ؟ » (ص : ٢٣) .

ونجىء زوجته أخيراً . بعد سعادتها بترتيب الشقة الجديدة . يفوح حولها عطر آخاذ : « الذى أدهشه فى تلك اللحظة كان هو الثوب الليلى الذى ترتديه . لم يذكر أنه رآها هكذا أبدا . لقد تعود عليها ملتفة فى تلك الملابس البيتية الباهتة ، وفى سنوات السفر الكئيبة كانت تتعمد أن تفسد مظهرها ـ مثل كل المصريات هناك ـ بغطاء عجيب مائل مستدير للرأس وملابس طويلة باهته . . » . وكان لابد من تسجيل هذه اللحظة النادرة كما تعودوا فى بلاد الغربة . وتوهج الفلاش فأضحكتها المفاجأة ، ثم غيرت مكانها مرات . وأعطت ظهرها للميدان حتى تظهر الأشجار الصغيرة خلفها . ويدق الباب . ويدخل ثلاثة رجال لم يرهم من قبل ، ينهمونه بالتقاط الصور للجيران من الشرفة ، ويتركونه مهددين متوعدين . . وهكذا يعود الكابوس للظهور من جديد ، لتتكرر لعبة : « النهار . . والليل » .

وإذا كانت : « النهار . . والليل » و« غرفة فى نهاية الممر » يمثلان العقد السادس ، وكانت « الثابت والمتحرك » و« رحلة الليل » يمثلان العقد السابع ، فإن : « الكاميرا » تمثل العقد الثامن . عقد عودة جيل الستينيات مهزوما كما خرج مهزوماً . وقد كتبت هذه التجربة بمحاورها الثلاث ـ رغم تباعد أزمنة كتابتها ـ باللغة الطبيعية الصادقة التى نستخدمها فى الحديث اليومى . فلم نجنح إلى العبارات المعقدة أو المعالمة . لكن الحديث اليومى له مزالقه . ولعل أخطرها الانسياق وراء العبارات والتركيبات والألفاظ التى تلوكها الأفواه فى فترة ما حتى تفقد مدلولاتها .

سواء أكانت من ابتكار العامة ثم انتقلت إلى الخاصة ، أو من ابتكار الخاصة ثم حظيت بالقبول العام . وقد بدأ لفظ : « متميز » يفرض وجوده الحاد مع بداية الثمانينيات . منتشرا كالعدوى من أفلام الكبار إلى الصغار . ومن الصغار إلى وسائل الإعلام ، ومن وسائل الإعلام إلى وسائل الإعلان . . حتى أصبحنا محاصرين به فى الجريدة والإذاعة والتليفزيون . . وإعلانات الحائط . وأصبحنا نقرأ ونسمع عن « الموقع » المتميز ، و« السوتيان » المتميز ، و« الحذاء » المتميز .

وقد جاء انتشار هذا اللفظ فى غيبة كاتبنا ببلاد الغربة . فسلمت منه مجموعته ، وإن لم تسلم منه الكلمة المكثفة العميقة التى تسطر على ظهر غلاف « مختارات فصول » . كما لم تسلم المجموعة من تركيب لغوى اشتهر فى الستينيات . صاحب نضج كاتبنا واستقامة أدواته التعبيرية . وقد أصبح هذا التركيب لازمة لبعض الألسنة مثل : « فى الواقع » و« حقيقى » و« فى الحقيقة » . ونعنى به : « ببساطة شديدة » الذى طفح مع مثيلاته على بعض صفحات المجموعة : « ببساطة شديدة » . . « بصعوبة شديدة » . . « ببطء شديد » . . « بكل شديد » ، وإن لم يشكل ظاهرة مرضية توجب المحاصرة . لكن الفن بطبيعته ينأى عن القوالب أو الكليشيهات . وفى العشرينيات عندما اشتهر لفظ : « فحسب » وجدنا سعد زغلول العظيم يتصدى المتحذلقين قائلا « ببساطة شديدة » . . وبصوت « متميز » : لِمَ لا يقولون فقط ؟ ! . .

القاهرة : محمد محمود عبدالرازق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخروج من غرناطة

محمود عبد الفتاح

يعنى المذهب الظواهرى (الفينومينولوجى) بتلك الحلْقة التى لا تنفصم بين الذات والموضوع ـ أى ليس هناك موضوع بدون ذات ـ ويشدِّدُ هذا المذهب على الامتناع عن إصدار أية أحكام فيما يتعلَّق بالواقع الموضوعى ، وتجاوز حدود الوعى الخالص ، أى التجربة الذاتيَّة .

وهذه النظرة تبدو مدخلاً مناسباً لعالم صالح الصياد القصصى ، ذلك المُرتجِف شجناً وعذوبة .. للوهلة الأولى منذ الخطو فى هذا العالم تطالِعُنا عينٌ تتوَجَّس عداء مُشتطًّا مع الطبيعة والواقع البشرى ، إحساسٌ جاثِمٌ بالغربة ، وعُزْلة موحِشة يُضحى معها الالتقاء بالمجموع حُلماً عسير التحقُّق ؛ ضوءًا خافِتاً يَلوحُ من بعد ، فلا شخوص قصصنا قادرة على تلمُّسِ طريقها خلاله ، ولا (الآخر) مبادر بالالتقاء فهو ـ أيضاً ـ قابع فى قوقعة عزلته ، غارِقٌ فى دوَّامة اغترابه .

واستلابُ الشخوص لا يبين هنا (كلعنة) تطارد أصحابها ، إنما منهاج حياةٍ صاغه وَعْىٌ خالص ، يُبْرِز الكاتبُ تشكُّلَه من خلال حدثٍ ـ متناهى البساطةِ غالباً .

زواج المعشوقة (من دفتر الأحوال)
شكوى العامل من صاحب العمل (العجمى)
بيع استمارة القماش (الكذب)
إصرار على قطع تذكرة القطار (التذكرة)
اختناق القمر بسحابة (القمرية)

وما أن يلج الكاتب بحجره الصغير فى الحى حتى تلتف حوله دَوَّامات متتابعة تُشَكِّل مُعايشة واقِعه ـ واقع الحدث ـ ثم ما يلبث أن ينداح تيار التداعيات جَيَّاشاً عاصِفاً بهدأة النهر يُبْرِز الكاتب ـ كذلك ـ صيرورة ارتباطها الجدلى (أعنى المعايشة ـ التداعى) ، فالذكريات بعنفوانها تؤثر فى رؤية الشخوصِ لواقِعها المعاش ، والذى يدفع بدوره نحو مزيدٍ من الاجترار .

ووعى الشخوص بواقعها وعىٌ مُسْتَلب ، يحاول الكاتب تبرير استلابه بإحاطتهم بسياج (القدرية) التى لا فكاك منها ، برسم خطوط (مفروضةٍ) للسير ، وانتزاع (مقود الجواد) من أيديهم حتى يبدو مسوغاً ردة فعلهم الانسحابية إزاء حاضرٍ واجم لا (يملكون) تغييره :

« ولا يملك الجواد إلا تحقيق رغبات الفارس .. يا فارس .. اليوم السادس من مارس له معى دائماً حكاية .. وحكايتى إننى جواد .. والمِقْوَد ليس فى يدى »

من دفتر الأحوال

« البحر راكدٌ يحتاج لدفعةِ هواء تحرّكه ، والملاح لا يملك الريح ، الملاح لا يملك الريح »

الصداع

فنحن ـ إذن ـ بإزاء شخوص لا تملك إرادة حياتها ـ رغم وطأة واقعها ـ فهى تقع ـ دوماً ـ فريسة لأزمات حاضرها واختناقاته ، فلا هى قادرة على درء عفنه الجاثم ، ولا مستطيعة تحقيق تَوَافُقٍ ناجحٍ معه ، فتلك الشخوص التى عبث بها واقعها ـ بحيث لم يخلف فيها سوى الخواء يردد صداه صوتَ الأحداثِ ـ استحالت فى النهاية كتلاً فى ردود أفعالٍ يُصْدِرها وعىٌ مُسْتَلب .

واستلاب الذات كما يرى فيخته هو [خلق العالم عن طريق الأَنَا المُجَرَّدة] . مرة أخرى نحن أمام (الظواهرية) ، فالموضوعى (العالم الخارجى) فى قصص صالح الصياد ، لا يبين لنا كوجود حقيقى مُسْتَقِلٍّ ، وإنما نرى انعكاسات من خلال وعى الشخوص به (الذاتى) : عاشق (من دفتر الأحوال) المُحبِّ بالكيان كله ، يحضر عرس معشوقته ، فنجد أَنْفُسَنا فى مواجهة عالم شديد الصمامة والعداء .. هو ـ إذن ـ عالم العاشق المهزوم ذاته .

° تأليف صالح الصياد

« الوجوه شاحبة مغبّرة .. لا وجه بلا همّ .. المترو .. الكمسارى .. الركاب بلا استثناء .. وحتى العشاق فى الشارع الممتد والموصل إلى المطار تسلل إليهم الخوف من أن تتعرّى الأشجارُ قبلَ الميعاد » .

من دفتر الأحوال

عاشق الشعر فى (التذكرة) المُثقل بماضٍ مغتال الأحلام ، والذى ينتهى به المقامُ كاتباً للحسابات يرى « الليل بلا قمر .. بلا نهاية .. العربة الأخيرة لمباتها مسروقة .. بلا نوافذ ولا ركاب .. وربما كان القطارُ بلا سائق » .

كما يرى « بداية المدينة .. بقايا كهوف » .

التذكرة

أفكان ميرلوبونتى مُحِقًّا حينما ارتأى أن [العالم ليس إلّا إسقاطاً من جانب الذات] ؟

حصار الطبيعة وعداء الواقع البشرى يبرزان ـ أيضاً ـ سمةً غالبة فى معظم قصص المجموعة فالشخوص المُطَارَدة اللاهثة تُدْمَى ظهورها تحت سياط واقعهم شديد القسوة ، ولا يملكون إرادة تغييره أو تغيير أنفسهم فى مواجهته . فكيف سيتحقّقُ التصالحُ إذن ؟

القاضى فى قصة (الصداع) الضائع بين نصوص القانون الجامدة ، وضميره فى أن يحكم (بعدل) فى قضية مقتل الزوج بيد خليل الزوجة ، نرى « جيش الخنافس تزحف قادمة براحته .. تحتله .. تأكل يديه وأذنيه وقلبه .. تأكل أطراف الأصابع وتغوص فى فتحتى الأنف .. لم يعد فى خارطة الجسد نقطة بلا غطاء » .

الصداع

بطل (حلم الظهيرة) التائه فى دوّامةِ البحث عن جذوره وكيانه وأمنيته فى الالتقاء بالآخر ، فيرغمه ذلك على السير فى الصحراء الموحشة ، هى صحراء الذات .. والآخر .. الجرداء « كانت الصحراء مقفرة .. جافة .. وغريبة أيضاً .. ممسوحة المعالم ما تزال .. وكانت الشمس حامية وعارية .. لا طيور فى السماء كما عوّدتنا الرمال .. وكلّ الأشياء بلا ظل » .

حلم الظهيرة

وتلك الشخوص فى مواجهة واقع صلد كالصخر ـ كثيراً ما نرى ارتدادها للوراء ، تترحّمُ على ماضٍ حُلو لم يَدمْ ، فهى ـ وقد أثخنتها جراح رحلتها مع الواقع . يكون مسوغاً لها تماماً أن تستنطق ماضيها كمن تحاول ـ مُخْفِقةً بالطبع ـ استدامته .

« الأولاد فى قريتنا يكتبون أسماءهم على لحاء الشجر ويرسمون القلوب والسهام .. لو نعودُ طفلين » .

من دفتر الأحوال

« زمان وأنا مثله ، كان كل شىء فى الدار ، والقرش يجرى فى يدى ، وكنتُ مُغرماً بأوراق النقد الجديدة ، أجمعها وأحفظها » .

الكذب

أهو [جَهْدُ الهروب من الواقع] كما يقول ووترهاوس ؟

ومؤلمٌ حقاً أن يكون ماضٍ بهذه العذوبة غير مُتَنَاسبٍ مع ثِقَل خبراته ، فالشخوص التى يُلقى بها فى دوّامة الواقع غالباً ما تكون مفتقدة لزاد من الخبرة يُعِينها على مواجهته ، فكل خبرات الماضى مشوشة مُقَيَّدة ناقصة .. مُلَفَّقة وغير مجدية .. عاجزة عن تقديم عون حقيقى يُسْعِفُ أصحابها .

خبرة الصحراء المضنية فى (حلم الظهيرة) لم يُعِن عليها علمُ الأب أو حكمة الجد ، لم أعد أعرف من أمى إلّا أنه ترك لها بعضاً من الورق الأصفر المسوّدِ بالعلم ، والوصايا ، والرموز ، وبعض المبانى الملتصقة بضغط الهواء ، ونهراً لا يجف ، وصحراء لا تُزْرع ، ووصايا أرضعنى إياها كلما أحتاجها تهربُ منى » .

« .... وحينما يحتاجنى إعصارٌ أتذكر أنى رضعت يوماً لبن الحكمة ممزوجاً بوقار وصلابة ، وأن جدى كان فارساً مغواراً ، وحكيماً يخلق الحلول قبل حدوث المشاكل .. وأنه قال لى : دائماً تمثلنى .. وكان .. وكان .. كان يعلم تماماً أنى أعجز عن التمثيل » .

حلم الظهيرة

خطوات الأب . ومسيرة الجد لم يَمْنَعا الخروج من غرناطة ، الحلم والتحقق .

« ومشيت خلف أبى ، أحاول الوصول معه إلى الشط ، وكانت دفةُ السفينة متزوعة » .

الخروج من غرناطة

« أحاول أن أبعد عنى ذهنى صورة الجدّ وحكايته ... صورة الجد صالح الذى عاشر الجدة وتزوّج من غيرها قبلما يموتُ بلا سبب مقنع » .

الخروج من غرناطة

وهذه الشخوص التى تحمل خبرات ماضيها الهَشَّة ، هى ذاتها الحاملة بين ضلوعها قلوباً طيِّبةً ساذجة . مفترضة حُسْنَ النيّات .

صياد (فاكهة أمشير) يقدّم سمكته الذهبيَّة ـ صيده الأوحد ـ للسلطان ، منتظراً العطاء .. والجود ، لكنّه « يفاجأ » بكلمة شكر ـ عفارم ـ لا تسد أفواه الأطفال المفتوحة (العجمى) العامل الذى يرعى أسرة صغيرة (يُفاجأ) : بصاحب العمل يطرده ، لارتيابه فى أنه قد شكاه لمكتب العمل .

رجب عاشق الشعر فى (التذكرة) (يُفَاجأ) بالمُحَصِّل يتغاضى عن بقية ثمن التذكرة وعن قطعها له .

فالشخوص التى أُلقيت إلى واقع شديد القسوة ، مفترضةً رياحه المواتية ـ لا تلبث أن تؤخذ على غرة ، إذ يثب واقعهم المخاتل ، شاهراً فى أعينهم ـ بعناد ـ ضوءه المبهر ... والمؤلم .

وهذه الفجاءة القاسية ـ الضوء الساطع ـ للواقع ، (والتى جعلت الشخوص ـ كما رأينا من قبل ـ ترتد للوراء ـ تفادياً لسطوعه المؤلم ـ حيث يستدعون ماضيهم الحلو) ، هى ذاتها التى اغتالت أحلامهم الوردية ، حين كانوا يتشوّفون مستقبلاً مُبْهِماً .

وكيف لا ، والضوء المُبْهِر فى أعينهم يمنعهم من التحديق أمامهم باجتراء ؟

« كانت محطة الوصول مجهولة ، وتساءلت .. متى وكيف اكتشف الإنسان مثابع الأنهار ... وكنت أتوق بعدما نتخرج أن نعبر معاً أطول أنهار العالم .. وأن نحاول التوقف عند خط الاستواء » .

من دفتر الأحوال

« غرقت فى بحر ، بالتأكيد ليس من بحور الشعر التى درستها وهويتها .. صرت على الهامش ، كاتباً للحسابات .. نعم .. مجرد كاتب وإن اختلف اللقب ... وشباب تمنيت يوماً .. تمنيت .. كان لى أمل » .

التذكرة

اكتمل ـ إذن ـ ثالوث الزمن المُعادى ؛ شخوص مغتالة (الحلم) ، تشيخ دونما تحقيق أمل .

تحيا (حاضِراً) مليئاً بالقهر

وتترحَّم على (ماضٍ) عذبٍ لم يدم

فليس بمستغرب أن نرى تلك الشخوص ـ الواقفة متجرِّدةً مُحَاصرةً بأسنة الثالوث المعادى ـ وقد عكفت فى قوقعة عزلتها ، تحيا وطأةَ اغترابها ، أو تندفعُ إلى أنشطة محمومة لا طائل وراءها ـ أو أفعالٍ غير مبررة لا جدوى منها ، كأنها تحاول اصطناع الاستهانة بحدَّةِ غربتها ، أو الإفلات من دوَّامتها المضنية .

« أدرت قرص التليفون ، طلبت استعلامات المحطة ، سألتُ عن ميعاد قطار القاهرة والمجرى ، وقطار الاسكندرية ، وقطار منوف ، والسنطة ، ودسوق ، وزفتى ، وليس فى ذهنى أىَّ مشروع سفر » .

التدخين بلا رغبة

بطل (**الخروج من غرناطة**) يندفع فى سعى محموم نحو علاقة حُبٍّ مقضىٍّ عليها مُسْبَقًا تلوح كوردة برية فى صحرائه المقفرة ، يراها بعين العطش ، والخواء النفسى ، ويتجادل مع الزوجة حول أمور عقيمة رغم قناعته بالمحيط الذى يفصل بينهما فيبين ـ جليًّا ـ افتقاد الهوية وتفكّك الكيان ؛ التحيد والاغتراب .

وفى هذا السعى المحموم ، غالباً ما نرى افتقاد الآخر ـ أو افتقاد تأثير الآخر إن شئنا الدقة . طَالَعَنَا ذلك فى خبرة الماضى ، حيث يغدو التلقين عديم الجدوى ، ويصير الناصِحُ شخصاً غريباً ـ رغم القربى ـ عاجزاً عن تقديم عون حقيقى ومُجْدٍ .

نراه ثانية ـ فى رؤية شخوص محبطة لواقعها البشرى الجديب ، فتخوض صراعها فى توحد شجىٍّ مع اغترابها .

« سقطت فى بئر من البكاء .. وحمدت الله إننى وحدى » .

حلم الظهيرة

« العيون كلّها زجاج مبلول ، ضاعت منها البسمة .. كلُّ الصواميل التى تربط الناس سائبةٌ » .

الصداع

« وكنت أخافُ معها ، وعليها ، وأسبح وحدى » .

الخروج من غرناطة

أهو (وعى) الشخوص بمرارة واقعها ، أحال الآخرين أشباحاً لهم وجوم الواقع وقسوته ؟ أم هو (الاغتراب) وقد نسج ستره السميك ، فحال دون الاقتراب والتلاقى ؟

فرفض الواقع يكمن ـ إذن ـ مُوغِلاً فى ايلامه داخل شخوص قصصنا ، يشى به ذلك السعى المحموم ـ فى محاولات فردية ـ للتخلص من وطأته ، وتعلن عنه صرخات الداخل المعذبة يتردد صداها فى خواء الشخوص النفسى .

« صرخت ..

دقات المسرح غير مُبَرَّرة » .

من دفتر الأحوال

« صرخت .. صرخت .. وحاولت تحطيم علامات الاستفهام .. تمنيت لو بكيت » .

حلم الظهيرة

صرخ فيه . زمجرة الريح وطنين الذباب ونقيق الضفادع فى أذنيه .. وصرخ » .

الصداع

فهل تُرجمَ هذا الرفض ـ الصراخ ، إلى فعل التغيير ، الانعتاق من ربقة واقع شديد القتامة والانطلاق من قوقعة العزلة المُطبقة ؟

إن استعراضاً لنهايات قصص المجموعة يجيب عن هذا .

فالرفض الذى قبع ـ خلال الأحداث ـ مقيَّداً لا مُنْدلِعاً ، صارخاً لا مُتَقَدِّماً ، وقتيًّا وعارِضاً ، ما كان له أن يثمر إلا تلك النهايات المستسلمة ، فصرخات الداخل المعذب وثوراته المحتدمة ما لبثت أن سكنت فى خفوت رافعةً رايةً بيضاء لواقعها المُعادى فنحن أمام شكلين من النهايات (وفى الحقيقة هما وجهان لعملة الاستسلام) .

- فالشخوص إما أن تلجأ لاستجداء نومٍ مستحيل ، بعدما أدمتها نصالُ واقعٍ لا يرحم .
- أو تكشف عن تسليم صريح لوطأته ومحاولة التواءم مع معطياته أو بالتأهب ـ ثانيةً ـ للدوران فى فلكه المُدَوَّخ .

صَيَّاد (**فاكهة أمشير**) يُنْهِى عذاباته بأن « يرمى جسده على بقايا الصيرة اللزجة » .

فاكهة أمشير

عاشق (**من دفتر الأحوال**) المطعون يلجأ للفندق طالباً نوماً عميقاً .

« وأنا أغطى وجهى ، اتركنى واخصم أجر الليلة من عمرى » .

من دفتر الأحوال

خفير (**الرغبة فى النوم**) يحقق ـ أخيراً ـ رغبته بعد إنهاك العمل فى حقله ، ومشواره اليومى ـ سائراً ـ إلى المدينة ، ومتاعب تفتيش الرقيب ومدير المنطقة

« أرقتنى عملية جمع الأرقام وقسمتها ، ورحت أحاول جاهداً أن أنام »

الرغبة فى النوم

(**العجمى**) بعدما يستبد به اليأس من محاولاته المستميتة لتكذيب ظنون المعلم .

« يقرفص تحت الغطاء بصوت مسموع .... وتقلب على الجانب الآخر يستجدى النوم باستحالة » .

العجمى

تحقق الشكل الآخر للاستسلام فى باقى قصص المجموعة تقريباً ؛

عمالُ المجارى فى (**حكاية كل يوم**) لا تكاد تنتهى مشقة رحلتهم حتى يبدأوا رحلة أخرى .

« ألقى تعليماته المعتادة عن الرحلة القادمة ، ـ على ميدان المحطة » .

حكاية كل يوم

المديرُ فى (**التدخين بلا رغبة**) يُعَدِّد ـ فى النهاية ـ واجباته الثقيلة المقبلة ، رغم وطأةِ واجباته الحالية ، تأهب من جديد لسباحة جديدة فى دوامة الهروب .

« وكان عَلَّى أن أحاضر فى ندوة سياسية عن المعركة فى الداخل ، وكان من المُحَتَّم فوق كل هذا أن أصحب زوجتى إلى زيارة عائلية دورية » .

التدخين بلا رغبة

القاضى فى (**الصداع**) يُذْعن فى النهاية

لنصوص القانون الجامدة ، ويصدر قراره .

« سحب القلم الرصاص .. وأصدر القرار ..

وكان عليه حتى يستوفى الشكليات النطق بالحكم » .

الصداع

فالرحلة التى قطعتها الشخوص منازلةً حراب واقعها المشهرة ـ بحيث لم يتبق منهم سوى نفوسٍ خَرِبة وأجسادٍ مُمَزَّقة ـ ما كانت لتنتهى سوى بالوقوف ، استسلاماً ... أو النوم ، استجداءً

طنطا : محمود عبدالفتاح

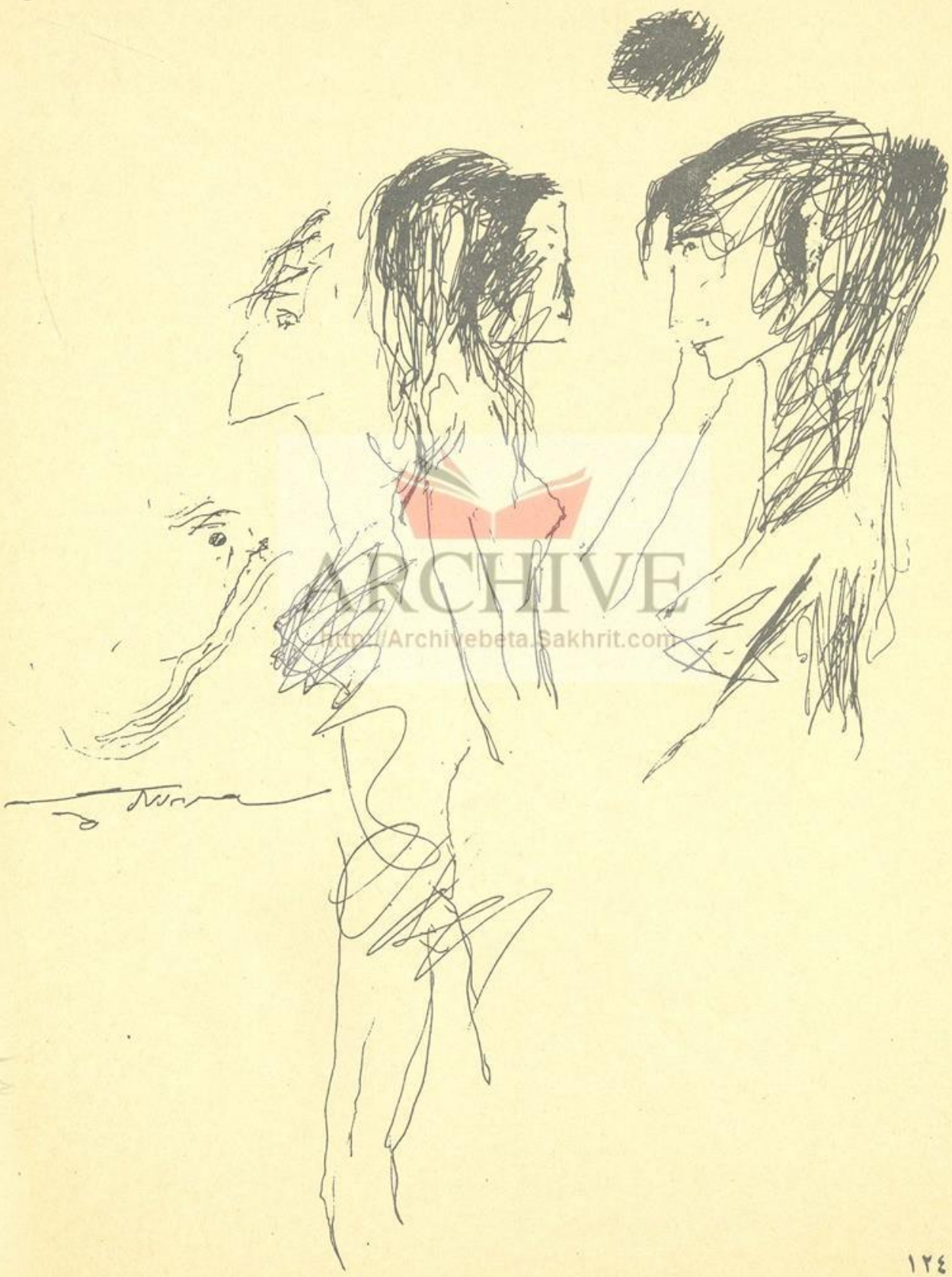

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفنان محمد عبله وتجارب فى التصوير

محمد حلمى حامد

الفنان « محمد عبلة » من مواليد « بلقاس » وقد شاهد فى طفولته وصباه نفس الحقول والمشاهد الريفية التى شاهدها الفنان المصرى القديم ، فماذا سيكون نتاج تفاعل هذا التراث القديم بداخله مع المؤثرات البيئية والقيم الاجتماعية السائدة ، ليس هذا فحسب بل والدراسة الأكاديمية التى تلقاها ومشاهداته للمدارس الحديثة فى أوربا ؟

هذا ماسنراه عند محاولة الدخول إلى تجارب [محمد عبلة] التشكيلية .

التجربة الأولى

بدأت هذه التجربة عندما شرع فى دراسة المقابر فى الأقصر فى فترة دراسته بكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية ، فقام برحلة نيلية حتى الأقصر وتفاعل هناك مع التراث المتمثل فى الآثار والمقابر الفرعونية بما تحتويه من جماليات خاصة بهذا الفن العتيد ، كما تفاعل مع الحياة التى ارتبط فيها الإنسان الجنوبى بالطبيعة وتشربت عيناه حركة الصيادين والباعة وتجمعاتهم فى مراكبهم وطرقاتهم ومقاهيهم - بطء حركتهم وقوة بنيانهم وخلو أجسامهم من الترهل والسمنة إنهم يشبهون أجدادهم المرسومين على جدران المعابد والمقابر - فقرر أن يقدم مشروع تخرجه عن « الصيادين والمراكبيه » .

ومنذ هذه اللحظة وحتى الآن يمر (محمد عبلة » بمحاولات وتجارب تعبر عن نزوعه إلى التغيير وأمله فى استشراق فى عوالم جمالية جديدة ولكنها محاولات تشبه الدوران الفنية عمر أغلبها بطرق مسدودة ليعود مرات ومرات إلى تجربته الأولى يضيف إليها ملمساً أو إحساساً جديداً . وقد تميزت تجربته الأولى بملامح عامة يمكن أن نوجزها فيما يلى :

أ - الأشكال والشخوص

اعتمد على تسطيح الأشكال مستفيداً من الشكل الفرعونى لرسم الأشخاص أو ما عرف بالوقفة الفرعونية التى يبدو فيها الإنسان رأسه فى الوضع الجانبى أما الأكتاف والصدر فمن الوضع الأمامى والخصر فى الوضع الثلاثى الأرباع ليعود ثانية فى القدمين والذراعين إلى الوضع الجانبى ، أما بقية الأشكال من حيوانات كالأبقار والقطط والحمير والجمال والمراكب فقد رسمها « محمد عبلة » من الوضع الجانبى .

ب - الفراغ والأرضية .

استفاد من الموروث الفرعونى والفن البدائى بشكل يقترب من استفادة أستاذه « حامد ندا » بهذا التراث ولكن معالجته للفراغ والأرضية هى التى اختلفت عن استاذه - فحامد ندا يترك الأشكال والأشخاص فى فراغ تام للوحة يحاكى معالجة رسوم قبائل « البوشمان » البدائية - وهو يهتم بعمل علاقة متوازنة بين الشكل والأرضية رغم ظهور الأشكال فى أوضاع طائرة أحياناً وغير طبيعية فى أغلب الأحيان .

أما معالجة « محمد عبلة » للفراغ والأرضية فهو يشكل بها خلفية محسوبة للشكل تحدث ذبذبة ناشئة عن انتشار الأشكال وتعددها - كما أنه يهتم بالأوضاع الطبيعية للشخوص مما يحتم عليه فى أحيان كثيرة بناء أقواس وتقاطعات على هيئة مراكب لها أكثر من فائدة فهى أحياناً أرض للأشكال أو قوس يلم مجموعة الأشكال ويؤكد ترابطها ويوجّه حركة البصر خلال اللوحة - وهى أيضاً وسيلة جمالية لخلق علاقات لونية تثرى الشكل .

ج - اللون

استفاد من ألوان « فرانز مارك » الناصعة ومن « سيف وانلى » فى معالجة اللونين الأحمر والأزرق وتجاورهما ، ورغم حرصه على تصوير البحر بالأزرق الصريح الناصع والفاتح وعلى خلق تحاور بينه وبين الأحمر والبيج - فإن شخوصه قاتمة لا يبرز منها أية ملامح فهى بنية محروقة الأجساد متسربلة بأرديتها الخضراء الداكنة ، وهذه الألوان القاتمة أتاحت له فرصة تجريد الشخوص وتحويلها إلى هياكل متشابهة البنية فهو يقصد شخصيات عامة تواجهها فى الطرقات ولا يرسم شخصيات بذاتها - بل هى حركة حياة منتشرة ومتنامية فما

حاجته - فى الأغلب الأعم - للغوص فى ذات الشخصية وفرديتها .

قراءة لبعض اللوحات

فى لوحة [منظر من الأقصر ١٩٧٧] يبدو ملمح هام استقاه من التصوير الجدارى الفرعونى ولا يتمثل هذا التأثير فى استخدام المنظور الجانبى فى تصوير جماعات الحمير فهو يصور النساء فى أعلى شمال اللوحة من الوضع الأمامى إلا أنه يكاد يقسم اللوحة إلى ثلاثة مستويات أفقية فى المستوى الأول وفى وسط اللوحة يضع الحمار وراكبته والطفل - أما فى المستوى الثانى فيضع مجموعتين من البشر بأحجام أقل مفسحاً فى وسط اللوحة مساحة تحيط بمجموعة المستوى الأول « الرئيسية » لتؤكد عليها وتحصرها ، أما فى المستوى الثالث فقد وضع مجموعة بيوت فى يمين اللوحة وبعض الشخوص فى يسارها ونلاحظ أنه اجتهد فى إخفاء هذه المستويات إلا أن السمات الفرعونية تبدو مستقرة فيها من خلال توجيه حركة المجموعات ، ولولا أنه لجأ إلى تغيير الأحجام ليصبح الأقل هو الأبعد وأخفى بعض الأشكال وراء بعضها - لما أوحى لنا بوجود المنظور ، ورغم التقاط المشهد من الحياة اليومية ، فإن أسلوب التصوير يضيف إليه جلالا ووقاراً ويحول اللحظة العابرة إلى لحظة أبدية وقد ساعدت ألوانه القاتمة والوجوه الممسوخة على إضفاء الوقار ومسحة البطء والحزن فى اللوحة .

وهو يستخدم هذا الأسلوب فى لوحة أخرى عن المراكبيه وإن قسّم الأشخاص إلى مستويين وجعل أحجامهم متساوية إلا أنه لجأ إلى خدعة أخرى للإيهام بالمنظور حيث رسم المركب التى تضم الأشخاص فى خلفية اللوحة ووضع مقدمتها فى الثلث العلوى للوحة مما يوحى بالعمق .

ونلاحظ فى هاتين اللوحتين من بداية التجربة الأولى أنه يريد أن يمزج الحس الموروث لديه من التراث الفرعونى بشىء من الصبغة الأكاديمية وأنه يلجأ إلى حيل جمالية تمثل انعكاساً واعياً لا ستيعاب جيد لهذه الدراسة .

وأما فى لوحته [الخيامية ٧٩] وهى إحدى لوحتين أنتجهما عن صناعة الخيام ومزج فيها الإحساس الزخرفى بقدرته على التصوير والتجسيد وهذه القدرة على المزاوجة بين مجموعة متناقضات جمالية يهضمها ويمتزج بها حتى تخرج من فرشاته بشكل تلقائى - فهو لا يحيل الموضوع التصويرى إلى زخرفة شكلية - أو إلى موضوع زخرفى على طريقة « هنرى ماتيس » محتوياً كيان اللوحة كله - وإنما تظل شخصوصه « العمال » بشكل ينأى بهم عن الزخرفة التى يستخدمها فى تصوير الخيام على هيئة أقواس متقابلة بألوان حمراء وبرتقالية وبيضاء .

أما العمال أنفسهم فتكوينهم هرمى مألوف وتمتزج شخوص الخيام المعلقة على الجدار فى أعلى يسار اللوحة بالعمال حتى تتحول اللوحة إلى معزوفة واحدة .

وهو يلجأ إلى استخدام ثلاثة عناصر لربط حركة العين داخل اللوحة ، فالباب فى أعلى اللوحة يمثل قوساً يربط بين العاملين ، والقطة التى فى أسفل العامل الذى فى اليمين تحول دون أن تتبع العين حركة القدم المتجهة إلى خارج اللوحة ، والرجلة التى فى اليسار تقوم بنفس الفعل مع العامل الأيسر .

فهو إذن يضع المفردات التشكيلية فى خدمة الموضوع الذى يصوره والعلاقات التى تحتويها اللوحة علاقات جمالية أكثر منها علاقات موضوعية - رغم انكفاء العمال الساكن على خيماتهم يطرزونها فى دقة وأناة . وتبرز أيضا قدرته على الجمع بين التشخيص وبين تجريد الشخوص من ملامحهم كما يجمع بين ألوان واضحة وصريحة كالأحمر والأزرق والألوان الداكنة والباهتة البنية من خلال إدراك واع بجماليات حديثة .

وفى لوحته [قرية مصرية ٨٠] يبدو أكثر جرأة وقدرة على الفكاك من أسر رغبته فى استعراض مهاراته وحيله الفنية ، فتتحول الشخوص إلى تجريد مطلق ذى لون واحد لا يفرق بين الثوب والبدن ، وتتقارب الأحجام وتبرز المستويات الأفقية واضحة ، وإن بدا للوهلة الأولى أن توزيع العناصر عشوائى إلا أنه توزيع يعتمد على المستوى الأفقى انتشاراً للشخوص المتطاولة رأسياً ، كما أن بعض العناصر تؤكد هذا الأمر فكل قطة موضوعة فى اللوحة ليست إلا خطاً يمثل أرضاً أفقية لأقدام الأشخاص أما القوس العلوى مع النخلتين فى اليسار واليمين والأعشاب الصغيرة فى أسفل اليسار فإنهم عناصر ذات نزوع رأسى أيضاً لتوجيه حركة العين ، وهو يتعامل مع الفرشاة بجرأة أكثر ويبدو مقتصداً فى ألوانه بما يشبه العزف على وترين لونين أفقياً ورأسياً . أما لوحته [على ضفاف النيل ١٩٨٠] و [المعدية ٨١] فتبرز فيهما قدرة محبة للحياة وألوان ساطعة وحركة ذائبة وهو يستخدم نفس أسلوبه السابق وإن زاد عليه اهتمامه بحركة الأقواس التى يستخدمها كأرض أو كمركب ليضيف ألواناً مختلفة خلال هذه الأقواس ويكوّن علاقات جمالية جديدة ، وهو يرسم الأسماك بداخل الماء تماماً كما توجد بالمقابر الفرعونية منذ أن رسمها المصرى القديم على جدرانها .

وفى لوحته [المعدّية] تتحول المعدية إلى حياة خصبة وإن عالجها بأسلوب فانتازى يحيل المركب التى فى اليمين إلى قوس بصرى يربط فقط بين هذه المجموعات البشرية التى تعلوه وهو فى تكوين هذه اللوحة الذى يأخذ شكل رقم (٦) يقدم معالجة أكثر جرأة للفراغ حيث لا يهتم بشغل المساحة كلها بالشخوص وإنما يوزعها توزيعاً جدلياً بحيث يتحاور الشخص الصغير فى أقصى اليسار وقطته مع الحمّال فى أقصى اليمين مروراً ببقية العناصر مشكلاً عاملاً هاماً فى اتزان اللوحة .

وفى اللوحات الثلاث السابقة نحس بإيقاع الحياة : حركة الفلاحات الرشيقة وهن يحملن جرارهن وآنيتهن إلى السوق ، الحمالون على شاطىء النيل يقومون بإنزال حمولات المراكب أو يقومون بتحميلها ، الطفل يلعب بالطوق أمام كلبه أو قطته ، العاشقان يجلسان فى سكينة ويتناجيان ، الأنعام وهى تجر العربات أو يسوقها الناس - النخيل والنهر والمراكب والأشرعة ، حياة يعكسها بعفوية لها قدر من الوعى لا تستطيع قراءتها قراءة الموضوع الأدبى فقط وإنما لكل وحدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صغيرة فى اللوحة أهميتها الجمالية قبل أهميتها الموضوعية . أما لوحته [حوار على النيل ٨٣] فإنك تشعر لأول وهلة أنك لست أمام لوحة واحدة وإنما أمام لوحتين واحدة على اليمين وتحتوى على الفتاة التى تضع يدها على رأسها وأخرى على اليسار وتحتوى على الفتاتين الواقفتين ، ويعمل على تأكيد هذا الفصل السهمُ الأزرق فى منتصف اللوحة الذى يشير إلى الفتاة ويمر بذراع الفتاة الأخرى ، كما أن اختلاف الأرضية التى تقف عليها الفتاة الوحيدة عن التى تقف عليها الفتاتان يؤكد هذا الفصل وهو هنا « ربما » يؤكد على عزلة الفتاة عزلة تامة يؤكدها جمالياً قبل أن يؤكدها كحالة فى اللوحة - وهو يمزج بين رغبتين تتنازعانه ، فأشرعة المراكب أقواس تكون مثلثات متوجهة إلى خارج اللوحة ، أما الفراغ الناشىء عنها فهو مثلثات زرقاء تتجه إلى أسفل وإلى الاجناب لتتجه بالعين المتأملة إلى داخل اللوحة ، وهاتان القوتان تتوازنان وتحدثان أثراً ساكناً فلا يصبح للخلفية أثر على الشخوص ، ولولا أنه قطع نهايات الأشرعة فصارت مثلثاتها بلا رؤوس لكانت الغلبة لها ولاختلف الأثر الناشىء عنها على اللوحة .

كما أنه فى هذه اللوحة يلجأ إلى قليل من التجسيم والتفاصيل دون أن يخرج كلية عن أسلوبه السابق .

إلا أن الوحدة التى ظهرت فى لوحة « حوار على النيل » ظهرت من قبل فى لوحة [الفتاة والسمكة] تلك الفتاة الوحيدة التى تحتضن سمكتها فى رقة وشفافية وحزن وفى خطوط متأثرة إلى حد كبير بالفنان « بيكار » فالملامح واضحة والخطوط انسيابية والأسلوب رومانسى . كما برز فى لوحته [القاهرة والطائر ٧٨] أثر تجربة الفنية بعد رحلة دراسية وفنية استمرت ست سنوات زار فيها أسبانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا مروراً بتركيا واليونان ويوغوسلافيا وسويسرا فأقام عشرة معارض خاصة ومارس العلاج بالرسم فى زيورخ وحصّل دراسات فى علم النفس وفى فنى الحفر والنحت .

التجربة الثانية

اتجه [محمد عبلة] فى هذه التجربة أثناء وجوده خارج مصر . إلى مفردات متغيرة نوعاً ما فقد لجأ إلى « الحصان والطائر والطفل والمرأة والرجل » فى محاولة لإيجاد لغة إنسانية تعتمد على التشخيص فشكل بهذه المفردات لوحات متعددة ومن أجمل هذه اللوحات لوحة تمثل تصويره للحصان الجامح والراكب الذى يكاد يطير من فوقه وهى لوحة تعبر عن قدرته على تركيز الألوان والرسم بلون واحد تقريباً وقدرته على التعبير السريع عن الحركة والتوتر .

وكذلك لوحته [الحصان والطائر٨٢] التى تبرز فيها مفرداته هذه معالجة بشكل قريب من أسلوبه فى التجربة الأولى ، فالشخوص تبدو حتى الأكتاف والذراعان من المسقط الجانبى أماالنصف السفلى فقد تحرر من الوقفة المصرية تماماً - كما احتفظ بألوانه البنية الداكنة التى تمزج الثوب بالبدن .

وقد حاول فى هذه اللوحات خلق عالم رمزى يهتم بمدلولات شعورية محددة كالأمل واليأس والحب وهذا اتسم التركيب البنائى للوحة بالبساطة الشديدة .

التجربة الثالثة

برزت بشكل واضح فى هذه التجربة عناصر الفن البدائى حيث تحول إلى رسم الأشخاص والحيوانات بشكل يحتوى على تحريف كبير واستطالات غير عادية فى النسب مع توزيع عشوائى للأشكال وإن ظهرت فيه آثار من أسلوب توزيعه للعناصر فى التجربة الأولى كما لم يتغير أسلوب استعماله للازدواجات اللونية التى استعملها فى التجربة الأولى .

التجربة الرابعة

فى الحقيقة ليست هذه تجربة واحدة وإنما مجموعة تجارب تندرج كلها بوضوح تحت الأساليب التجريدية وإن ضمت مجموعتين إحداهما للتجريد الرمزى والأخرى للتجريد التعبيرى ففى لوحته [منظر درامى ٧٩] يبدو المشهد الدرامى الذى أنتجه عقب وفاة جدته فرسم بانفعال شديد وعفوية مجموعة أشكال وإن أمكننا ردّها إلى أصولها مثل العفاريت فى أسفل يمين اللوحة ، وبعض مفردات ذات إيقاع طفولى أو شعبى ، فالأطفال الثلاثة فى منتصف اللوحة يسعون إلى مومياء أبيض تحوطه هالة رمادية سوداء وشواهد ومقابر فى النصف الأسفل وكلب من الخرافة الشعبية تتطاول رقبته فى يمين اللوحة ، وقد استخدم اللون الأسود والرمادى والأبيض فى إضفاء جوٍ من الحزن على المشهد .

أما لوحته [حنين ٨٢] وهى حفر على خشب فقد رسمها خارج مصر فنرى شخصاً يمسك بيديه قفصاً على شكل قبة مسجد وبداخل هذا القفص عصفور سجين ، وملامح هذا الشخص ورسمه ينطقان بالفرعونية ؛ فقد أراد أن يعبر عن حنينه لوطنه من خلال هذا الإسقاط الواعى على مصير العصفور السجين والحقيقة أن كثيراً من المعانى يمكن أن يدركها المشاهد لمثل هذه اللوحة فأنت لا تدرك من هو العصفور هل هو الوطن أم الفنان نفسه .

أما لوحته [الهرم فى المساء ٨٥] فهى أول اللوحات التجريدية التى خرج فيها فناننا من إطار الفكرة والرمز فلا تستطيع أن تقرأ هذه اللوحة قراءة فكرية أو أدبية ، إنها فقط منظر للأهرام فى المساء عندما يطل عليها من شرفة منزله .

أما أسلوب معالجته لتلوين المساحة عندما يترك بعض البقع أولا يحددها - مما يشكل تخبّطا - فإن هذا يعكس رغبة قلقة لخوض تجربة جمالية جديدة ، إلا أننانستطيع أن نجد بعض سمات معالجته القديمة للمساحة فهو يقسّم اللوحة فى مستويين ، رَسَمَ فى النصف الأسفل مجموعة نباتات لا نستطيع من فرط تجريدها التيقن هل هذا النبات هو البردى أم هو النخيل المترامى على شاطىء النيل .

أما فى النصف العلوى فقد رسم الأهرامات الثلاثة بطريقة بسيطة ومبتكرة وأراد التأكيد على شكل الأهرامات الثلاثة بوضعها فى نقطة تلاقى خطين أحدهما رأسى والآخر أفقى وهو لا يكتفى بهذا ، بل يؤكد نقطة التلاقى من خلال مجموعتين ثلاثيتين من الألوان ، المجموعة الأولى هى المجموعة [البنية] التى تشكل أرضية النصف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأسفل مع الامتداد الناشىء بين الهرمين الكبيرين والمحصورة بين الأزرق والسماوى - والمجموعة الثانية هى الخط الأبيض تحت الهرم الأيسر ، والسماء الزرقاء الفاتحة فى خلفيته أما العنصر الثالث فهو الهرم الثالث الأصغر الأزرق اللون الذى يحتضنه الهرم الأكبر فى اليمين . وهو لا يستهدف هذا التكوين لذاته وإنما للتأكيد البصرى على عنصر الأهرامات وبقية عناصر اللوحة تساعد على هذا : اتجاهات النباتات والمربعات التى تشكل خلفية الأهرامات والصليب الصغير الموضوع فى البقعة الحمراء أسفل الاهرامات والذى يشكل سهماً يتجه إلى الأهرامات أيضاً .

ويمكننا كذلك أن نلاحظ أسلوب معالجته للون الأحمر فقد غطى قمة الهرم باللون الأحمر ليتزن مع المساحة الحمراء فى أسفله وهذا التكوين البنائى يعتمد أيضاً على العناصر الرأسية والأفقية ، إلا أنه فجأة دخل فى تجربة جديدة تماماً وهى التى تندرج تحت التجريدية التعبيرية ، فبعد عودة [محمد عبلة] إلى القاهرة أحس بالزحام الشديد فراح يرسم هذه التجمعات فى ازدحام شديد ، مما جعل بعض النقاد يربطون بينها وبين أسلوب « التبقيعية » التى ابتكرها الأمريكى « جاكسون بولوك » ولكننا فى أعمال محمد عبلة نلاحظ أن تجريديته التعبيرية تحتوى على نظام دقيق ؛ فهناك أجسام بشرية وهناك رؤوس سوداء لهذه الأجسام وتجمعات لونية وطرق تضم هذه التجمعات ، فلابد للمشاهد أن يبحث لنفسه عن طريق وسط هذه الطرق والطوابير وعن مكان وسط هذا الزحام الشديد فهى ليست مجرد بقع لونية تحاكى ما أنتجه « جاكسون بولوك » ولكنها فكرة اجتماعية تعكس واقعاً اجتماعياً - جعله يفوز فى أبريل الماضى بالجائزة الأولى للمسابقة التى أقامها المركز القومى للفنون التشكيلية تحت عنوان [القاهرة فى عيون الفنانين] ، ويضيق المجال عن ذكر أعمال الحفر والمائيات التى أنتجها الفنان إلا أننا نطالبه بمزيد من الجهد فقد ثبّت أقدامه فى حقل الفن الذى لم ينشغل عنه ولم يشتغل بسواه . إننا ننتظر ما سيقدمه [محمد عبلة] فى السنوات القادمة .

القاهرة : محمد حلمى حامد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفنان محمد عبلة
وتجارب فى التصوير

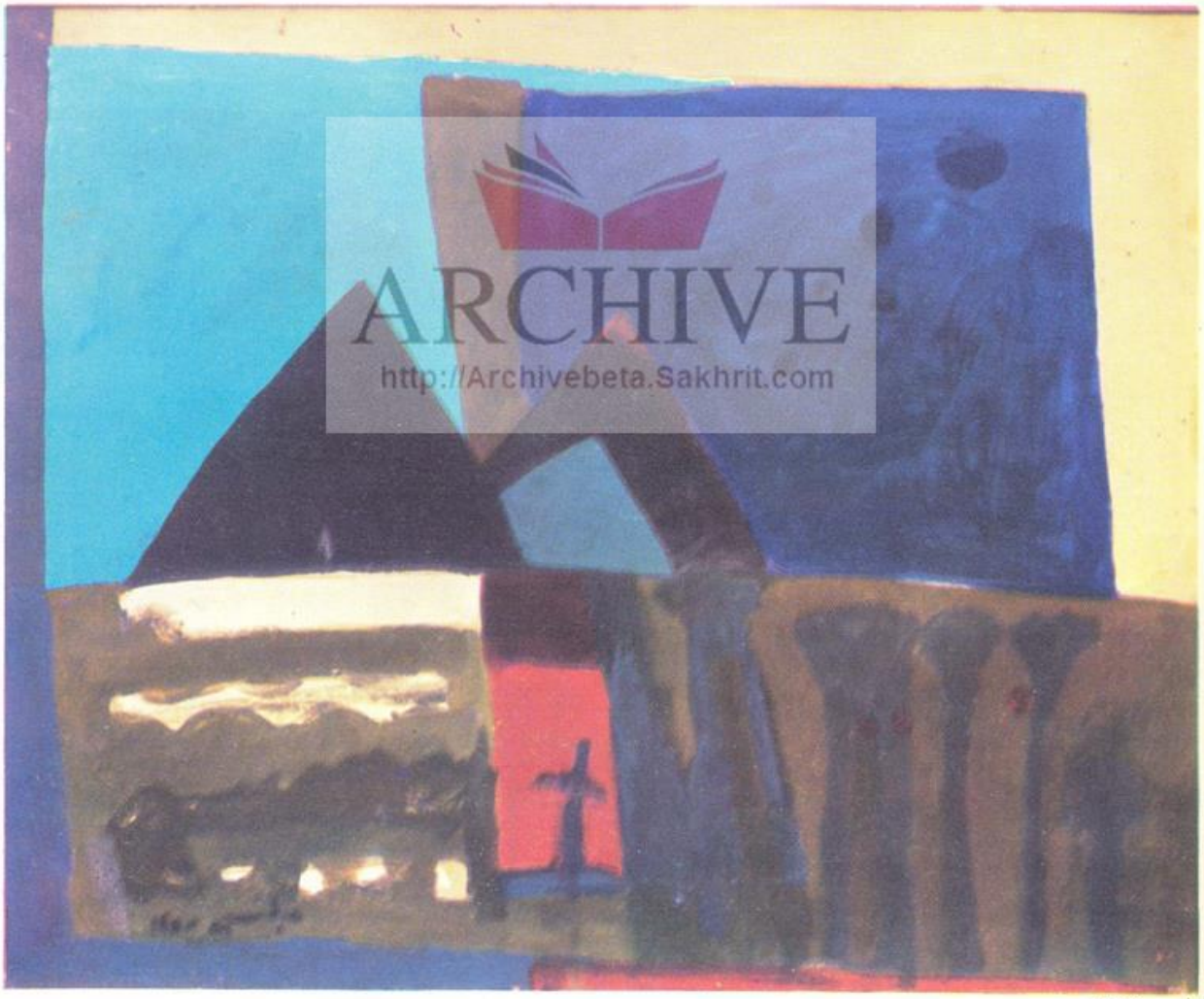

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهرم ـ ١٩٨٥

قرية مصرية ـ ١٩٨٠

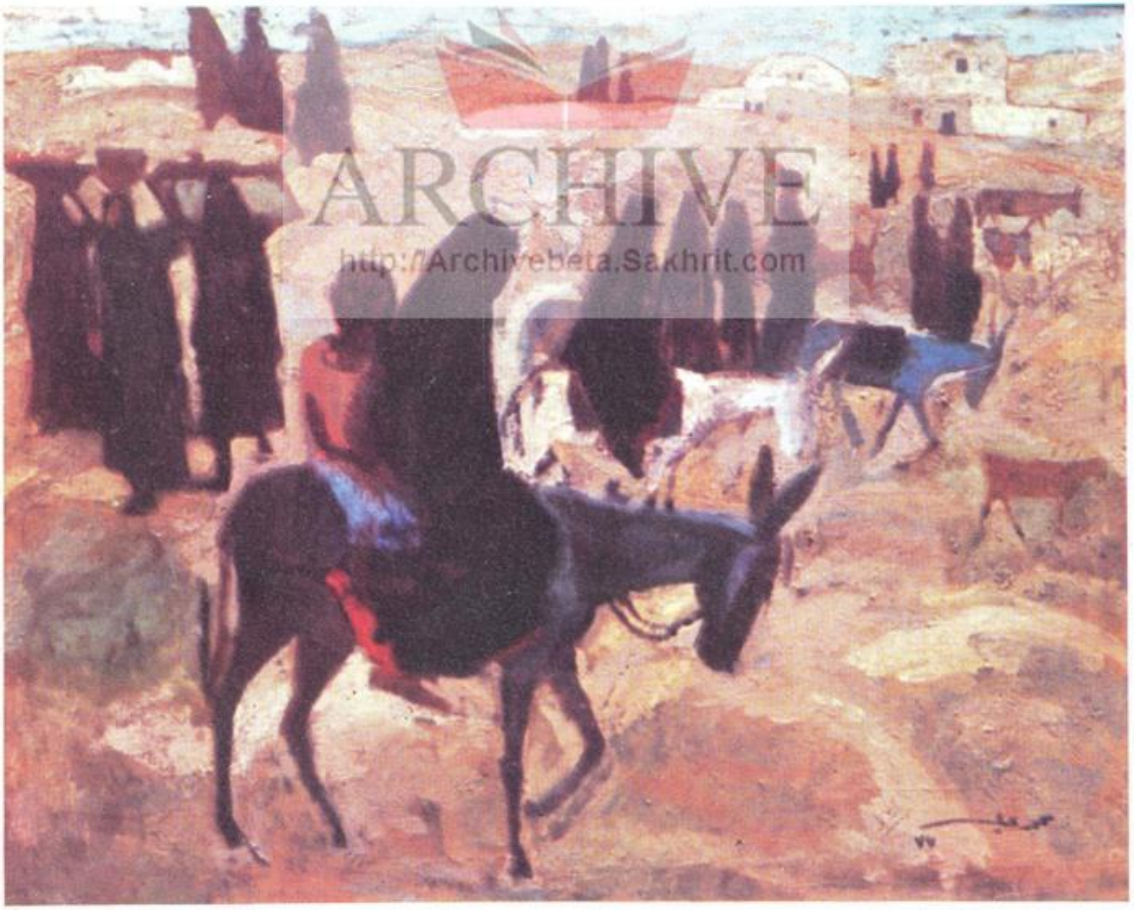

منظر من الأقصر ـ ١٩٧٧

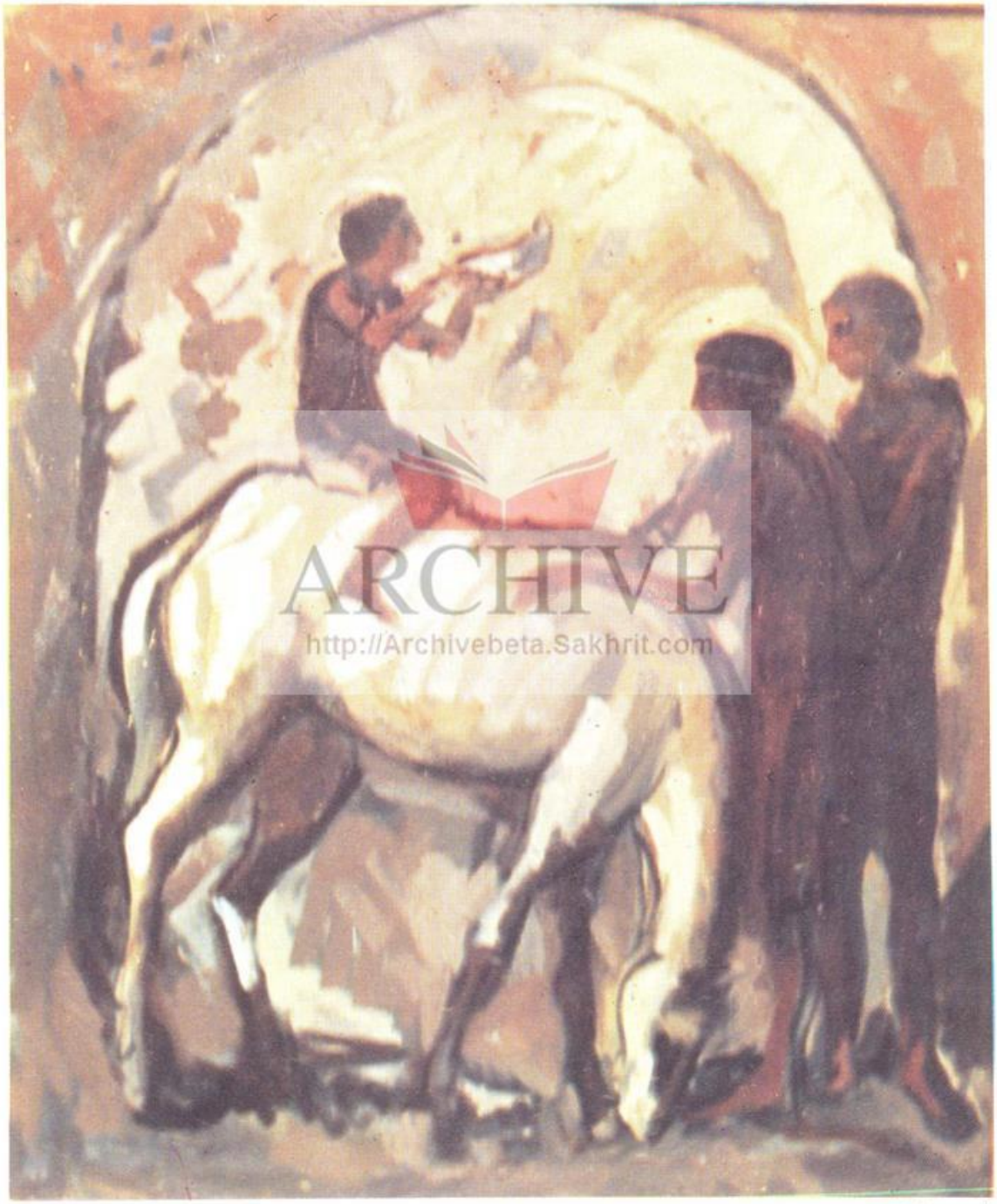

الحصان والطائر ـ ١٩٨٢

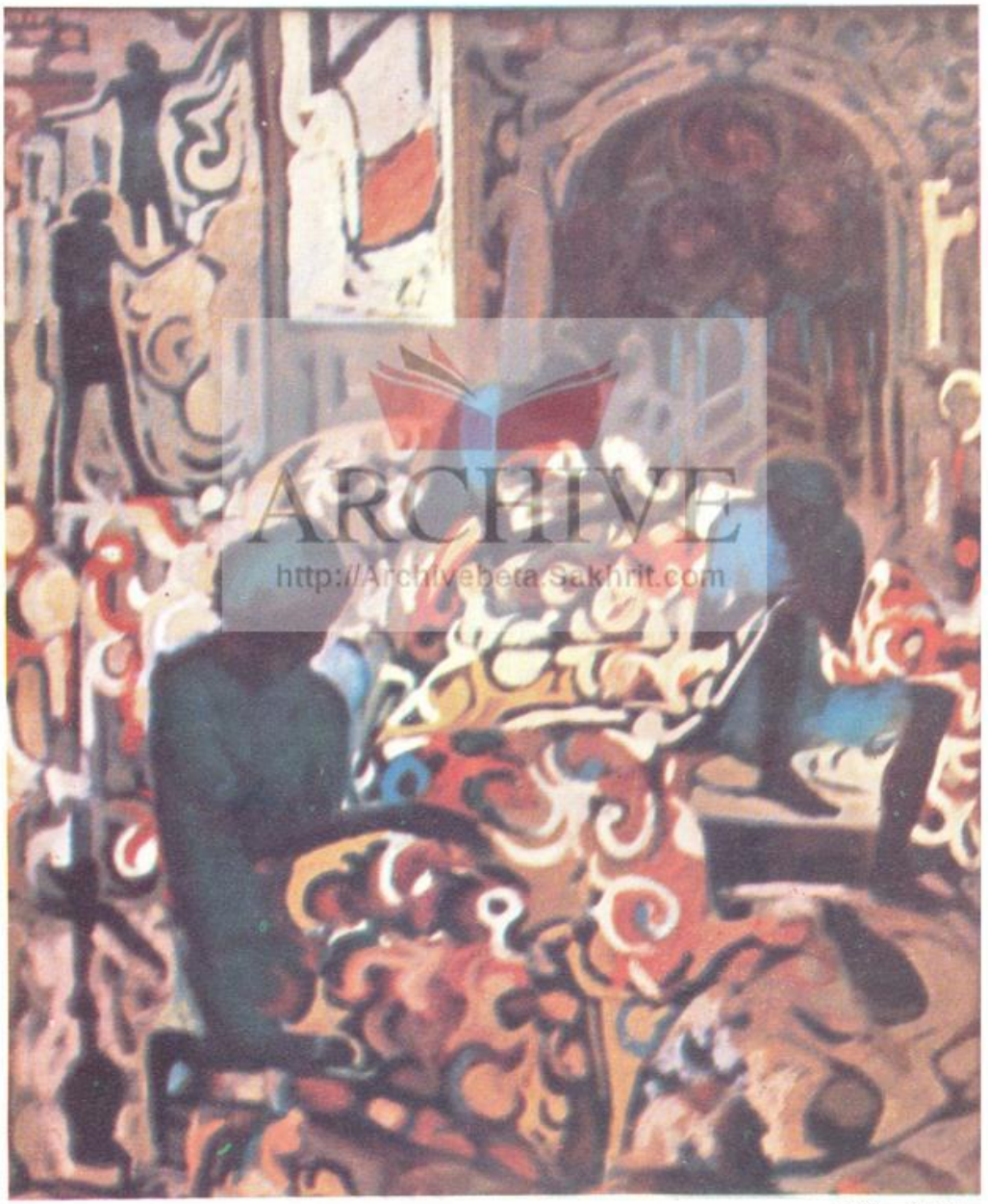

ن الخيامية ـ ١٩٧٩

حنين (حفر خشب) ـ ١٩٨٢

المعدية ــ ١٩٨١

صورتا الغلاف للفنان محمد عبلة

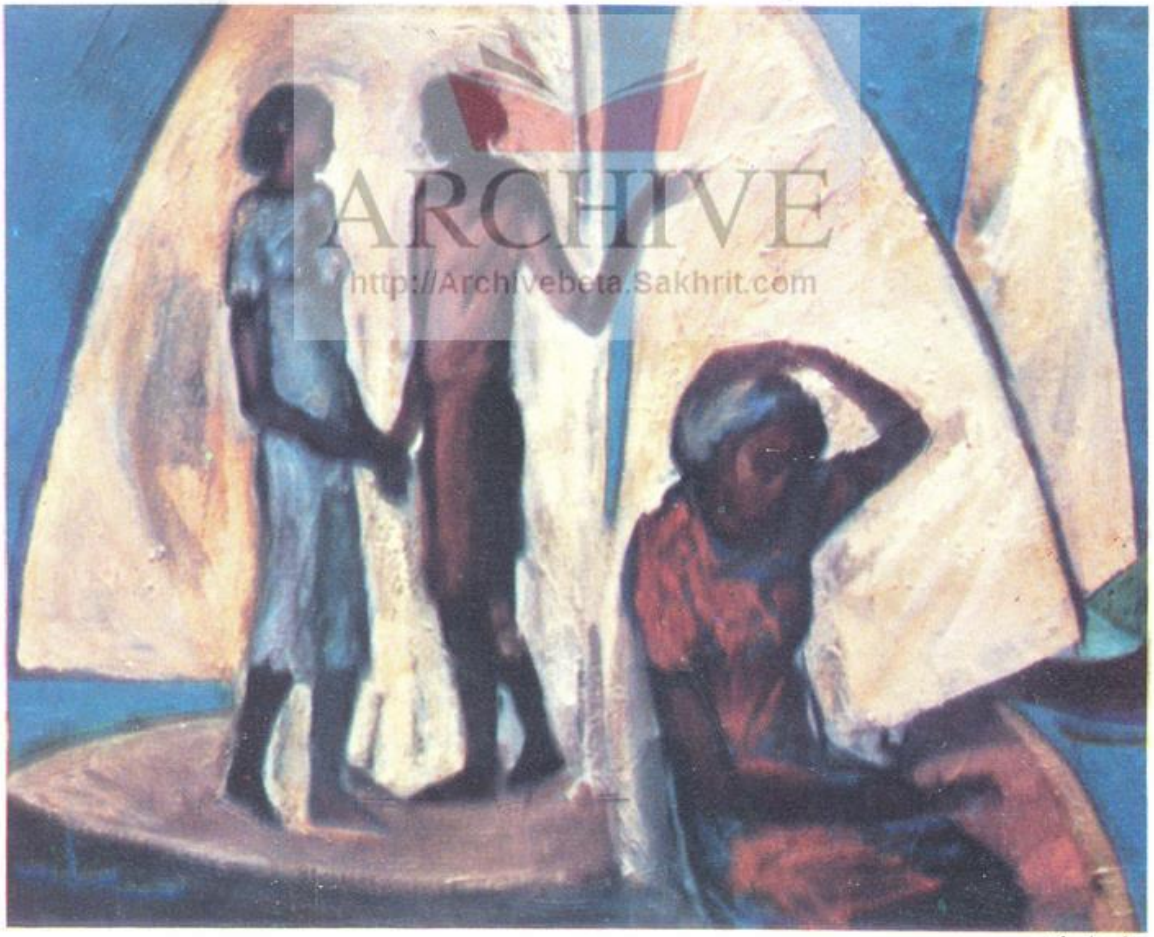

حوار على النيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥ - ١٩٨٧